الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

عدالة السماء

ولادته - غيبته - سفراؤه - علامات الظهور - أصحابه - كيف ينتصر
- مدّة حكمه - سكناه - زواجه - أولاده - ما بعد المهدي عليه السلام

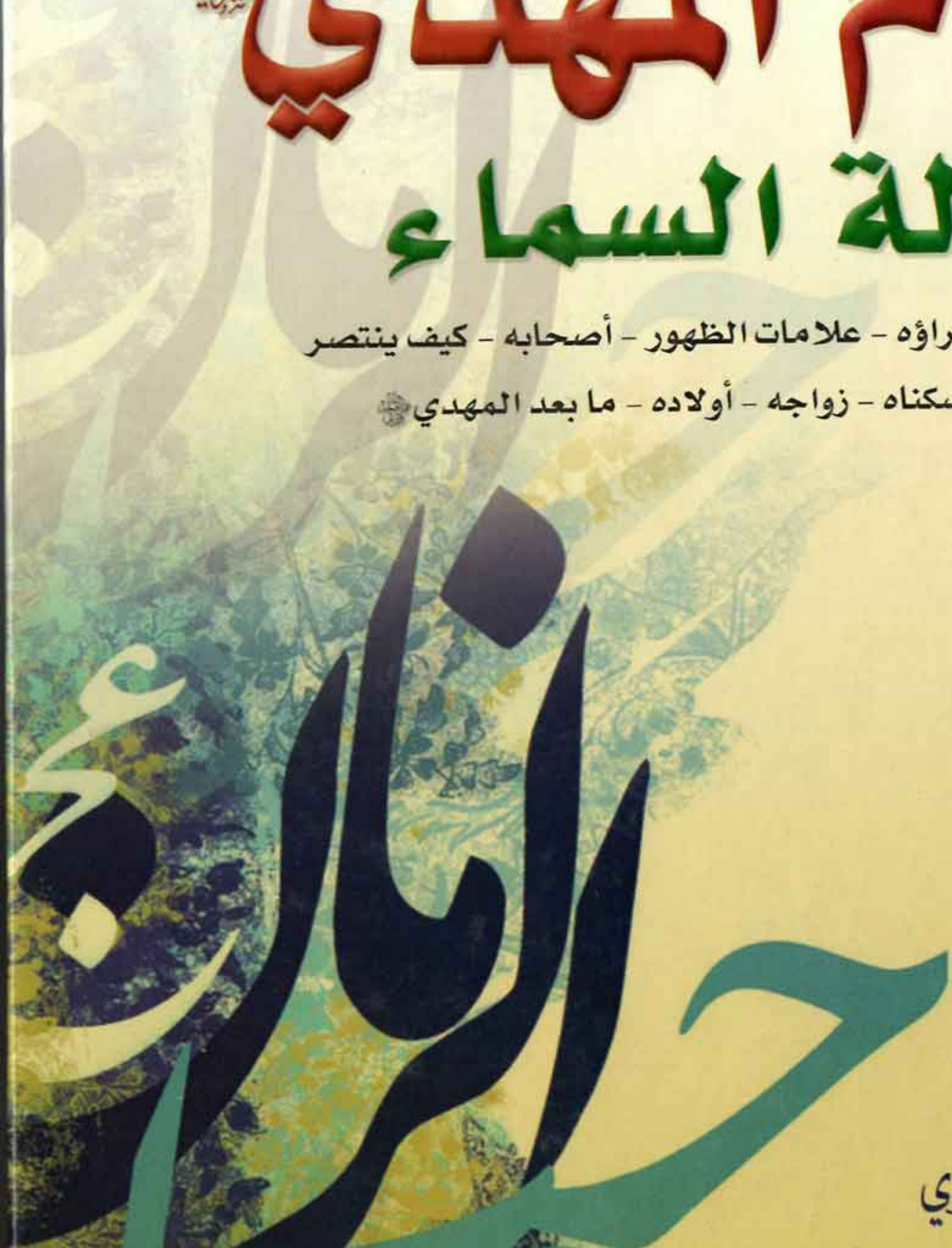

السيّد عبّاس علي الموسوي

دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

عدالة السماء

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

دار الرسول الأكرم ﷺ : طباعة - نشر - توزيع

حارة حريك - شارع القسيس - خلف البلدية - ص.ب.: ١١/٨٦٠١ بيروت - لبنان
هاتف: ٠٣/٨١٤٢٩٤ - تلفاكس: ٠١/٥٤١٩٣٠ - E-mail: daralrasool@hotmail.com

الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

عدالة السماء

ولادته - غيبته - سفراؤه - علامات الظهور - أصحابه - كيف ينتصر
- مدّة حكمه - سكناه - زواجه - أولاده - ما بعد المهدي عليه السلام

السيّد عبّاس علي الموسوي

دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

كلمة سريعة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين،
وبعد:

هذه الأوراق المعدودة حملتْ الكثيرَ من المعلومات التي كانت مطويّة في الكتب وبين السطور، وكان العالم يتشوق للوقوف عليها ويترصّد كل خبر يحمل رمزاً أو إشارة عن المنتظر الذي على يديه يكون الخلاص من الظلم والجور، وتحرير الإنسان من العبوديّة لغير الله...

تهيبّتُ الدخول إلى عالم مليء بالأسرار والمفاجآت، فيه قيادة ربّانية عَبَرتْ قروناً من الزمان إلى جانبها من الأصحاب ثلاثماية وثلاثة عشر رجلاً تمّ إختيارهم من المجموعة البشرية، ثم ما تحمل هذه المسيرة من الغيب المحجوب الذي كشف عنه المعصوم، إذ للمهدي شأن فيه إعجاز يخترق المألوف، وما اعتاد عليه الناس من الأسباب والعلل...

دخلتُ عالم المهدي عقيدة وإيماناً وأنا صغير، ودخلتُ هذا العالم الآن على الورق وبما في بطون الكتب، فوجدتُ كنوزاً ثمينة تفوق كنوز الفضة والذهب وأثمن

الجواهر وأشرفها، حيث وجدتُ قيادةً تليق بمستوى الإسلام العالمي الذي يحكم الدنيا وما فيها... قيادة صُنعتْ على عين الله، فجاءت في الدرجة الأولى من القيادات بشخصها ومواصفاتها، وحركتها ومسيرتها، وأهدافها وغاياتها... قيادة تحمل تراث الأنبياء جميعاً، من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتريد تحقيق تلك الأهداف التي جاء لأجلها هؤلاء الأنبياء...

وما أريد بيانه في هذه الكلمة السريعة أمور:

١-أجمعت الأمة بقضّها وقضيضها وعلى اختلاف مذاهبها ونِحَلها وتشعّب مِلَلها وميولها على أن المهدي قضّية إسلامية واقعة لا محالة بالأخبار القطعيَّة الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم التي اجتازت مرحلة التواتر ووصلت إلى مرحلة الضروريات البديهية التي تسالمت عليها الأمة. ومن هنا يجب أن تكون قضية المهدي عجل الله فرجه والأيمان به من عوامل توحيد المسلمين، ولَمِّ شملهم، والتوجّه بصدق إلى الاهتمام بأهداف هذا المنتظر، وتهيئة الأجواء الملائمة لظهوره.

٢-إن الأحاديث الشريفة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن الأئمة من بعده تبيّن مَنْ هو المهدي المنتظَر، وقد وردت أنه من أهل البيت، وأنه من وُلد الحسين، بل حددت صفاته ومواصفاته وأنه التاسع من وُلد الحسين عليه السلام بل وحدّدت الشخص وسمّته وعيّنته بإسمه فهو الإمام محمد بن الحسن العسكري ثاني عشر أئمة أهل البيت الذين بشّر بهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله المتَّفَق عليه، كما في صحيح البخاري، عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يكون إثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش[1].

وفي مسند أحمد بن حنبل عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أو قال:

---

(١) صحيح البخاري /كتاب الأحكام ج٤.

«قال رسول الله ﷺ يكون من بعدي إثنا عشر خليفة كلهم من قريش»

فقالوا: ثم يكون ماذا؟

قال: ثم يكون الهرج.

فهذه الحقيقة، إثنا عشر خليفة لا تنطبق إلا على الأئمة الإثني عشر الذين عيّنتهم الأحاديث الأخرى بالأسماء، فكان أولهم الإمام علي بن أبي طالب، وآخرهم المهدي عليه السلام...

وينبغي، بعد وقوفنا على هذه الحقيقة، أن نواجه من يدّعي المهدويّة بالتكذيب، فإن المهدي معروف بإسمه وإسم أبيه - ولم يكُنْ مجهولاً حتى تشتبه علينا الأمور - ومن هنا لا نحتاج إلى مناقشة وإعطاء دليله - إلا لرده عن غيّه أو بيان ضلاله - وإلا فإنّ حكمه وأمره حكم وأمر من إدعى النبّوة بعد رسول الله ﷺ فإنّا نقطع بكذبه أو ضلاله وإنحرافه أو مرضه، إذ لا نبيّ بعد محمد، وهكذا الأمر بعد بيان المهدي باسمه واسم أبيه يُكذّب كل من ادعى أنه المهدي.

٣-من الحقائق الثابتة عن المعصوم أن للمهدي غيبتين صغرى وكبرى، والصغرى كانت بعد وفاة والده سنة ٢٦٠ إلى سنة ٣٢٩، وخلال هذه الفترة كان للمهدي وكلاء يتولّون الأمور المهمّة الموكلة إليهم، وكانوا واسطة العقد بينه وبين الناس.

ثم بعد هذا التاريخ إبتدأت الغيبة الكبرى - التي لا نزال نعيش أيامها - عجل الله تعالى فرج صاحبها، وقد تولّى الفقهاء العدول الإماميُّون الولاية عنه بنصّ منه، بعد أن أعطى المواصفات العامّة، فمَنْ استجمعها وجمعها إستحق ذلك المنصب الرفيع، ولا يستحق ذلك إلا من أوتي حظاً عظيماً وكان لله فيه عناية خاصة...

٤- هناك دعاوى كثيرة وقصص عديدة يدّعي أصحابها رؤية المهدي عليه السلام وقد ذهب الكثير إلى عدم رؤية الإمام المهدي في الغيبة الكبرى وإلى تكذيب من

ادّعى ذلك أو اشتباهه في هذا الأمر وادعى بعضهم جوازها، ولنا رأي خاص سنُطلِع القارئ عليه ضمن هذا الكتاب.

٥- لقد أُسيء استخدام التطبيق في قضيّة المهدي، فقد اعتمد بعضهم على بعض العلامات فوقّت للظهور - مع أنّ النبيّ منع عن التوقيت وتكذيب الموقّتين - وبعضهم ذهب إلى أنّ هذه الدولة ستكون هي الدولة الممهِّدة للمهدي، وستسلّم الراية له، ولم يتمّ ذلك، وبعضهم تسمّى بالمهدي إبتداء من أيام الدولة الأموية ومروراً بالدولة العباسية وإلى يومنا هذا حيث يظهر بين الفينة والأُخرى من يدّعي ذلك، وكل الأدعياء سقطوا أمام الحقيقة، وهكذا...

أقول يجب أن لا تعكّر هذه الأخطاء صفاء قضّية الإمام المهدي وطهرها ونقاء جوهرها، بل هي دليل على أنها من أقوى العقائد الصحيحة التي تعيش في عقل الأُمة وضميرها ووجدانها، ولذا يتمّ استخدامها لما فيها من قوة وأثر باهر في تحريك الناس ودفعها إلى التضحية والعطاء.

٦- هناك المئات من الكتب التي أُلّفت في المهدي عليه السلام أما الأبحاث والمقالات والكلمات فلا تقدّر بقدر، فقد تجاوزت حدّ العدّ والإحصاء، وكيف لا تأخذ حياة هذا المولى هذا الإهتمام، وهو المدّخر لدحر الظلم والجور وإقامة القسط والعدل في الأرض، وهو الأمل الذي ترنو إليه القلوب، وتتطلّع إليه العيون، وفي كل لحظة تتوقّع البشرية مفاجأة ظهوره، وهي تستعد لتكون معه في مسيرة التحرير والإنتصار..؟

إنّ علماءنا القدامى كالنعماني والطوسي في غيبتيهما، وابن طاووس في ملاحمه، والشيخ المفيد في إرشاده، وغيرهم ممّنْ تناول هذا الموضوع، فقد جمعوا ما وصل إليهم من أحاديث - وكما وصلت إليهم - وفيها الصحيح والضعيف والمجهول والمنحول وهكذا - فجزاهم الله خيراً حيث تسلّموا ما وصل إليهم وما ائتُمنوا عليه وما وصل إليهم كما هو.

لم تعمل أيديهم في حذف أو زيادة أو إسقاط، بل كما وصلتْ هذه المادة أدّوها بأمانة وصدق في كتبهم، وهذه فضيلة تُضاف إلى فضائلهم ومنقبة تزيد في مناقبهم حيث حفظوا ما وصل إليهم وقد أدّوا دورهم بنجاح وفازوا بما كتبوا...

ومن هنا يأتي دور مَنْ بعدهم ممن يبحث ويحقق ويكتب، وعليه تقع مسؤولية إختياره وما يتبنّاه من أفكار وآراء وطروحات، فلربما اعتمد على رواية يصعب تصديقها في زمان صدورها، ولكنّ الواقع - بعد ردح من الزمن - صدّقها وجاء هذا الواقع كما أخبرت به - ولرب أمر ورد في رواية بَعْدُ إلى الآن يصعب الإيمان بها، ولكن ربّما في المستقبل يأتي ما يصدّقها، ولذا يجب أن نحتفظ بها، وإذا لم نجد تفسيراً مقبولاً لها نردّ علمها إلى أهلها ممّن صدرت عنهم وهكذا...

إنّ كلّ ما يُكتب في الإمام المهدي، إذا لم يخالف ما ورد في القرآن الكريم، ولم يخالف دليل العقل - بحيث إنّ العقل لا يحكم باستحالته - فلا غرابة أن يتبنّاه من يريد توضيح فكرة وردتْ عن الإمام المهدي، فإن هذه الشخصية إستثنائية لها خصائص ومميّزات تفردها عن غيرها، ولا تخضع في بعض الأحيان، للأسباب المعتادة أو المألوفة في سيرة البشر...

نعم، إنّ ما عُلم على وجه اليقين كذبه من الأخبار، يجب إهماله وعدم الإعتماد عليه، ومن هنا وقع بعض الكتّاب في خطأ الإعتماد على بعض الروايات التي يصرّح بنفسه أنها ضعيفة ومتهافتة في نصوصها، ومع ذلك اعتمدها وأخذ يتحدّث عنها وعن مضمونها، وهذا منهج غير مقبول لا عقلاً ولا نقلاً.

٧- إن كتابنا -الإمام المهدي عليه السلام عدالة السماء- الذي بين أيدينا جاء شاملاً في عناوينه، تحفة في مضامينه، نطل من خلاله على سيرة ومسيرة آخر رصيد السماء إلى أهل الأرض، وهو آخر العلامات لاقتراب الساعة وقيام القيامة. وقد جاء هذا الكتاب ملبيّاً للكثير من التطلعات التي تراودنا والتساؤلات التي نتعرض لها.

وأخيراً: برجاء أتطلع إلى سيدي المهدي أن يشملني بعطفه فيتقّبل مني هذا العمل المتواضع، ويكحل ناظري برؤيته ولا يحرمني شرف الجهاد بين يديه.

وأقول بخشوع وخضوع، كما قال إخوة يوسف له إسترحاماً وإستعطافاً «**أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضرّ وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا إن الله يجزي المتصدقين**»[1].

فيا سيدنا المهدي، مسَّنا وأهلَنا الضرُّ وعلى يديك يكون الخلاص والفرج، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته...

بيروت في ٢٠١٢/٧/٢

السيد عباس علي الموسوي

«**أبو علي**»

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٨.

من هو الإمام المهدي عليه السلام

مَنْ هو هذا الرجل العظيم والشخصية الكبيرة التي اهتمَّ بها النبيُّ محمد صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام

وتطلعت إليها عيون الناس واشرأبّت إليها أعناقهم، واعتقد بها المسلمون قاطبة، بغض النظر عن التفصيلات؟

مَنْ هي هذه الشخصية التي تدخَّلت يد الغيب لتكشف عنها، بعد أن تدّخرها لفترة من الزمن قد تطول وقد تقصر؟ شخصيّة المهديّ المنتظر التي يدين بها الناس وتنتظر خروجها والفرج على يديها، هي شخصية واضحة الإسم والرسم، كشف عنها النبي صلى الله عليه وآله وأبان خصوصيتها حتى كأنك تراها أمامك شاخصة – وهي كذلك لا محالة – لأنها حية ترزق تعيش بين الناس وتتنقل في مجتمعاتهم وتعيش آلامهم وآمالهم وتتدخل في المفاصل الرئيسية لكي تسدّ الأمة وتنقذها من براثن الطغاة والمجرمين وتأخذ بأيديها وأيدي الناس لما فيه الخير والصلاح.

شخصية المهدي المنتظر بشّر بها النبي صلى الله عليه وآله قبل الولادة وتتابع الأئمة في البشارة بها، وقد عيّنوها بالإسم لئلا تضلّ الأمة أو تنحرف أو يأخذها التيه إلى غيرها ممّن لا يرون لله حرمة فيخالفون تعاليمه لأدنى شبهة، ويسلكون غير سبيله لنفوس مريضة وقلوب لم يدخل الإيمان فيها.

من هو المهدي؟ إنه الإمام – أبو القاسم – محمد إبن الإمام الحسن العسكري إبن الإمام علي الهادي إبن الإمام محمد الجواد إبن الإمام علي الرضا إبن الإمام موسى الكاظم إبن الإمام جعفر الصادق إبن الإمام محمد الباقر إبن الإمام علي بن الحسين إبن الإمام الحسين – سيد الشهداء – إبن الإمام علي بن ابي طالب

زوج البتول فاطمة الزهراء عليها السلام إبنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فالمهدي يرجع نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق ابنته الزهراء، عن طريق الحسين - أحد سبطيه - وسيد شباب أهل الجنة - وهذا النسب الشريف لو قرئ على المجنون لأفاق، أو قرئ على المريض لأعطاه الله الشفاء، ولو توجّه إليه الناس بحاجاتهم لقُضيتْ حاجاتهم مهما كانت عظيمة وجليلة؛ لأن هذه السلسلة المباركة أكرم الخلق على الله، وأقربهم منه، وأخصهم لديه، وأكمل الناس على الإطلاق، يصحّ التوجّه إليهم والتوسل بهم وقضاء الحاجات ببركاتهم.

أم الإمام المهديّ عليه السلام

لا شكّ أنّ أُمّهات الأنبياء والأئمة عليهم السلام في أرقى درجات الإيمان والتقوى؛ لأنهنَّ أوعية لأطهر الناس وأكثرهم قرباً من الله. فإن العقول السليمة تأبي قبول الطيّب والطاهر في وعاء نجس يحمل الرجز؛ لأن ذلك له أثر على الطيّب نفسه، وهذا ما اعترف به العلم الحديث، فضلاً عن الدين الذي يحكم بسراية النجاسة وانتقالها من شيء إلى آخر بالملامسة والاتصال..

من هنا نعرف، على وجه اليقين، أنّ أمَّ الإمام المهديّ كانت في غاية الطهر والإيمان وإن كانت أَمَةً إشتراها الإمام الهادي وأعتقها وزوّجها لولده الإمام العسكري فأنجبت له الإمام المهدي المنتظر....

لأمّ الإمام المهدي أسماء أهمّها «**نرجس**» وهو الأكثر شهرة و«**صقيل**» و «**سوسن**» و «**مليكة**» و «**ريحانة**» وهذا التعدد للأسماء جاء مقصوداً وهادفاً من أجل أن لا تنكشف أم المهدي وتتعيّن بشخصها ممّا يجعلها هدفاً للسلطة، أو تشكّل المعرفة بها خطراً على المهديّ نفسه. وهذا المعنى يمكن إدراكه والوقوف عليه من خلال ما جرى بعد وفاة الإمام الحسن العسكري، وكيف تولّت السلطة تفتيش بيته بدقّة وبحثت عن أولاده ومَنْ يكون الخلف له والوارث لتركته، حتى أبقت تحت الرقابة وفي الإقامة القسرية نساءه كي تتيقن بأنهنّ لسن حوامل ولا أولاد لهنّ...

كان لأمّ الإمام المهدي نسب يتصل بوصي المسيح - شمعون - وكانت على جانب عظيم من العقل والطهر والعفة والاستقامة، فإنها أسلمت وتعلّمت الفرائض والسنن ثم تزوجها الإمام العسكري وأنجبت الإمام المهدي الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعدما تُملأ ظلماً وجوراً...

ولادة المهدي عليه السلام

وُلد الإمام المهدي صبيحة ليلة الجمعة الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ خمس وخمسين ومائتين للهجرة النبويّة المباركة في مدينة سامراء - العراقية - حيث كانت السلطة الحاكمة قد فرضت على أبيه إقامة قسريّة فيها لكي يبقى تحت نظرها تخوفاً منه على حكمها المتداعي للسقوط والانهيار...

ليلة الولادة كانت السيدة «**حكيمة**» بنت الإمام الجواد وعمّة الإمام العسكري تنام عند الإمام بطلب منه - وكان قد أخبرها بولادة ولد له من السيدة نرجس، وعند طلوع الفجر تولّت السيدة حكيمة ما تتولّاه النساء من بعضهنّ عند الولادة فولد الإمام، وعندها حملته عمته إلى أبيه فتولّى مراسيم الولادة التي تتمّ في العادة من الأذان في الأذن اليمنى والإقامة بالأذن اليسرى وعقّ عنه بكثير من أكبش الغنم، وأيضا تصدّق عنه بالكثير من الخبز كما هو مذكور في الأخبار.

حكمة الإمام العسكري عليه السلام عند الولادة

عند ولادة الإمام الحجّة كان على أبيه الإمام الحسن العسكري مهمّة صعبة جداً إذ عليه أن يعرّف شيعته بولادته وأنه الحجة بعده ليؤمنوا به ويرجعوا إليه، وأيضاً عليه مهمّة أخرى أعظم من الأولى وهي أن يحفظه من السلطة التي تحبس أنفاسها وتريد أن تقبض عليه وتقضي على حياته لأنه يهدّ عرشها، وهو الذي يقضي عليها وعلى ظلمها. ويبدو أن الجمع بين هذين الأمرين في غاية الصعوبة. ولكن الإمام العسكري بحكمته ودرايته عالجهما

بمنتهى الدقّة والحيطة والحذر، واستطاع أن يوفّق بينهما بأروع ما يكون، بحيث يحفظ حياة ولده الإمام المهديّ من جهة، ويصبح أيضاً لشيعته معرفة كاملة وافية بولادته.

الإمام العسكري عليه السلام يُعرّف بولده

تولّى الإمام العسكري تعريف الخاصّة من شيعته بولادة الإمام المنتظر، فتارة يعرضه عليهم، كما وقع في اليوم الثالث لولادته حيثُ عرضه عليهم وقال: هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً.

وتارة يكتبُ - عند ولادة ولده القائم- وبالخطّ الذي كان يُصدِر به التوقيعات وهو معروف عند خاصته ومَنْ كان يكتب لهم، كما وقع لأحمد بن الحسن بن إسحاق القمي، يقول: «**لما ولد الخلف الصالح ورد من مولانا أبي محمد الحسن بن علي «العسكري»** على جدي أحمد بن إسحاق كتاب، وإذا فيه مكتوباً بخطّ يده الذي كان يرد به التوقيعات عليه: وُلد المولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإنّا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والمولى لولايته، أحببنا إعلامك ليسرّك الله به كما سرّنا، والسلام.

وتارة يأمر الإمام بعض أصحابه بقوله: «**إشترِ عشرة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف رطل لحمٍ وفرّقه - أحسبه قال: على بني هاشم وعقّ عنه بكذا وكذا شاة...**

ومرّة يدخل عليه الحسن بن الحسين العلوي بسُرَّ من رأى فيهنئه بولادة إبنه القائم، وبرواية أخرى عنه «**فهنّأته بسيدنا صاحب الزمان لمّا ولد**».

هكذا تمّ إخبار خاصّة الإمام العسكري بولادة الحجّة المنتظر، وأصبح

معلوماً عند الشيعة ولادته يضاف إلى ذلك ما سوف يأتي من ردّ عمّه جعفر الكذّاب عند الصلاة على أبيه ليتولىّ هو - الحجة - بنفسه الصلاة عليه، وقد ذُهل من حضر لهذا المشهد الذي كان مفاجأة سريعة بمقدار الصلاة، ثم غاب عن الأنظار، وهكذا إلى عشرات من الحالات التي كشفتْ عن ولادته ووجوده وأنه الخليفة بعد أبيه، يضاف إلى ذلك ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم - قبل ولادة المهدي- ثم ما ورد عن الأئمة حيث تناولوا جميعاً إبراز هذه الشخصية وبشّروا بها ووعدوا الناس بعدلها وما تحقّقه من عزّ وكرامة ورفاهية وإعادة حكم الإسلام المحمديّ، كما أنزله الله، وأنّ المهديّ ثاني عشر الأئمة وخاتمهم وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تُملأ ظلماً وجوراً....

حماية العسكري عليه السلام لولده

قلنا إنّ على الإمام العسكري أن يعلن ولادة الإمام المهديّ وقد تولىّ ذلك بما يقطع الشك ويحصل اليقين بولادته، وبقي عليه المهمّة الأخرى وهي حمايته من السلطة التي تراقب بيت الإمام العسكري، وتحاول بشتى السبل أن تعرف هل ولد للعسكري ولد لكي تلقي القبض عليه وتنتهي من قضيّة أقضَّتْ مضجعها وحرمت عيونها النوم فتأرقت خوفاً على مصيرها، حيث وصلت الأنباء ووقفت على أن هذا المولود سيدمرّ حكمها ويقضي على ظلمها...

إستطاع الإمام العسكري أن يؤمّن الحماية لولده قبل ولادته حيث أخفى أمّه بين عدد من نسائه وإمائه حتى أطلق على أمّ المهديّ عدّة أسماء، كما ذكرنا سابقا، تمويهاً على السلطة فلا تتعيّن الأمّ الحقيقية للمهديّ - كما أمر عمّته حكيمة وحدها أن تتولّى عملية الولادة وأيضا بعد الولادة لم يعلن إعلاناً عامّاً نبأ الولادة، بل إقتصر في الإعلام على أخلص شيعته وأشدّهم ولاءً وطاعةً والتزاماً.

ومن التدابير الحكيمة التي اتخذها الأئمة أنهم أصدروا حُكْماً بحرمة ذكر إسم المهدي في الملأ - فحتى الإسم أصبح محظور التداول - يقول أبو هاشم الجعفري «**سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول «الخلف من بعدي الحسن إبني فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف، قلت: «الراوي» ولِمَ جعلني الله فداك؟ فقال: لأنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره بإسمه، قلت: الراوي» فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجّة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه.**

وعن أبي الحسن الثالث قال: لا يحلّ ذكره بإسمه حتى يخرج فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً. وهكذا ورد الحديث عن الصادق والكاظم وفي بعضها تعليل لهذا المنع بقولهم «**إن دللتهم على الاسم أذاعوه وإن عرفوا المكان دلّوا عليه...**

والحجّة نفسه يقول في بعض توقيعاته: ملعون ملعون من سمّاني في محفل من الناس....

طبعاً هذا الحظر كان في زمن الغيبة الصغرى لأنّ السلطة تطلبه وتطارد شخصه، أمّا في الغيبة الكبرى فإن إسمه أصبح نشيداً وذكراً وتسبيحاً يعشقه كل حرّ أبيّ ويترنَّم به الشعراء والكتّاب، ويستنجد به المضطرون والمحتاجون، ويتوجه به إلى الله كلّ مكروب قد مسّه الدهر بفجائعه ومصائبه... إسم المهدي دواء لكل العلل، وبه يشفى المرضى وبه تُحلّ عُقد المكاره مهما كانت صعبة وقاسية. فسلام على المهدي حيث يحلّ وحيث يقيم وحيث يرحل وحيث يتحرّك...

أسماء المهدي وألقابه

للإمام محمد بن الحسن المهدي عليهما السلام أسماء كثيرة وكل إسم له منشأ وأساس ينطلق مما يحويه الإسم نفسه وأهم الأسماء هي – محمد وهو أصل الأسماء الذي سمّاه به أبوه العسكري وبشّر به النبي صلى الله عليه وآله في حديثه وكذلك الأئمة بعده وإسمه أيضا، المهديّ وهو أشهر الأسماء وأهمّها وبه جاءت الأحاديث المتواترة من طرق السُّنة والشيعة ويمكننا القول إنّ عليه الإجماع بين جميع المسلمين.

ومن أسمائه: الإمام المنتظر، وصاحب الزمان، والسيد، والخَلَف المهدي، والقائم، وولي الله، والخلف الصالح، وبقيّة الله، والحجّة.

كنيته:

يكنى الإمام المهدي: أبا القاسم بكنية جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

أوصاف الإمام المهدي

رجل تدّخره السماء لأعظم مهمّة في تاريخ الإنسانية، لابُدَّ وأن يكون على جانب عظيم من الصفات الجليلة التي تشكّل جزءاً من الكمال الذي تتوق إليه النفوس، وتنجذب إلى من يحمل تلك الصفات، فإن من الفطرة الميل إلى الكمال، وهذا إذا كان في القائد فإنه من الدواعي التي تنقاد إليه النفوس برغبة وطواعية، ويكون لذلك أثر كبير في حركة المؤمنين بهذه القيادة، من حيث الإلتزام بأوامرها، وتنفيذ تلك الأوامر، وبأكمل ما يكون وأسرع ما يكون، تنفيذاً لأمر من يحبون...

الإمام المهدي شخصية تتمتّع بمواصفات رائعة، إذا نظرت إليها جذبتك فأحببت النظر إليها والإستماع إلى أوامرها، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ما يظهر هذه الشخصية العظيمة قبل ولادتها ووجودها في الحياة، وهذا بعض من علم الغيب الذي أطلع الله عليه رسوله محمداً، وهو بدوره أطلع ذريته عليه، وهذه الأوصاف - كما نفهم - تختلف باختلاف عمر الإمام المهدي، وإن كان بعضها ثابتاً لا يتغيّر؛ ولذا إذا وجدت بعض الاوصاف مختلفة، فما ذلك إلا لإختلاف سنّ الإمام المهدي وكون بعض الصفات لبعض المراحل من عمره دون المراحل الأخرى، وأنظر رعاك الله، إلى أوصافه كما وردت عند إخواننا أهل السنة:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المهديّ مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**».

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المهدي منّا، أجلى الجبين، أقنى الأنف**».

٣- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ليبعثن الله من عترتي، رجلاً أفرق الثنايا، أعلى الجبهة يملأ الأرض عدلاً، يفيض المال فيضاً**».

٤- قال رسول الله ﷺ: «**بينكم وبين الروم أربع هدن، يوم الرابعة على يديْ رجل من أهل هرقل يدوم سبع سنين**».

فقال له رجل: يا رسول الله، من إمام الناس يومئذ؟

قال: «**المهدي من وُلدي، إبن أربعين سنة كأنّ وجهه كوكب درّي، في خدّه الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيتان كأنه من رجال بني إسرائيل، يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك...**

٥- قال رسول الله ﷺ: «**المهدي رجل من وُلْدي وجهه كالكوكب الدريّ**.

٦- قال رسول الله ﷺ: «**المهدي رجل من وُلدي، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، على خدّه الأيمن خال، كأنه كوكب دريّ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير في السماء**».

٧- قال رسول الله ﷺ: «**المهدي أزج**[1]**، أبلج، أعين**».

٨- وعن علي بن أبي طالب عليه السلام: «**كثّ اللّحية، أكحل العينين، برّاق الثنايا، في وجهه خال، في كتفه علامة النبي ﷺ**».

٩- عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «**المهديّ مني من قريش، آدم، ضرب من الرجال**»[2].

هذه الصفات للمهدي إعتمدتُ في نقلها على كتاب «**العرف الوردي في أخبار المهدي**» للسيوطي الشافعي وهو كتاب خاص في المهدي ألّفه صاحبه - وهو واحد من عشرات الكتب التي ألفها إخواننا أهل السنة في المهدي أخذت منه هذه المجموعة المختصة بصفات الإمام المهدي، وإلا فالكتاب يتناول ما ورد عن النبي ﷺ في المهدي وفيه إطلالة جيدة على بعض ما ورد في الإمام عليه السلام.

---

(١) الأزج = تقوس في الحاجب مع طول طرفه وإمتداده/والأبلج هو مشرق الوجه مضيئة/ أعين = أسود العين مع سعتها.

(٢) ضرب من الرجال: المراد به الخفيف اللحم الممشوق القوام.

ما ورد من صفات للإمام المهدي عند الشيعة

لا شك أنّ ما ورد من طرق الشيعة من صفات للإمام المهدي لا يقلّ عمّا ورد عند أهل السنة؛ لأنّ المهدي الإسلامي الشيعي واضح الحسب والنسب، له تاريخ ميلاد ومسيرة حياة، وما ورد فيه يحمل وصفاً كاملاً متكاملاً من غيبته الصغرى إلى الكبرى ثم الفرج له بالخروج والظهور، وأين يخرج وكيف يلتقي بأصحابه، وكيف يتأتّى له النصر على أعدائه. وهكذا تتوالى الأوصاف له ولحركته حتى كأنك تصف موجوداً قائماً أمامك - وهذا أمر واقع - نقله النبي صلى الله عليه وآله قبل ولادة المهديّ وكذلك الأئمة بعده بحيث تكتمل صورة المهديّ من ألفها إلى يائها، لا يبقى فيها سر أو لغز إلا وينكشف، لأنّ أمره أوضح من الشمس وأظهر من الأمس.

وردت الأحاديث في وصفه هكذا:

١- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**يخرج رجل من وُلدي في آخر الزمان، أبيض، مشرّب حمرة، مبدح البطن - أي واسعة وعريضة - عريض الفخذين - عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان، شامة على لون جلده وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله له إسمان، إسم يخفى وإسم يعلن، فأما الذي يخفى فأحمد وأما الذي يعلن فمحمد، فإذا هزّ رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب، ووضع يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشدَ من زبر الحديد - أي قطع الحديد - وأعطاه الله قوّة أربعين رجلاً ولا يبقى ميت إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قلبه وفي قبره، وهم يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم عليه السلام ...**

٢- وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال عن صفة المهدي: «**هو شاب مربوع، حسن**

الوجه حسن الشعر يسيل شعره على منكبيه، ونور وجهه يعلو سواد لحيته، ورأسه بأبي ابن خيرة الإماء»[١].

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**هو رجل أجلى الجبين، أقنى الأنف، ضخم البطن..أفلج الثنايا..**».

٣- وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**ذاك المشرّب حمرة، الغائر العينين المشرف الحاجبين، عريض ما بين المنكبين..**».

٤-وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصفه للإمام علي عليه السلام: «**.... ذاك الذي وجهه كالدينار، وأسنانه كالمنشار، وسيفه كحريق النار....يكتنفه جبرائيل وميكائيل**[٢]..».

---

(١) البحار، ج٥١ ، ص٣٦.

(٢) غيبة النعماني، ص ٢٤٧.

قوة المهدي البدنية

المهدي صاحب قضية مميَّزة ومهمة مميَّزة وتبعاً لذلك يجب أن يكون شخصيّة مميَّزة في كل شيء، لكي يروي القلوب ويملأ العيون ويخضع له العظماء، إعترافاً منهم بتفوقه، وإقراراً منهم بلياقته لمقامه ومنزلته، ولذا وردت الأحاديث في وصفه، وفي جملة ما تناولته الأحاديث قوة المهدي البدنية وقدرته التي منحها الله له، فهو صاحب إقتدار مميَّز لا يشاركه فيه غيره مهما أُعطي من قوة.

يقول الإمام الرضا عليه السلام فيه: «**وإنّ القائم هو الذي إذا خرج كان في سنّ الشيوخ ومنظر الشباب، قويّاً في بدنه حتى لو مدّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسى وخاتم سليمان...**[1]».

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٢.

عيسى يصلّي خلف المهدي

بعد المؤامرة التي دبّرها اليهود لقتل نبي الله عيسى، وحاولوا إلقاء القبض عليه وصلبه ألقى الله شبهه على بعض تلاميذه الخونة، وأمّا عيسى فقد رفعه الله إليه وإحتفظ به إلى مهمّة عظيمة إنتدبه لها مع المهديّ المنتظر، فإنّ الله سبحانه سينزله إلى الأرض ليكون عوناً للمهدي وداعية له يساعده في أشرف مهمّة وأعدل قضيّة. وقد جاءت الأخبار بهذا المعنى وأصبح أمر نزول المسيح وصلاته خلف المهدي يعرفه كل مؤمن له أدنى معرفة وإطلاع على أحداث خروج المهدي وما يجري معه. وهنا ندرك السرّ في حفظ المسيح من القتل ورفعه إلى السماء والإحتفاظ به هذا العمر المديد ليعود مع المهدي فاتحاً ومنتصراً ففي البحار ينقل عن رحلة النبيّ في معراجه أنّ الله سبحانه يقول له «**وأعطيتك أن أخرج من صلبه - من صلب علي - أحد عشر مهديّاً كلهم من ذريتك من البكر البتول، آخر رجل منهم يصلي خلفه عيسى بن مريم يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، أنجي به من الهلكة، وأهدي به من الضلالة..**[1]».

وعن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**ما منّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم..**».[2]

وهذا ابن خلدون، مع تشدّده وبغضه لأهل البيت وتحامله عليهم لأنه عثماني النزعة والهوى، فإنه لم ينكر او يتنكر للمهدي وصلاة المسيح خلفه، عندما ينزل لنصرته. يقول في مقدمته المشهورة ما نصه: إنّ المشهور من الكافة من أهل الإسلام على مرّ الأعصار، أنه لابُدَّ في آخر الزمان من خروج الدجال وما بعده

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢٧٩.

من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتمّ بالمهدي في صلاته[١].

وينقل القمي في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجاج بأن آية في كتاب الله قد اعيتني، فقلت أيها الأمير: أيّة آية هي؟

فقال: قوله: «**وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قبل موته**» والله إني لآمر باليهودي والنصراني فيُضرب عنقه ثم أرمقه فما أراه يحرّك شفتيه حتى يخمد.

فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأوّلت.

قال: فما هو؟

قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملّة يهوديّ ولا نصرانيّ الا آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي.

قال: ويحك أنىّ لك هذا ومن أين جئت به؟

فقلت حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

فقال: جئت بها والله من عين صافية.

حقائق يجب الوقوف عندها

في المقام حقائق يجب أن نعرفها ونؤمن بها.

١- أن المسيح حيٌّ يُرزق رفعه الله إليه ولم يَجْرِ عليه صلْب أو قتْل.

٢- أن المسيح كان قبل المهدي وهو مستمرّ في حياته إلى أن يقوم المهدي فينزل ويساعده في تحقيق أهدافه وما يصبو إليه.

٣- أن المسيح يصلي خلف المهديّ لأنّ المهديّ هو الإمام الفعلي وله القيادة والريادة.

---

(١) مقدمة إبن خلدون، ص ٣١١.

٤- أن مهمّة المسيح مساعدة المهديّ ومعاونته ويكون لنـزوله أثر عظيم في تفهّم المسيحيّين لدعوة المهدي، فهو نبيُّهم والمخلّص لهم ينتظرونه منذ رفعه الله إليه فإذا رأوه وعرفوه ووقفوا على مهمّته وما يريد منهم كان ذلك أدعى لإجابتهم له وأكثر تقبُّلاً لما يدعوهم إليه..

٥- يجب أن نعرف أسرار الاحتفاظ بالمسيح حيّاً حتى يخرج المهديّ فإنّ أهمّ الأسرار أن نعرف أنّ غيبة المهدي عن الأنظار هذه المدة ليست غريبة ولا مستهجنة ولا توجب شكّاً أو تردداً فيما جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من غيبته وإن طالت مدتها، فإنّ غيبة المسيح أطول وأيضاً من أسرار غيبة المسيح وبقائه حياً أن يعود ليساعد المهدي ويعينه في مهمّة بسط العدل في طول الأرض وعرضها.

المهدي عليه السلام على كل لسان

أخذتْ قضيّة المهديّ اهتماماً خاصّاً في الإسلام، فهي من العقائد الأساسية، ولبنة من لبنات الإمامة التي بدونها يبطل الإيمان وتبور الأعمال، وقد وردت فيها الأحاديث وتواترت تلك الأحاديث وأصبحت من المسلّمات التي لا يناقش فيها إلا متعصب غبيّ يريد إطفاء نور الشمس في وسط النهار ويأبى الله إلا أن يُتمَّ نوره ولو كره المشركون...

ابتدأت البشرى بالمهدي عن لسان النبي صلى الله عليه وآله فهو الذي بلّغ المسلمين بظهوره وتداولت الصحابة ما ورد عنه من أحاديث وأخذوا يسألونه عن نسبه ودوره وغيبته وأصحابه وعلامات ظهوره ومتى يكون، فكان يجيبهم عن كل ذلك، وترسّخت هذه العقيدة في الأذهان وتداولتها الألسن وتناقلتها الرواة...

لم تبلغ عقيدة إسلامية ما بلغته عقيدة المهدي فلم يبق محدّث معروف كأصحاب الصحاح والسنن والمجاميع الروائية إلا وأدرج أحاديث المهديّ في كتابه، حتى وصلت إلينا مجموعة ضخمة تتناول تفاصيل حياة المهديّ بدءاً من الولادة إلى الغيبة، فعلامات الظهور ثم الظهور وبعده وما يجري من أحداث حتى إقامة دولة العدل المنشودة التي بشّر بها النبيّ صلى الله عليه وآله وتنتظرها الأجيال البشرية بفارغ الصبر...

إنّ إطلالة سريعة على ما جاء في الكتب التي توفّرت على دراسة قضّية المهدي وما ورد فيها من أحاديث، تكشف أنها قضّية فاقت التواتر وتجاوزته لتصبح من بديهيات العقائد في الإسلام ومن المسلّمات التي لا يطرأ عليها شك أو تردد.

أحصى آية الله السيد صدر الدين الصدر في كتابه «**المهدي في كتب الصحاح**

والسنن» أربعمائة حديث رواها أبناء العامّة في كتبهم.

أمّا الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام فهي أضعاف ما ورد عن طرق العامّة إذ قضيّة المهدي قضيّة الإسلام وأهل البيت هم المسؤولون عن هذا الإسلام حفظاً له ورعاية لأحكامه ودفعاً للشبهات عنه.

وأما كتاب «**منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر**» لآية الله الشيخ لطف الله الصافي فقد جاء آية في الإحصاء والمتابعة وأبدع فيما جاء به، فهو موسوعة ضمّت في طيّاتها ما تفرّق في بطون الكتب حتى جمع الرقم القياسي إذ بلغ عدد ما أحصاه من طريق الفريقين - السنه والشيعة - خمسة آلاف وثلاثماية وثلاثة أحاديث (٥٣٠٣) في المهدي.

ونحن هنا ننقل بعض ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام تبرّكاً بذكر المهديّ وبذكر من نقل هذه الأحاديث وقد أجمع الأئمة على نشرها وبيانها وهذه عيّنات من ذلك...

بعض ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله من طرقنا في المهدي عليه السلام

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى يقوم القائم الحقّ منّا وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ فأتوه ولو على الثلج فإنه خليفة الله عزَّ وجلَّ وخليفتي».[١]

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر أوّلهم أخي وآخرهم ولدي».

قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أخوك؟

قال: «علي بن أبي طالب عليه السلام».

قيل: فمن ولدك؟

قال: «المهدي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهديّ فينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنورها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»[٢].

٣- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهديّ يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحقّ نبّياً لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه وتشرق الارض بنورها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب».

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٦٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٥١، ص ٧١.

٤- قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يُخرج رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»(١).

٥- عن رسول الله ﷺ: «إنّ المهدي من عترتي، من أهل بيتي يخرج في آخر الزمان تُنزل له السماء قطرها وتُخرج له الأرض بذرها فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأها القوم ظلماً وجوراً»(٢).

٦- قال رسول الله ﷺ: «الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أنت، يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتح الله تعالى ذكرُه على يديه مشارق الأرض ومغاربها»(٣).

٧- وعن النبي ﷺ: «هو رجل من ولد الحسين كأنه من رجال شنؤة عليه عباءتان قطوانيتان اسمه اسمي، فعند ذلك تفرح الطيور في أوكارها والحيتان في بحارها وتمدّ الأنهار وتفيض العيون وتنبت الأرض ضعف أكلها، ثم يسير مقدّمته جبرئيل وساقته إسرافيل فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»(٤).

---

(١) المصدر نفسُه، ج٥١، ص ٧٢.

(٢) المصدر نفسُه، ج٥١، ص ٧٤.

(٣) كمال الدين، ج١، ص ٣٨٩. وعيون الأخبار والبحار، ج ٥٢، ص ٣٧٨.

(٤) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٠٤.

ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام

١- في الكافي: عن الاصبغ بن نباتة قال: أتيت أميرالمؤمنين عليه السلام فوجدته متفكّراً ينكت في الأرض فقلت: يا أمير المؤمنين مالي أراك متفكراً تنكت في الأرض أرغبة منك فيها؟

فقال: «**لا والله ما رغبت فيها، ولا في الدنيا يوماً قط، ولكني فكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي وهو المهديّ الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً**»[1].

٢- عن أمير المؤمنين مخاطباً ولده الحسين عليه السلام قال: «**التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحقّ المظهر للدين والباسط للعدل**»

قال الحسين عليه السلام: فقلت له: «**يا أمير المؤمنين وإنّ ذلك لكائن؟**»

فقال عليه السلام: «**إي والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة واصطفاه على جميع البريّة ولكن بعد غيبة وحيرة، فلا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله عزّ وجلّ ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه**».[2]

٣- عن مالك بن ضمرة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**يا مالك بن ضمرة كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا وشبّك أصابعه وأدخل بعضها في بعض فقلت: يا أمير المؤمنين ما عند ذلك من خير، قال: «الخير كله عند ذلك يا مالك، عند ذلك يقوم قائمنا فيقدّم سبعين رجلاً يكذبون على الله وعلى رسوله**

---

(١) الكافي، ج١، ص ٢٧٣.

(٢) كمال الدين، للصدوق.

فيقتلهم، ثم يجمعهم الله على أمر واحد»[١].

٤- عن فرات بن أحنف قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام وذكر القائم فقال: **«لَيغيبنَّ عنهم حتى يقول الجاهل: ما لله في آل محمد حاجة»**.[٢]

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٥٢، ص١٠١.

ما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام

١- في كمال الدين للشيخ الصدوق عن أبي سعيد عقيصاء قال: لما صالح الحسن بن علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته عليه السلام فقال: «**ويحكم ما تدرون ما عملت؟**

والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أوغربت، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم وأحد سيِّدَيْ شباب أهل الجنة، بنصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قالوا: بلى.

قال: أما علمتم أنّ الخضر لمّا خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة فيه، وكان ذلك عند الله حكمة وصواباً؟ أماَ علمتم أنه مامنّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه فإنّ الله عزَّ وجلَّ يخفي ولادته ويغيِّب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهر بقدرته في صورة شاب ابن دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أنّ الله على كل شيء قدير[1]؟

٢- وعن الإمام الحسن بن علي صلوات الله عليهما قال: «**ما منّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم فإنّ الله عزَّ وجلَّ يخفي ولادته ويُغيِّب شخصه لئلّا يكون لأحد**

---

(١) المصدر نفسه، ج٥١، ص١٣٢.

في عنقه بيعة إذا خرج ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهر بقدرته في صورة شاب ابن دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أنَ الله على كل شيء قدير[١].

(١) بحار الأنوار. ج ٥٢. ص ٢٧٩.

ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام

١- عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «قال الحسين بن علي صلوات الله عليهما: في التاسع من ولدي سُنَة من يوسف وسُنَة من موسى بن عمران، وهو قائمنا أهل البيت يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة».[١]

٢- عن عبد الرحمن بن سليط قال: قال الحسين بن علي صلوات الله عليهما: «منّا اثنا عشر مهديّاً أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من وُلدي وهو الإمام القائم بالحق يُحيي الله به الأرض بعد موتها ويُظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون له غيبة يرتدّ فيها أقوام ويثبت على الدين فيها آخرون فيودون ويقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، أما إنَّ الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله».[٢]

٣- عن عيسى الخشاب قال: قلت للحسين بن علي عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ قال: «لا ولكن صاحب هذا الأمر الطريد الشريد الموتور بأبيه المكنّى بعمّه يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر».[٣]

٤- عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «قائم هذه الأمة هو التاسع من وُلدي، وهو صاحب الغيبة، وهو الذي يقسم ميراثه وهو حيّ».[٤]

---

(١) المصدر نفسُه، ج٥١، ص ١٣٢.

(٢) المصدر نفسُه، ج٥١، ص ١٣٢.

(٣) المصدر نفسُه، ج٥١، ص ١٣٢.

(٤) كمال الدين، ج٢، ص٣١٧.

ما ورد عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في الحجة عليه السلام

١- عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه في حديث اللوح: م، ح، د يخرج في آخر الزمان على رأسه غمامة بيضاء تظلّه من الشمس تنادي بلسان فصيح يسمعه الثقلان والخافقان: هو المهدي من آل محمد يملأ الأرض عدلاً كما مُلئتْ جوراً[١].

٢- عن حمران عن أعين عن سعيد بن جبير قال سمعت سيد العابدين علي بن الحسين يقول: القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة[٢].

٣- عن حمران بن أعين عن سعيد بن جبير قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين يقول: في القائم منّا سنن من الأنبياء سُنّة من أبينا آدم وسُنّة من نوح وسُنّة من إبراهيم وسُنّة من موسى وسُنّة من عيسى وسُنّة من أيوب وسُنّة من محمد صلى الله عليه وآله فأمّا من آدم ونوح فطول العمر، وأمّا من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس وأمّا من موسى فالخوف والغيبة وأمّا من عيسى فاختلاف الناس فيه وأمّا من أيوب فالفرج بعد البلوى وأمّا من محمد فالخروج بالسيف[٣].

٤- عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: تمّتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده، يا أبا خالد إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته المنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٧٨.

(٢) كمال الدين، ص٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة بمنزلة المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً[١].

٥- عن عمر بن ثابت قال: قال سيد العابدين عليه السلام: من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد[٢].

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ١٢٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ١٢٥.

ما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام

عن محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر يقول: القائم منّا منصور بالرعب، مؤيّد بالنصر تُطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويُظهر الله عزَّ وجلَّ به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلا قد عُمّر، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه.

قال: قلت: متى يخرج قائمكم؟

قال: إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وركب ذوات الفروج السروج وقُبلتْ شهادات الزور ورُدّتْ شهادات العدوول، واستخفّ الناس بالدماء وارتكاب الزنى وأكل الربا واتُّقي الأشرار مخافة ألسنتهم وخروج السفياني من الشام واليماني من اليمن، وخُسف بالبيداء وقُتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية، وجاءت صيحة من السماء بأنّ الحقّ فيه وفي شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وأوّل ما ينطق به هذه الآية ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾[1] ثم يقول: أنا بقيّة الله في أرضه وخليفته وحجّته عليكم فلا يسلّم عليه مسلّم إلا قال: «السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه، فإذا اجتمع إليه العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج فلا يبقى في الأرض معبود دون الله عزَّ وجلَّ من صنم ووثن وغيره إلا وقعت فيه نار فاحترق، وذلك بعد غيبة طويلة ليعلم الله

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٦.

من يطيعه بالغيب ويؤمن به».

أقول: نقلت الخبر - كما هو - لما فيه من الفوائد والمنافع والإضاءات المهمة...

٢- عن أبي أيوب المخزومي قال: ذكر أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام سير الخلفاء الإثني عشر الراشدين عليهم السلام فلما بلغ آخرهم قال: الثاني عشر الذي يصلي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه عليك بسنّته والقرآن الكريم[١].

٣- محمد بن مسلم ينقل عن الإمام الباقر عليه السلام خبراً طويلاً وفيه «**وإنّ من علامات خروجه: خروج السفياني من الشام وخروج اليماني من اليمن، وصيحة من السماء في شهر رمضان ومنادٍ ينادي من السماء باسمه واسم أبيه.**[٢]

---

(١) كمال الدين، آخر الجزء الأول، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسُه، ص ٢٣٦.

ما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام

١-عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ للقائم عليه السلام غيبة قبل أن يقوم.

فقلت: ولِمَ؟

قال: يخاف - وأومى بيده إلى بطنه - ثم قال: يا زرارة، وهو المنتظر[١] وفي رواية الكافي بعد قوله - وأومى بيده إلى بطنه - يعني القتل.

٢- في حديث آخر عن الصادق عليه السلام قال: «**إنَ لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسّك فيها بدينه كالخارط شوك القتاد بيده، ثم أومى أبو عبد الله** عليه السلام **بيده هكذا، قال: فأيكم يمسك شوك القتاد بيده، ثم أطرق مليًا ثم قال: إنَ لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسَّك بدينه..**»..[٢]

٣- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**للقائم غيبتان، يشهد في إحداهما المواسم، يرى الناس ولا يرونه**»[٣].

٤- عن أبي عبد الله عليه السلام: يقوم القائم وليس لأحد في عنقه عهد ولا عقد ولا بيعة.[٤]

٥- عن عبد الرحمن بن كثير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم فقال له: جُعلت فداك، أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظر متى هو؟ فقال: يا مهزم كذب الوقاتون وهلك المستعجلون ونجا المسلمون.

٦- عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: للقائم غيبتان: إحداهما

---

(١) الغيبة للنعماني، ص١٧٠.

(٢) المصدر نفسُه، ص ١٧٤.

(٣) الكافي، ج١، ص٣٣٩.

(٤) الكافي، ج١، ص٣٤٢.

قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه منها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه[١].

أقول: من الملاحَظ أنّ الأحاديث الشريفة تتحدّث عن حالة من حالات الإمام المهدي، أو صفة من صفاته، لأن وجوده قطعيٌّ لا إشكال فيه، تحدّث بوجوده النبيّ ﷺ والأئمة السابقون وتواتر وجوده عند المسلمين قاطبة حتى عند أكثر العلماء تشدّداً في قبول الحديث وتصحيحه إذ بلغ الأمر بما ورد عن النبيّ ﷺ مبلغ التواتر المفيد للعلم.

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٦٨.

ما روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

١-عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: إذا فُقِدَ الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلنَّكم أحد عنها، يا بنيَّ: إنه لا بُدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرتدّ عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله عزَّ وجلَّ امتحن بها خلقه ولو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصحّ من هذا لاتّبعوه.

فقلت: يا سيدي وما الخامس من ولد السابع؟

فقال: يا بنيّ عقولكم تضعف عن ذلك وأحلامكم تضيق عن حمله، ولكن إن تعيشوا فسوف تدركونه....[١]

٢- عن يونس بن عبد الرحمن قال: دخلت على موسى بن جعفر فقلت له: يا ابن رسول الله أنت القائم بالحقّ؟

فقال: أنا القائم بالحقّ ولكنّ القائم الذي يطهرّ الأرض من أعداء الله عزَّ وجلَّ ويملأها عدلاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها على نفسه، يرتدّ فيها أقوام ويثبت فيها آخرون.

ثم قال: طوبى لشيعتنا المتمسّكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منّا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، طوبى لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة[٢].

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(٢) كمال الدين، ج٢، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

٣- عن محمد بن زياد الأزدي عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: عند ذكر القائم عليه السلام: يخفى على الناس ولادته ولا يحلّ لهم تسميته حتى يظهره الله عزّ وجلّ فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً.(١)

(١) بحار الأنوار، ج٥١، ص ٢٢.

ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام

١- قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: لا دين لمن لا ورع له ولا إيمان لمن لا تقيّة له، إن أكرمكم عند الله عزَّ وجلَّ أعملكم بالتقيّة قبل خروج قائمنا، فمن تركها قبل خروج قائمنا فليس منّا.

فقيل له: يا ابن رسول الله، ومَنْ القائم منكم أهل البيت؟

فقال: الرابع من ولدي ابن سيدة الإماء يطهرّ الله به الأرض من كل جور ويقدّسها من كل ظلم، وهو الذي يشكّ الناس بولادته، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه، فإذا خرج أشرقت الأرض بنور ربها ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحد أحداً...

وهو الذي تُطوى له الأرض، ولا يكون له ظلّ وهو الذي ينادي مناد من السماء باسمه، يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه يقول: ألا إنّ حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتّبعوه فإنّ الحقّ معه وفيه[1] وهو قول الله عزَّ وجلَّ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين[2].

٢- عن الريان بن الصلط قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟

فقال: أنا صاحب هذا الأمر ولكني لستُ بالذي أملأها عدلاً كما مُلئتْ جوراً وكيف أكون ذلك على ما ترى من ضعف بدني وإنّ القائم هو الذي إذا خرج كان في سن الشيوخ ومنظر الشّبان، قويّاً في بدنه حتى لو مدّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها يكون معه عصا موسى وخاتم سليمان، ذاك الرابع من ولدي يغيّبه الله في ستره، ما شاء الله ثم

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص ٢٦٨ وص ٤٥٥.

(٢) كمال الدين، ج٢، ص ٢٦٨ وص ٤٥٥.

يظهره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً؟[١]

٣- عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: ما علامات القائم منكم إذا خرج؟ قال: علامته أن يكون شيخ السنّ شاب المنظر حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها وأن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتى يأتيه أجله[٢].

٤- عن الإمام الرضا عليه السلام قال: الخلَف الصالح من ولد أبي محمد الحسن بن علي وهو صاحب الزمان وهو المهدي[٣].

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص ٢٦٨ وص ٤٥٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٥١، ص ٤٣.

(٣) بحار الأنوار، ج٥١، ص ٤٣.

بعض ما ورد عن الإمام الجواد عليه السلام

١- عن الصقر بن أبي دلف قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «**الإمام بعدي ابني عليّ أمره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه ثم سكت فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى بكاءً شديداً ثم قال: إن بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظر فقلت له: يا ابن رسول الله ولِمَ سُمي بالقائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته، فقلت له: ولِمَ سُمّيَ بالمنتظر؟ قال: لأنّ له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ به الجاحدون ويكذب فيه الوقاتون ويهلك فيه المستعجلون وينجو فيه المسلّمون**[1].

٢- عن علي بن أحمد بن موسى الدّقاق قال: حدثنا محمد بن هارون الصوفي قال: حدثنا أبو تراب عبد الله موسى الرّوياني قال: حدثنا عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب قال: دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره فابتدأني فقال لي: يا أبا القاسم إنّ القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن يُنتظر في غيبته، ويُطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً بالنبّوة وخصَّنا بالإمامة إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص ٢٧٨.

اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإنّ الله تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمه موسى عليه السلام إذ ذهب ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي، ثم قال: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج[1].

(١) المصدر نفسُه، ج٢، ص ٢٦٩.

ما رُوي عن الإمام عليّ الهادي عليه السلام

بيان قصير

الإمام عليّ الهادي عليه السلام له علاقة مباشرة بالمهدي عجل الله فرجه فهو الجدّ القريب وهو الذي تولّى - كما في الرواية - تزويج ابنه العسكري من أم المهدي - وهو الذي احتجب عن شيعته - إلا قليلاً - بقصد التهيئة لغيبة المهدي عجل الله فرجه حتى لا يفاجئ غيابه للشيعة فتحدث لهم صدمة وارتباك، وهو الذي كان على علم بحفيده بالتفصيل - باعتباره الإمام الثاني عشر من السلسلة الذهبية، ومن هنا نعرف مدى العلاقة بين الجدّ والحفيد وكيف اهتمّ الجدّ اهتماماً كبيراً به وهذه الأحاديث التي أنقلها عنه نموذج مبارك تمشياً مع منهجنا في ذكر بعض ما ورد عن كل إمام في المهدي، ولولا ذلك لأغمضنا النظر عن ذلك.

١- عن داوود بن القاسم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن العسكري (يعني الإمام الهادي) يقول: الخلف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟

فقلت: ولِمَ جعلني الله فداك؟

قال: لأنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه.

فقلت: فكيف نذكره؟

قال: قولوا: الحجّة من آل محمد[1].

٢- روى الصدوق بسنده عن الصقر بن أبي دلف قال: سمعت عليَّ بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: إنّ الإمام بعدي الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً[2].

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص ٣٢٨، كتاب الحجة.

(٢) الصدوق في كمال الدين، ص ٣٦٦.

وروى الصدوق عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال: «**دخلت على سيدي علي بن محمد الهادي عليه السلام فلما أبصرني قال لي: مرحباً يا أبا القاسم، فأنت وليّنا حقّاً، قال: فقلت له يا بن رسول الله، إني أريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضيّاً ثبتُّ عليه حتى ألقى الله عزّ وجلّ.**

فقال: هات يا أبا القاسم

فقلت: إني أقول.... وبستعرض الحسني عقائد الإيمان إلى أن يقول... وأقول: إن الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده - بعد النبي صلى الله عليه وآله - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن عليه السلام ثم الحسين عليه السلام ثم علي بن الحسين عليه السلام ثم محمد بن علي عليه السلام ثم جعفر بن محمد عليه السلام ثم موسى بن جعفر عليه السلام ثم علي بن موسى عليه السلام ثم محمد بن علي عليه السلام ثم أنت يا مولاي.

فقال عليه السلام: ومن بعدي الحسن ابني فكيف للناس بالخلف من بعده؟

قال: فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟

فقال عليه السلام: لأنه لا يُرى شخصه ولا يحلّ ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً.

ما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام

ذكرنا في حياة الإمام الحسن العسكري - والد المهديّ - كيف أخذ على عاتقه أمرين مهمّين والأهمّ فيهما عملية الجمع والتوفيق فيما بينهما. والأمران هما حفظ الإمام المهديّ عن أعين السلطة وعدم وقوفها على ولادته، وهنا استدعى من العسكري السرية في ولادة ولده حتى عن خادمه، والأمر الآخر أن يكشف عن الولادة حتى تعرف الشيعة إمامها الذي يجب الولاء له والرجوع إليه فعرّف أخلص أصحابه بولادته ممّن عُرف بالإيمان والصدق وحفظ الأسرار وكتمان الخبر إلا ما سمح به الإمام وقد عمل العسكري على ذلك وكشف لهؤلاء الأصحاب عن إمامهم بعده بل أراهم وجهه المبارك وجعلهم يسعدون برؤيتهم له وتطمئن قلوبهم وأنفسهم إلى الحبيب المرتجى الذي بشّر به جدّه رسول الله وأعلن أنه المهديّ الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً، ونحن هنا ننقل كلمات وردت عن الإمام العسكري في ولده المهدي تمشيّا مع ذكرنا لبعض ما ورد عن الأئمة الذين سبقوه تبرّكاً بذلك - وإن كان فيما مضى كفاية وغناء - وإتماماً للفائدة حتى يكتمل عقد الكلام الوارد عن الأئمة في المهدي عجل الله فرجه.

١- روى الصدوق بسنده عن أحمد بن إسحاق الأشعري قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق، إن الله تبارك وتعالى لم يخل الله منذ خلق آدم ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث ويخرج بركات الأرض.

فقال: فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟

فنهض مسرعاً فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين فقال: يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على الله عزَّ وجلَّ وعلى حُججة ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيّه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً.

يا أحمد بن إسحاق، مثله في هذه الأُمّة مثل الخضر، ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة لا ينجو فيها إلا من ثبّته الله عزَّ وجلَّ على القول بإمامته ووفّقه بها للدعاء بتعجيل الفرج.

٢- روى الشيخ الطوسي عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري البزاز عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح قالوا جميعاً:

«اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه عليه السلام أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني.

فقال عليه السلام له: إجلس يا عثمان.

فقام مغضباً ليخرج فقال: لا يخرجنَّ أحد، فلم يخرج منّا أحد إلى أن كان بعد ساعة، فصاح عليه السلام بعثمان فقام على قدميه.

فقال عليه السلام: أخبركم بما جئتم؟

فقالوا: نعم يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: جئتم تسألونني عن الحجّة بعدي.

قالوا: نعم.

فإذا غلام كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد فقال: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم فأطيعوه، ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا إنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا..».

هذا نموذج قليل ممّا ورد عن الإمام الحسن العسكري وفي هذا النموذج تنكشف حقيقة الإمام المهدي عليه السلام وأنه ابن الحسن العسكري وقد تولّد وهو موجود وليس الحديث عنه كأخبار الأئمة السابقين الذين بشّروا بولادته فيما يأتي من الزمان، بل إنّ المهدي بكل تفاصيل وجوده موجود أمام الأصحاب قد خرج إلى الدنيا وعلى الناس أن يؤمنوا أنه المنقذ المخلّص الذي بشَّر به جدّه، فهو بشارة جدّه والأئمة من بعده وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد».

خلفاء النبي صلى الله عليه وآله الإثنا عشر عليهم السلام

الخلافة عندنا منصب إلهي لم يفوّض الله أمرها لأحد من البشر، والبشر ليسوا أولياء على الله حتى يختاروا من يريدون، لأنّ اختيارهم لا يقع على الكامل المستجمع لصفات الاقتدار في كل الحقول والميادين، وأصدق شاهد على ذلك ما نراه في واقع الحال، وما تعيشه الأمم والشعوب من القهر والظلم والاضطهاد. وقد كشف النبي صلى الله عليه وآله عن خلفائه من بعده وبيّن عددهم وهويّتهم، وذكر أسماءهم وأشار إليهم في حياته، فذكر من كان حيّاً معه وعيّنه بشخصه، ومن لم يكن موجوداً عيّنه أيضاً وكشف للأمة عنه، بما يرفع الالتباس أو الاشتباه. ومن جملة النصوص التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله ما ورد عنه، صلوات ربي عليه، تعيين العدد وأنّ خلفاءه اثنا عشر خليفة، مع بيان بعض التفاصيل في خصوصيات بعض هؤلاء الأئمة، وقد رُويت هذه الأحاديث بأسانيد مختلفة ومتعدّدة، وبوجوه وعبارات كلها يشير إلى عدد واحد - إثنا عشر خليفة - وقد قَبلِهَا كل مَنْ تعرّض لهذا الموضوع، وإن كان قد وقع الخلاف الشديد في تعيين هؤلاء الأئمة الاثنا عشر - طبعاً الخلاف عند السنة - وأما الشيعة فكلمتهم موحّدة مجتمعة على أنهم أئمتهم الإثنا عشر، أولهم الإمام علي بن أبي طالب، وآخرهم المهدي. نعم وقع الاختلاف الشديد عند أهل السنة فلم يثبتوا على رأي ولم يقرّوا على قرار بل تعدَّدت الأقوال واختلفت التفسيرات وتاهوا وهاجوا وماجوا واجتهد الكثير منهم بدون مستند او دليل، وإنما هو الرأي الفطير. حتى بعض المنصفين منهم أقرّ بالعجز واعترف بأنه لم يصل إلى معنى هذه الأحاديث ولم يعرف تفسيرها وهذا قد أقنع نفسه بهذا العجز وإن بقيت الحجة قائمة عليه، فهو أراد أن لا يطعن عقيدته ويذهب إلى ما ذهب إليه

الشيعة في تعيين الأئمة بأئمتهم وبقي من جهة أخرى ملزماً ببيان هؤلاء الأئمة خصوصاً مع ما ورد من الأحاديث الأخرى الكاشفة عن هؤلاء الأئمة التي تتناول عددهم وأسماءهم وهوياتهم وتفاصيل حياتهم...

إنَّ البحث في خلافة النبي ﷺ من خلال هذه الأحاديث - لها الأهمية الكبرى من حيث تنص على من يتولّى الحكم بعده. ونحن سنذكر جملة من الأحاديث التي وردت في تعيين العدد، ومن كتب السنة ومسانيدهم وبالأسانيد التي وردت عنهم ومن طرقهم: لئلا يقال إنّ للشيعة يداً في هذه الأحاديث فتكون في موقع الشك والاستفهام على طريقة أنهم لا يقبلون إلا ما ورد عندهم ومن طرقهم وأنّ ما ورد من طرق الشيعة مشكوك فيه...

١- هذه طائفة أولى من الأخبار

١- في مسند أحمد بن حنبل: عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول أو قال: قال رسول الله ﷺ: يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش.

فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج. وفي بعض الروايات في مسند أحمد أيضاً عن جابر بن سمرة «**اثنا عشر أميراً وفي بعضها**» لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة».

٢- وفي صحيح مسلم أكثر من رواية تحمل المضمون السابق نفسه، ففي إحداها: عن جابر بن سمرة قال: قال النبي ﷺ: لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة قال: ثم تكلّم بشيء لم أفهمه فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش...

٣- وفي صحيح البخاري: عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش... (ج٤ كتاب الأحكام).

٤- وعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال الدين قائماً**

حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة» عن سنن أبي داوود.

قال السيوطي في آخر جزء من «**العرف الوردي في أخبار المهدي**» إنّ في ذلك إشارة إلى ما قاله العلماء: إنّ المهدي أحد الإثني عشر.

٢- طائفة أخرى

هذه الطائفة تحدّد هويّة المهدي بشكل أدقّ من الأُولَى وتكشف عن بعض ملامحه وخصائصه.

١- عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي «رواه الدارقطني وأبو نعيم والطبراني..»**.

٢- وأخرج الطبراني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لملك فيها رجل من أهل بيتي.

٣- وعن علي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً» أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داوود.

٣ ـ الطائفة الثالثة من الأخبار

وهناك طائفة تضيِّق ما تقدّم وتحدّد شخصيّة المهديّ وانتماءه أكثر فأكثر.

١- أخرج أبو داوود وابن ماجة والحاكم عن أم سلمة، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «**المهديَ من عترتي من ولد فاطمة**».

٢- وفي رواية ابن عساكر عن الحسين قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**أبشري يا فاطمة، المهدي منك**».

٢- وفي العرف الوردي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«**اسم المهدي محمد**» وفي الكتاب نفسه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**اسم المهدي اسمي**».

المُجمع عليه بين المسلمين قاطبة بدون خلاف يذكر أو يُعتدّ به أنّ المهدي عليه السلام

من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله - كما أجمع المسلمون - إلا مَنْ شذّ - أنه من الحسين بن علي. وقد اعتمدوا في ذلك على الروايات الواردة عن رسول الله وعن أصحابه فضلاً عن إجماع الشيعة الذين لم يشذّ منهم أحد حيث رووا عن الأئمة أنه من ولد الحسين عليه السلام بل رووا بالتواتر والوقائع أنه ابن الإمام الحسن العسكري وقد ذكروا ولادته وعمره وكل تفاصيل حياته وما يتعلّق بهذه الشخصية العظيمة وقد ورد عن أهل السُّنة ما نصُّه:

١- عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً اسمه اسمي، وخلقه خلقي يكنّى أبا عبد الله يبايع له الناس بين الركن والمقام، يؤيّد الله به الدين ويفتح له الفتوح، فلا يبقى على وجه الأرض إلا من يقول: «**لا إله إلا الله**».

فقام سلمان فقال: يا رسول الله من أيّ ولدك؟

قال: من ولد ابني هذا وضرب بيده على الحسين[1].

٢- وفي الحديث عن أبي هارون العبدي قال: أتيت أبا سعيد الخدري فقلت له: هل شهدت بدراً؟

فقال: نعم.

قلت: ألا تحدثني بشيء مما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله في علي وفضله.

فقال: بلى أخبرك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرض مرضة نقه منها فدخلتُ عليه فاطمة عليها السلام تعوده وأنا جالس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رأت ما برسول الله صلى الله عليه وآله من الضعف خنقتها العبرة حتى بدت دموعها على خدّها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ أما علمت أنّ الله تعالى اطّلع إلى الأرض اطّلاعة فاختار منها أباك فبعثه نبياً ثم اطّلع ثانية فاختار بعلك فأوحى إليّ فأنكحته واتخذته وصيّاً؟ أما علمت أنك بكرامة الله تعالى زوَّجتك أعلمهم علماً وأكثرهم حلماً

(١) عقد الدرر/ ذخائر العقبى /فرائد السمطين وغيرها.

وأقدمهم سلماً؟ فضحكت واستبشرت فأراد رسول الله ﷺ أن يزيدها مزيد الخير كله الذي قسمه الله لمحمد وآل محمد، فقال لها: يا فاطمة ولعليٍّ ثمانية أضراس - يعني مناقب - إيمان بالله ورسوله، وحكمتُه وزوجتُه، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر. يا فاطمة، إنّا أهل بيت أعطينا ستَّ خصال لم يعطها أحد من الأولين ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا أهل البيت، نبيّنا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصيّنا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء، وهو حمزة عمّ أبيك، ومنّا سبطا هذه الأمة وهما ابناك، ومنّا مهديّ الأمة الذي يصلي عيسى خلفه ثم ضرب على منكب الحسين عليه السلام فقال: «**من هذا مهديّ الأمة**»[1].

٣- وفي الحديث عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمتي رجل من وُلد الحسين يملأ الأرض عدلاً كما مُلئتْ ظلماً[2].

٤- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال نبي الله ﷺ ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يسمع بلاء أشد منه حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة وحتى يملأ الأرض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم فيبعث الله رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدّخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، ولا السماء من قطرها إلا صبّه الله عليهم مدراراً، يعيش فيهم سبع سنين أو ثمانياً أو تسعاً تتمنّى الإحياءَ الأمواتُ ممَّا صنع الله عزَّ وجلَّ بأهل الأرض من خير[3].

٥- أخرج أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجة ونعيم بن حماد في الفتن عن علي قال:

---

(١) البيان للحافظ الكنجي الشافعي/الفصول المهمة/ينابيع المودة.

(٢) ينابيع المودة.

(٣) منتخب الأثر، ج٣، ص ١٤٠. نقلاً عن المستدرك.

قال رسول الله ﷺ: المهديّ منّا أهل البيت يصلحه الله في ليلة[١].

٦- وعن أم سلمة سمعت رسول الله ﷺ يقول: المهديّ من عترتي من وُلد فاطمة. «**من عترتي**» يُبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ويقسم المال صحاحاً. فقال له رجل: ما صحاحاً؟

قال: بالسويّة بين الناس، ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى إنه يأمر منادياً ينادي: من له حاجة إليّ؟ فما يأتيه أحد إلا رجل واحد فيسأله فيقول إئتِ السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول: أنا رسول المهديّ إليك لتعطيني مالاً فيقول: احث فيحثي ولا يستطيع أن يحمله فيلقي حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمله فيخرج به فيندم فيقول: أنا كنت أجشع أمة محمد نفساً، كلهم دُعي إلى هذا المال فتركه غيري فيردّه عليه فيقول: إنّا لا نقبل شيئاً اعطيناه فيلبث في ذلك ستاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسع سنين ولا خير في الحياة بعده..[٢]

٧- أخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج المهديّ وعلى رأسه غمامة فيها منادٍ ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتّبعوه.

---

(١) العرف الوردي للسيوطي.

(٢) العرف الوردي للسيوطي.

علماء من العامة يوافقون الشيعة في أنّ المهدي هو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام

بعد أن عرفنا أن المهديّ عقيدة إسلامية عامة يؤمن بها كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتعدّد مشاربهم، وعرفنا أنه من أولاد فاطمة الزهراء بل عرفنا بشكل قطعي أنه من أولاد الحسين. أقول: بعد أن عرفنا ذلك بوضوح أكمل الشيعة مسيرهم في تعيين هذا الإمام وأنه محمد بن الحسن العسكري الثاني عشر من أئمة أهل البيت وآخرهم. وهذا الأمر وإن خالف فيه أهل السُنّة، إلّا أنّ بعضهم وبعد التحقيق والتدقيق وبعد الدراسة الواعية، توصّلوا إلى ما يقوله الشيعة وما يؤمنون به من أن المهديّ هو شخص الإمام محمد بن الحسن العسكري. وقد نصّ على ذلك جملة منهم أذكر بعضهم على وجه الإجمال تأييداً لما ذهب إليه الشيعة وما اعتقدوا به.

١- نقل صاحب «**إسعاف الراغبين**»: عن ابن عربي في الفتوحات المكيّة قوله عن المهدي «**وهو من عترة رسول الله ﷺ ومن وُلد فاطمة رضي الله تعالى عنها، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده الإمام الحسن العسكري بن الإمام علي النقي- بالنون - ابن الإمام محمد التقي - بالتاء -ابن الإمام عليّ الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد-التقي بالتاء- الباقر بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم يواطئ اسمه اسم رسول الله ﷺ.**

٢- وقال الشعراني في «**اليواقيت والجواهر**»: المهدي من وُلد الإمام حسن العسكري.

٣- وقال كمال الدين بن طلحة في مطالب السؤول قال: الباب الثاني عشر: في أبي القاسم بن محمد الحسن الخالص بن علي المتوكل بن القانع بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الزكي بن علي المرتضى أمير المؤمنين ابن أبي طالب «**المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظَر**» ورحمة الله وبركاته

٤-يذكر الحافظ القندوزي في ينابيع المودة، عدداً من العلماء القائلين إنّ المهدي هو ابن الحسن العسكري منهم الشيخ صلاح الدين الصفدي، وشيخ الإسلام الجامي النامقي، والشيخ عطار النيشابوري، وجلال الدين الرومي وغيرهم ممنّ ذكرهم.

٥- ذكر الحافظ الكنجي في كتابه البيان ما نصه: وأمّا بقاء المهديّ فقد جاء في الكتاب والسنة إلى أن قال: وأمّا الإمام المهدي: مذ غيبته عن الأبصار إلى يومنا هذا لم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما تقدّمت الأخبار في ذلك فلا بُدَّ أن يكون ذلك مشروطاً بآخر الزمان..

- ذكر ابن الصباغ المالكي عن المهدي فقال: وأمّا نسبه أباً وأُمّاً فهو أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.... وأمّا لقبه: فالحجّة والمهديّ والخلف الصالح والقائم المنتظَر وصاحب الزمان..

عقيدة أهل السنة في المهدي المنتظر عليه السلام

لا شك أنّ من احترم عقله ودينه كان لا بُدَّ له من الإيمان بما ورد عن رسول الله ﷺ في المهدي عليه السلام وما ورد لا ينحصر عن طرق الشيعة وفي كتبهم، بل هو موجود في كتب أهل السنّة ومن طرقهم، وأنا أنقل ما ورد عن عالم منصف في هذا الموضوع نطق بالحق والصواب وهو الشيخ عبد المحسن العباد آل بدر من علماء السعودية، فقد ذكر في رسالته «**عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر**» وطبعت هذه الرسالة في مقدمة كتاب «**العرف الوردي**» للسيوطي فقد ذكر ما نصّه:

١- «**أسماء الصحابة الذين رووا عن رسول الله أحاديث المهدي**» فذكر أسماء ستة وعشرين صحابياً ذكروا المهدي، منهم عثمان وطلحة وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف إلى آخر من ذكرهم.

٢- «**أسماء الأئمة الذين خرّجوا الأحاديث من الأئمة في الصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد وغيرها، وقد بلغ عددهم ثمانية وثلاثين تمّ ذكرهم واحداً واحداً.**

٣- ذكر أسماء من ألّف في المهدي من أهل السنة وأفردوا له كتباً خاصة فذكر عشرة مؤلفين منهم الحافظ أبو نعيم والسيوطي وعماد الدين بن كثير وابن حجر وهكذا...

٤- ذكر بعض الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي منهم الشوكاني - القاضي - والشيخ محمد السفاريني وغيرهما.

٥- ذكر بعض ما ورد في الصحيحين في المهدي.

٦- ذكر بعض ما ورد في غير الصحيحين في المهدي.

١ - الطفولة المعجزة

عندما تولّى الإمام المهديّ الإمامة كان له من العمر خمس سنوات، فقد وُلد سنة ٢٥٥هـ وتوفي والده سنة ٢٦٠هـ فانتقلت إليه الإمامة وتكلّف فعلاً بها، وهو في هذه السنّ وهي سن تبدو في نظر الناس مستغربة، إذ كيف لطفل صغير أن يتولّى إدارة البلاد وسياسة العباد ويقضي بين الناس ويفضّ النزاعات ويعلن الحروب ويعقد المعاهدات وهكذا؟ وللأجابة عن ذلك نقول:

١- نحن لو لم نؤمن بالإسلام وبالقرآن وبما جاء على لسان النبي والأئمة، لو لم نؤمن بذلك لم يكن لنا الحقّ أن ننكر ذلك ونرفضه، أو نردّ على من ادعى ذلك أو ادعي له ذلك لمجرد أنه طفل صغير. كيف والشواهد بين أيدينا؟ فكم قرع سمعنا وتناهت إلينا الأخبار بأطفال أبناء سنتين أو ثلاث أو أكثر بقليل، قدموا ما يمكن تصنيفهم - بـ «**المميَّزين**» فحيّروا العقول وأدهشوا الحضور وجاءوا بإعجاز يحكي عن قدرة الله ومواهبه وعطاياه، وأنه سبحانه هو الواهب وهو المعطي. فهذا ابن أربع سنوات يحفظ القرآن الكريم من أوله إلى آخره ويحفظ الجزء الذي فيه الآية ورقم الآية والصفحة التي فيها الآية وأنها إلى اليمين أو الشمال ويعرف أول آية من أية صفحة وهكذا، وهذا نفسه يحفظ عشرة آلاف بيت من الشعروكذا وكذا من الأحاديث الشريفة وهكذا. وهناك آخر تعطيه أي رقم مضروب بأي رقم آخر مهما كان كبيراً يعطيك الجواب قبل الآلة الحاسبة، وكأن الجواب حاضر في ذهنه منذ نطقت بالأرقام. وهناك ثالث مميّز تولّى التدريس في الجامعة وهو بعد لم يبلغ العاشرة. وهكذا دواليك. فإنّ المميّزين - كما يقولون - جملة من الأطفال الذين حيّروا العقول وخرقوا الأعراف وما اعتاد عليه الناس وألفوه، ولكن هذا لا يخرجهم عن أنهم موجودون ومميَّزون.

وإذا كان هذا الأمر نراه بأعيننا ونعيشه في واقعنا، فهل من غرابة إذا تولّى الإمام

المهدي الإمامة وهو في سنّ الطفولة؟ أو ليس هؤلاء شواهد يمكن من خلالهم أن نثبت إمكان أن يكون الإمام المهدي المقدّم منهم والمميّز الأول بين الناس بحسب التصنيف البشري للمميّزين، فإذا أعطي المهديّ جميع ما أعطي المميزون في جميع الحقول والمجالات، كانت له القيادة وإن كان طفلاً صغيراً... هذا كله إذا سرنا وفق منهجية منقطعة عن الإسلام وعن القرآن وعن كلام النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ولا يكون في دعوى تولّي المهديّ عليه السلام الإمامة طفلاً من عجب أو غرابة...

أمّا على منهج أهل الإسلام والدين والإيمان فقضيّة المهدي أيسر وأسهل لتوفّر الشواهد الكثيرة على أنّ الإمام منذ ولادته إلى آخر يوم من حياته - هو الإمام المقدّم الذي بيده أزمّة الأمور عنه تصدر وإليه تعود، وليس في تولّيه الإمامة وهو في سنّ الطفولة من حيف أو مشكلة، أو غرابة ولنا على ذلك شواهد...

أ - **القرآن:** نص القرآن نصّاً صريحاً فصيحاً غير قابل للتأويل أنّ مريم العذراء عندما جاءت بعيسى إلى قومها وهو ابن يومه تكلم معهم وأثبت براءة أمه، فكان الشاهد الوحيد المثبت لطهارتها، واستمعْ إلى كلام الله حيث يقول تعالى ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ - إلى عيسى - قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1].

وفي يحيى بن زكريا يقول تعالى ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[2].

فالصبي يتكلم وهو في المهد ويعلن براءة أمه ويكشف عن مهمّته، والصبيّ يُعطى الحكم - بأيّ تفسير فسرته - فهو معجزة وهذا يكشف أنّ الله بيده الأمور

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٢٩ - ٣٣.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٢.

وهو القادر وقدرته مطلقة في الأشياء يقول للشيء كُنْ فيكون - والإمام المهديّ عليه السلام استثناء من جملة الاستثناءات كعيسى ويحيى، بل هو معدّ لدور عالمي حيث يتمّ على يديه إقامة الحكومة الإسلامية العالمية التي تنشر العدل في عرض الدنيا وطولها ولا يبقى إنسان إلا يعيش التوحيد ولا بشر إلا يدين بالإسلام ويقوم بمتطلبات الإيمان...

وأيضاً قد سبق الإمام المهدي إلى الإمامة أبواه محمد الجواد وعلي الهادي حيث تولّى كلٌّ منهما هذا المقام وهو دون العاشرة من عمره، وقد أثبتا جدارتهما لهذا المنصب حيث تولّى المأمون العباسي امتحان الجواد في حلقات كانت تعقد مع فقهاء زمانه الكبار الذين يهيئون أصعب المسائل وأكثرها جدلاً ويطرحونها على الإمام في مجلس عامّ والإمام الجواد يردّ عليها ويجيب عن كل مسألة فلا يتوقّف أو يتردّد، بل كان يصيب بأجوبته كبد الحقيقة ويجعل الجميع يقرّون بعلمه وفقهه ودرايته للأمور.

وأيضاً الإمام الهادي تولّى الإمامة بعد أبيه - وهو دون العاشرة من عمره - وأقام في بداية حياته في مدينة جدّه قبل استدعائه إلى سامراء، فقاد شيعته أحسن ما تكون القيادة حيث كانت حلقات مجلسه بين فقه وأخلاق وآداب وتربية وقضاء حاجات الناس ممّا استدعى تخوّف السلطة القائمة، فاستدعته إليها في سامراء ليكون تحت نظرها باستمرار فتأمن على سلطانها وحكمها...

هذان الإمامان - الجواد والهادي - من أصدق مصاديق أنّ الإمامة لا تخضع لسنّ معيَّنة بل هي مهمّة إلهية يختصّ بها الله من يشاء من عباده المخلصين فلا غرابة بعد ذلك أن يتولّى الإمام المهديّ الإمامة في سنّ مبكرة، لم يعهد لمثله ان يتولّى هذا المنصب الرفيع، إلا في النادر كما في النبيّين الكريمين عيسى ويحيى، وفي الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام.

التمهيد لغيبة المهدي عجل الله فرجه الشريف

الغيبة

التمهيد لها

أسبابها

الوكلاء في الغيبتين

إشكالية العمر الطويل

غَيْبَة المهدي تشكّل حدثاً استثنائياً لم يعهد من قبل لأحد من الأئمة، ولو جاءت بدون مقدّمات وممهّدات لشكّلت مفاجأة للشيعة، وربما صدمتهم في بعض معتقداتهم، ولكنّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الذين سبقوا ولادة المهدي وغيبته مهّدوا لتلك الغَيْبة فلم تشكّل أيّ مشكلة. وقد كانت المناهج لذلك الهدف تتمثّل في أمور:

الأول: بيانات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام المتتابعة والمتتالية التي تبشرنا بالمهديّ وتذكر صفاته وأعماله وأصحابه والكثير من خصوصياته، خصوصاً مهمّته العظمى في القضاء على الجور والظلم وإقامة الحق والعدل. كما هدّأ الأئمة من روع الشيعة أثناء غيبته وأعلموهم بهذه الغيبة وأنّ عليهم الانتظار والدعاء بالفرج، وبذلك زرعوا في عقولهم ثقافة الغيبة وأبعادها وضرورة التعايش معها والتكيّف نفسيّاً وروحيّاً وعاطفيّاً مع كل معطياتها.

الثاني: كان من التمهيد لتقبّل غيبة الإمام المهدي أنّ الإمام العسكري حجب ولده المولود الحديث عن الأنظار إلا لبعض خواصه. وهذه الحالة والطريقة، سبقها احتجاب الإمام علي الهادي وابنه العسكري والد الإمام المهديّ، فكان كل منهما لا يظهر أمام شيعته وأنصاره إلا قليلاً ويعتمد على طرق أخرى للتواصل معهم، وهذا منهما كان تمهيداً لحجب الإمام المهديّ وغَيْبته حفاظاً عليه وصوناً له من كيد الأعداء. وإذا تقبّل الشيعة احتجاب الإمامين الهادي والعسكري - إلا قليلاً - كان ذلك ادعى لتقبّل احتجاب المهدي.

الثالث: بعد أن احتجب الأئمة لم يتركوا شيعتهم بدون تواصل معهم، بل

عمدوا إلى طريقة الوكلاء فقد عيّنوا من قِبَلِهم من يقوم بالوساطة بينهم وبين شيعتهم فنصبوا الوكلاء الموثوقين الأمناء الصالحين، وكلّفوهم بنقل الرسائل المرسلة إليهم أو الصادرة عنهم. فكان الوكيل يتولّى نقل الرسائل من الأصحاب إلى الإمام والإمام بدوره يجيب عنها ويردّها بوساطة وكيله وفي بعض الأحيان يتولّى الإمام نفسه ابتداءً بإرسال ما يرتئي أنه ضروري فيرسل برسائله لإرشاد الشيعة وبيان الأحكام وكشف الأمور المهمّة ممّا له علاقة فبالدنيا والآخرة.

وهذه الطريقة في تواصل الأئمة مع شيعتهم وفَّرت كثيراً من الدماء والسجون والعذاب والآلام على الشيعة حيث كانت السلطة ترصد كل فرد يدخل على الإمام أو يتّصل به لتأخذه وتحقّق معه، وعلى أحسن حال يعود متّهماً مراقباً طيلة حياته، إن سلم من القتل أو السجن. وأيضاً هذه الطريقة وفّرت على أهل البيت الحفاظ على شيعتهم، كما وفّرت عليهم أنفسهم أتعاباً ومشقات وهم بطبيعة الحال متّهمون - عند الجهاز الحاكم - بعدائهم للحكم وأنهم يريدون الانقلاب عليه والانقضاض على مؤسساته وتدميره.

وطريقة الوكالة، وإن كانت جارية في حياة أكثر الأئمة بدءاً من حياة الصادق عليه السلام إلا أنها اتخذت بُعْداً مهمّاً في حياة الإمامين الهادي والعسكري من حيث أرادا أن يوطّئا لهذا الأمر عندما يأتي المهديّ ويحتجب عن الناس إلا القليل منهم. ونرى روعة هذا المعنى عندما يتولّى عثمان بن سعيد العمري الوكالة عن الإمامين الهادي والعسكري وتستمرّ وكالته في زمن المهديّ عليه السلام حيث هو موضع الثقة من الإمامين وكذلك يحرز ثقة الإمام المهديّ فتتقبّل الشيعة وكالته وتثق به وتعطيه زمام أمورها فتسلّمه الأموال وتدفع إليه الرسائل ليوصلها إلى الامام المهديّ كما كانت تستقبل ما يصدر عن الإمام من آراء وأفكار وتوجيهات وتواقيع وهكذا استمرّ -العمري-

وكيلاً دون أن يختلف فيه أو عليه أحد من الشيعة. ولمَّا وافته المنيّة كان ابنه الوكيل من بعده أيضاً موضع الثقة حيث نصبه الإمام المهدي وكيلاً عنه بعد وفاة والده. وهكذا كانت الوكالة عن الإمام - بأمر منه - من أفضل الطرق للتواصل مع الإمام، ولما فيها من حفظ له ولشيعته وبهذه الطريقة تهيّأت السبل وتمهّدت ببركة الإمامين الهادي والعسكري.

الغيبة الصغرى تمهد للغيبة الكبرى

إنّ احتجاب الإمام المهدي في الغيبة الصغرى وعدم ظهوره العلني حتى لمواليه إلا للسفراء منهم أو لأصحاب الإخلاص المحظوظين، هذا الاحتجاب واحد من المعطيات المباركة لهذه الغيبة حيث اعتاد الشيعة على عدم رؤية الإمام، وبهذه الطريقة عندما حدثت الغيبة الكبرى لم تشكّل عدم رؤية الإمام صدمة لهم أو اهتزازاً إذ ألفوا هذا النمط من السلوك والإمام في الغيبة الصغرى، فكيف وهو في الغيبة الكبرى التي تحدّث بها النبي والأئمة وكشف عنها المهدي نفسه؟ لا شك أنّ غيابه هذا خفّف كثيراً من غيابه التامّ في الغيبة الكبرى...

والفائدة الثانية لاحتجاب الإمام المهدي عجل الله فرجه وعدم ظهوره في الغيبة الصغرى أنه عوّد شيعته والموالين لهم أن يعودوا لوكلائه المنصوبين من قِبلَه سواء نصّ على بعضهم بالخصوص - كما وقع في الغيبة الصغرى حيث نص على السفراء الأربعة - أو كان النصّ من قِبلَه بصيغة عامّة كما هو الحال في غيبته الكبرى، حيث نصّ نصّاً عامّاً ووضع المواصفات لوكلاء عنه يتولّون إصدار الفتاوى والقيام بشؤون الناس المعنويّة والماديّة، من حيث الاهتمام بشؤون الدين وحفظه ونشره وردّ الشبهات. وهكذا أيضاً الأمر فيما يتولّاه المراجع من قبض الحقوق الشرعية وغيرها من الامور المالية وصرفها على مستحقيها وأصحابها ومَنْ أمر الله بإعطائهم وسدّ عوزهم ورفع حاجاتهم. وبهذه الطريقة تعبّد الطريق لرجوع الشيعة إلى وكلاء الإمام المهدي عجل الله فرجه ولقائهم والجلوس معهم وإن حُرموا بركات الإمام المباشرة ولقاءه لظروف

اضطرارية ألجأته إلى الغيبة والاحتجاب؛ فإنّ الشيعة وإن حُرموا من ذلك فإنهم لم يحرموا من لقاء وكلاء الإمام الذين يمثلون الإمام ويقومون بما أراد دون تأخير أو تسويف، وضمن ضوابط وقواعد شرعية لا يميلون عنها، أو ينحرفون عن تطبيقها....

غيبة الإمام المهدي عليه السلام - الغيبة الكبرى

ثبوت الغيبة

ثبتتْ ولادة الإمام المهديّ ثبوتاً قطعيّاً، وقد أخبر عنها أبوه الإمام العسكري وأراه لكثير من أصحابه وعرّفهم أنه الحجّة بعده وأن له غيبتين صغرى وكبرى...

وقلنا إنّ الإمام المهدي في الغيبة الصغرى نصب وكلاء عنه تولّوا المهمّات من الأمور بتوجيه منه ورعاية وتسديد، وبعد أن انتهت وكالتهم أعلن هو بنفسه بداية الغيبة الكبرى - التي لازلنا نعيش أيامها - وقد أجمعت كلمات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة على هذه الغَيْبة الكبرى.

١- في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: والذي بعثني بالحقّ بشيراً ليغيبّن القائم من ولدي [١] بعهد معهود إليه مني حتى يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمد حاجة ويشك آخرون في ولادته، فمَنْ أدرك زمانه فليتمسّك بدينه...

٢- وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة والأخرى طويلة فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصةٌ من شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه. [٢]

٣- وعن الصادق عليه السلام قال: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول

---

(١)

(٢) الغيبة للنعماني. ص١٧٥.

حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم يقول: قُتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلّا نفر يسير...[١]

٤- وعن الباقر عليه السلام قال: إنّ للقائم غيبتين، يقال له في إحداهما: هلك، ولا يُدرى في أيِّ واد سلك[٢].

وبهذه النصوص وما تحمل من مضامين، ورد ذكر الغيبة عن الأئمة، وهي تخبر عن وقوعها قبل وجود الحجة وخروجه إلى الحياة؛ فإنّها من الغيب الذي أطلع الله رسوله عليه، والرسول بدوره أطلع الأئمة عليه وكشفه لهم تارة بالإجمال وأخرى بالتفصيل....

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

أسباب غياب الإمام عليه السلام

الأول: اختفاء الإمام المهدي من الأسرار الإلهية التي لم يُكشف عنها...

وكثيرة هي الأمور التي لا يُعرف وجهها ولماذا وُضِعتْ؟ وما أسباب وضعها؟ ومع ذلك يؤمن بها المؤمنون إيمانهم بما يرونه بأعينهم؛ لأنّ منطلقاتهم الإيمانية وعقيدتهم تحملهم على الإيمان بما يخبرهم به المعصوم نبيّاً أو إماماً، فإنّ مَنْ آمن بالنبي معصوماً قد جاء من عند الله - ونحن لم نر الله بأعيننا، لأنه ليس بجسم ولا جهة له تحدّه أو تحصره، وإنما آمنّا به لقيام أدلة العقل عليه - فإذا جاء النبي بمعجزاته وثبتت نبوّته بالقطع واليقين كان ذلك داعيا وموجبا للإيمان بكل ما يقوله وما يأتي به. أقول: وبعد أن ثبت على وجه اليقين عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أنّ المهدي عليه السلام حيّ غائب عن الأبصار وغيبته الكبرى لا نزال نعيش أيامها فلا إشكال ولا مشكلة إذا لم ندرك أسباب هذه الغيبة وأسرارها، وليس ذلك عجباً ونحن لم نعرف أسباب كثير من العبادات حيث لا نعرف أسرار كون صلاة الصبح ركعتين والظهرين أربعاً والمغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً، وما هو سرّ الرجم في الحج والسعي وغير ذلك، وإن كنّا قد آمنا بحكمة من شرّعها ووضعها، وآمنّا بأنّ له هدفاً وغايةً وسراً، وإن كنّا لم نصل بعقولنا القاصرة إلى تلك الأسباب. وإنّ قضية غيبة الإمام المهدي هي من جملة القضايا التي قد لا ندرك سرّها ولا نقف على حقائق ما تنطوي عليه، ومع ذلك نؤمن بها، وهذا المعنى بالذات ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول:

إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابُدَّ منها، يرتاب فيها كل مبطل.

فقلت: (الراوي عنه - عبدالله بن الفضل الهاشمي): ولِمَ جُعلتُ فداك؟

قال: الأمر لم يُؤذَن لنا في كشفه لكم.

قلت: (الراوي) فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره. إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلّا وقت افتراقهما، يا بن الفضل. إنّ هذا الأمر أمر من الله تعالى وسرّ من سرّ الله وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عزَّ وجلَّ حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله كلها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف لنا...[1]

الثانـي: خوف القتل

بالرغم من أنّ الأئمة أحالوا أسرار غيبة الإمام المهدي عليه السلام إلى الله فإنهم كشفوا بعض أسباب هذه الغيبة وأسرارها، فقد كشفوا أنّ من أسباب غيبة المهدي هو الخوف من القتل، وهذا السبب هو المتبادر إلى الذهن ويمكن للعقل تقبّله بل يفرضه العقل ويوجبه، فإنّ حفظ النفس خصوصاً إذا كان بمستوى الحجّة نبيّاً أو إماماً مطلوب لأهميّة دوره والمسؤوليات المنوطة به في أداء رسالة الله وحفظها وتحرير المجتمع من الظلم والجور وبسط القسط والعدل...

لو ظهر الإمام وعاش بين الناس لتحوّل هدفاً وحيداً لكل السلطات الجائرة، إذ هو وحده الذي يهدّد عروشها ويسقط التيجان عن رؤوسها ويزيلها عن مواقعها التي حولتها إلى اضطهاد الشعوب وقمعها والقضاء على فكرها السليم وحرّية هذا الفكر وحركته...

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، باب علة الغيبة.

إنّ قتل الإمام المهدي عليه السلام - سيتحوّل هدفاً أساسيّاً في برنامج الحكومات القائمة، بل كان قتله سيوحّدهم ضدّه للقضاء عليه، وفي مثل هذه الحال يفرض العقل وجوب الاستتار والاختفاء إلى أن ترتفع الموانع الموجبة له. وعندها يخرج الإمام ليأخذ دوره المعدّ له في تحرير القلوب والعقول والأجساد، وهذا المعنى أفصح عنه النبي صلى الله عليه وآله والأئمة وبيّنوه لشيعتهم، وكشفوا أنّ غيبة الإمام المهدي سببها خوفه من القتل...

ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لابُدَّ للغلام من غَيْبة، فقيل له: ولِمَ يا رسول الله؟

قال: يخاف القتل[1].

وفي حديث عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام الباقر يقول: إنّ للغلام غيبة قبل ظهوره.

قلت: ولِمَ؟

قال: يخاف، وأومأ بيده إلى بطنه.

قال زرارة: يعني القتل[2].

وعن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام - الصادق - قال: للغلام غيبة قبل قيامه.

قلت: ولِمَ؟

قال: يخاف على نفسه الذبح...

والاختفاء عن الأعداء خوفَ القتل ليس بمستنكر من الإمام المهدي عليه السلام - بعد أن يكون مؤقتاً، طالت مدة الاختفاء أو قصرت بدون فارق،- بعد أن فعلها الأنبياء؛ فهذا نبيُّ الله موسى مع أنه من أولي العزم من الرسل وله مقام رفيع وجهاد عظيم يُسوِّغ غيابه عن ساحة فرعون وفراره إلى شعيب النبي في فلسطين فيقول

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٩٠.

(٢) المصدر نفسُه، ج٥٢، ص ٩١.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١]. وينقل سبحانه قصّة موسى وكيف جاءه مؤمن آل فرعون يحذّره البقاء ويأمره بالخروج من مصر حفظاً لسلامته وخوفاً عليه فقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢]. فإذاً الخوف من القتل هو من الدوافع وراء غياب موسى، وهو نفسه وراء غياب الإمام الحجّة عن الأنظار، وسيعود كما عاد موسى إلى فرعون يحرّر العباد ويحرّر البلاد وينشر العدل في الطول والعرض، فقد أفصحت الأحاديث وصحاح الروايات بدور المهدي العالمي، حيث يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تملأ جوراً وظلماً...

فإنْ قيل: لماذا لم يتّبع المهديّ سيرة آبائه فيُسْقط الخوف كما أسقطوه ولم يختفوا عن الأنظار - كما اختفى هو، فالجواب واضح بالفارق الكبير بين ظروفهم وظروفه ودورهم ودوره والمهمّة المنوطة بهم والمهمّة المنوطة به، فإنّ خلفاء الجور في زمن آبائه كانوا على علم أنّ الأئمة لا يملكون القدرة على إسقاط عروشهم ولا يعزمون على سلّ السيوف في وجوههم، فهم في أمانٍ منهم على أنفسهم وعروشهم وأين هذا من مهمّة المهديّ الذي يخرج بالسيف ويقضي على وجودهم ويطهّر الأرض من رجسهم وينشر العدل في الأرض وهذا القائد بدون شك سيكون هدفاً مقصوداً ولا ينتهي دور الظالمين إلا بالقضاء عليه والانتهاء من وجوده وباعتبار أنّ المهدي هو الأخير في سلسلة الإمامة فلا إمام بعده فلو قُضي عليه لم يكن هناك بديل منه بينما الأئمة الذين تقدّموه كان لكل واحد بديل منه لو أُصيب في نفسه وتجّرأ الظالمون على قتله. وأين هذا من المهدي الذي لا بديل له، الذي ادخره الله ليكون على يديه تحرير العالم وبسط العدل في الأرض ورفع راية الإسلام، فلا

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢١.

يبقى إلا الإسلام يحكم العالم ليعيش الناس في سعادة كاملة ووئام تامّ وتحقيق أحلام الأنبياء وتطلعات الأئمة الهداة...

وهذا السبب – خوف القتل – هو ما ذهب إليه أكثر العلماء ومنهم شيخ الطائفة الطوسي حيث يقول في كتاب «**الغيبة**» مما يقطع على أنه سبب لغيبة الإمام هو خوفه على نفسه من القتل بإخافة الظالمين إياه ومنعهم إياه من التصرف فيما جعل إليه التدبير والتصرف فيه»[١].

الثالث: لئلّا يكون لطاغية بيعة في عنق المهدي

ومن الأسباب الداعية لغيبة المهدي عليه السلام أن لا يكون لطاغية بيعة في عنقه، وهذا الأمر صرّحت به الأحاديث وجاءت به السُنّة على ألسنة المعصوم، ففي الحديث عن الصادق عليه السلام: «**يقوم القائم وليس لأحد في عنقه عقد ولا عهد ولا بيعة**»[٢].

وكذلك ورد في التوقيع الصادر عن الحجة عليه السلام كما ينقل ذلك إسحاق بن يعقوب. يقول التوقيع «**وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي**»....[٣].

وعن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «**كأني بالشيعة عند فقدانهم الثالث من ولدي يطلبون المرعى فلا يجدونه.**

«**قلت له: ولِمَ ذلك يا بن رسول الله؟**

«**قال: لأنّ إمامهم يغيب عنهم.**

«**فقلت: ولِمَ؟**

---

(١) غيبة الطوسي، ص٦١.

(٢) الغيبة للنعماني، ص٤٦.

(٣) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٩٢.

«قال: **لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعه إذا قام بالسيف**».

توضيح وبيان: إنّ فلسفة هذا المعنى وعمقه يرجعان إلى أنّ البيعة عهد - وإن كانت بالقهر والغلبة - وحتى لو لم تكن شرعية للاضطرار والإكراه - فإنها بنظر الناس قد طوّقت عنق من أعطاها، وكان عليه الوفاء بها، وهذا الأمر يتنافى مع مهمّة الإمام المهديّ الذي لو كان حيّاً لم يُترك حتى يؤخذ منه البيعة. فلو خرج والحال كذلك كانت نقطة ضعف ينظر إليها الناس على أنها أول مخالفة من الإمام، مع وضوح أن الإمام الحجّة لا يداري ولا يتقي، يخرج ودعوته كعين الشمس، يمتلك الحجّة البيانية كما يمتلك الحجّة الماديّة، فالحقّ معه والسيف معه ووضوح الحقّ وظهوره أظهر من أن يخفى على أحد من الخلق؛ فلذا اختفى حتى لا يكون لأحد من الطواغيت في عنقه عقد أو عهد أو بيعة، فيكون متحرراً من كل الالتزامات التي تقيّده وتشلّ حركته، أو تشكّل أدنى الحواجز أمامه أو المعوقات له وهذا أمر يمكن أن يُعدّ من جملة الأسباب التي كانت وراء غيبته... وقد ورد عن المهدي نفسه هذا المعنى في التوقيع المروي عن إسحاق بن يعقوب حيث ورد فيه «**وأمّا علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزّ وجلّ يقول** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ..﴾..

إنه لم يكن لأحد من آبائي إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي..»..

الرابع: ومن دواعي الغيبة أنّ المهديّ يخرج ليطهّر الأرض من الظالمين، وهؤلاء الظالمون يحملون في أصلابهم أناساً مؤمنين فحفظاً لهؤلاء المؤمنين المتواجدين في أصلاب الكافرين وإلى أن تعقم الأرحام والأصلاب عن قتل هؤلاء يكون الظهور وهذا منطق قرآني أوضحه نوح عليه السلام.

مضمونه في قوله تعالى ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ

إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1].

فنوح عليه السلام يشرح واقع أمر هؤلاء الكفّار وأنهم لا يَلِدون إلا الفجّار الكفّار يعني عقمت أصلابهم وأرحام نسائهم عن كل مؤمن طاهر، وأنهم أصبحوا جراثيم مفسدة للحياة فلذا استحقوا العقاب والإمام المهديّ مثله مثل نوح وغَيْبتة تكون حتى تعقم الأرحام والأصلاب وهذا المعنى وردت به الأحاديث.

في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: القائم لم يظهر أبداً حتى يخرج ودائع الله عزَّ وجلَّ، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عزَّ وجلَّ فقتلهم»[2].

وفي حديث آخر يقول إبراهيم الكرخي قلت لأبي عبد الله عليه السلام - أو قال له رجل - أصلحك الله ألم يكن علي عليه السلام قويّاً في دين الله عزَّ وجلَّ؟ قال: بلى.

قال فكيف ظهر عليه القوم، وكيف لم يدفعهم وما يمنعه من ذلك؟ قال: آية في كتاب الله عزَّ وجلَّ منعته قال: قلت: وأيّة آية هي؟ قال: قوله عزَّ وجلَّ ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[3] إنه كان لله عزَّ وجلَّ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن علي عليه السلام ليقتل الآباء حتى يخرج الودائع فلما خرجت الودائع ظهر على مَنْ ظهر فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عزَّ وجلَّ فإذا ظهرت ظهر على مَنْ يظهر فقتله.

أقول: هذه بعض الوجوه التي تناولتها الأحاديث في أسباب غيبة الإمام المهدي وهي وجوه وجيهة وإن كانت الغيبة خوفاً من القتل، أوجهها وأقربها فإنه سبحانه وتعالى ادّخر الإمام المهدي لإقامة الحكومة الإلهية العالمية، فكان عليه أن يحفظ حياته حتى حين الظهور فيخرج ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً.

---

(١) سورة نوح، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) كمال الدين، ج٢، ص ٦٤١.

(٣) سورة نوح، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

بركات المهدي في غيبته

لا شك أنّ غيبة الإمام المهديّ لا تعني اعتزاله للمجتمع والحياة، بل ورد أنه يعيش في المجتمع وينتقل في المجالس ويحضر موسم الحج ويساعد المحتاجين ويقضي حاجاتهم وإن لم يعرفوه بشخصه.

إنّ بركات المهدي تصل إلى المجتمع والأفراد وإن لم يدركوا مصدرها ولم يلتفتوا إليها في كثير من الأحيان بل إن أكثر ما نتعايش معه لا نعرف آثاره ومنافعه؛ فهذا الهواء المنتشر في الفضاء والمباح لكل إنسان ولا يستغني عنه إنسان لحظة واحدة لا نفكر فيه ولا نعرف فوائده، وطالما أنه معنا لا نعطيه بالاً. وإذا كان ما نعيش فيه لا ندرك فوائده ولا نشعر بأثره ودوره فكيف بالعوالم الآخرى البعيدة عنّا التي لها تأثير في حياتنا ويمكن أن تكون جزءاً من سعادتنا وشقائنا؟ كيف يمكن أن ندرك أثرها ونقف على فوائدها؟!....

الإمام المهدي - وهو غائب - كالشمس حجبتها السحب، بهذا التشبيه وردت الأحاديث فإنّ الغيوم وإن غيّبت الشمس، لكن ضوءَها يُظهر النهار ويكشف الأستار، وتعطي فوائدها على الكائنات من نبات وحيوان وإنسان وغير ذلك من المخلوقات.

الإمام المهدي عليه السلام وإنْ كان غائباً عنّا لا نراه، فإنه كالوالد الذي هاجر بعيداً ويرسل أتعابه وجنى يديه إلى أولاده وأسرته فببركة هذا العطاء تستمرّ الأسرة عزيزة كريمة تعيش الحياة بشرف...

الإمام المهدي بوجوده يفيض الله على الخلق الوجود وما بأيدي الخلق من موجود؛ لأنه الإنسان الكامل الذي صنعه الله كما أراد، ولولاه لساخت الأرض بأهلها وذهب نورها وأمانها...

في الحديث عن الأعمش عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله. قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟

قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»[1].

وفي التوقيع الصادر عنه عليه السلام على يد محمد بن عثمان العمري: «**وأمّا علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾[2] إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه وإني أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي. وأمّا وجه الانتفاع فيّ في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء..**»[3].

وعندما يسأل جابرُ بن عبد الله الأنصار النبي صلى الله عليه وآله بقوله: هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ يقول النبي صلى الله عليه وآله: إي والذي بعثني بالنبّوة إنّهم لينتفعون به يستضيئون بنور ولايته في غيبته كإنتفاع الناس بالشمس وإنْ جلّلها السحاب[4]...

هذه الأحاديث تقرّر حقيقة يجب أن يعلمها كل فرد، وهي أنّ الإمام المهدي وإن كان غائباً عن الأبصار فإن بركاته تصل إلى الخلق وإن لم يعرفوا مصدرها وهي كثيرة وجليلة وإن لم يقف الخلق عليها لجهلهم أو عدم إدراكهم لها لقصورهم أو تقصيرهم.

كما أن وجوده عليه السلام مصدر استقرار الأرض وأمانها، وهذا المعنى من المعاني

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٩٢، حديث ٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص٩٢، نقلاً عن الكافي.

(٤) المصدر نفسُه، ج٥٢، ص٩٢.

الدقيقة والجليلة التي كشف عنها النبي صلى الله عليه وآله في حديثه فإنّ الإمام هو الإنسان الكامل الذي يستحق التكريم من الله وبه يفيض الخير على الناس الذين لم يكملوا، فوجود الإمام سبب لإفاضة الخير من الله على غيره.

كما أنّ وجوده - وإن كان غائباً عن الأبصار - يكون دافعاً قويّاً لاستعداد الناس لخروجه في أيّ لحظة وهذا يستدعي صلاح المؤمنين به والتزامهم الجدّي بتعاليم الدين فيكون ذلك حافزاً لصلاحهم...

وهذا الحديث الأخير فيه من المعاني العالية الرفيعة الشيء الكثير، وقد أعجبني ما ذكره العلامة المجلسي حيث ذكر أنّ هذا التشبيه للمهدي بالشمس المجلّلة بالسحاب يومئ إلى أمور - وأنا أذكرها لما فيها من الفائدة والنفع. يقول قدس سره في بحاره:

الأول: أنّ نور الوجود والعلم والهداية يصل إلى الخلق بتوسطه عليه السلام إذ ثبت بالأخبار المستفيضة إنهم العلل الغائية لإيجاد الخلق، فلولاهم لم يصل نور الوجود إلى غيرهم، وببركاتهم والاستشفاع بهم، والتوسل إليهم يظهر العلوم والمعارف على الخلق، ويكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحقّ الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[1] ولقد جرّبنا مراراً لا نحصيها أنّ عند انغلاق الأمور وأعضال المسائل والبعد عن جناب الحقّ تعالى وانسداد أبواب الفيض، لمّا استشفعنا بهم وتوسّلنا بأنوارهم فبقدر ما يحصل الارتباط المعنوي بهم في ذلك الوقت تنكشف تلك الأمور الصعبة، وهذا معاين لمن أكحل الله عين قلبه بنور الإيمان وقد مضى ذلك في كتاب الإمامة.

الثاني: كما انّ الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها - ينتظرون في كلّ آن انكشاف السحاب عنها وظهورها ليكون انتفاعهم بها أكثر. فكذلك في

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

أيام غيبته عليه السلام ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره في كل وقت وزمان ولا ييأسون منه.

الثالث: أنّ مُنكِر وجوده عليه السلام مع وفور ظهور آثاره، كمُنكِر وجود الشمس إذا غيَّبها السحاب عن الأبصار.

الرابع: أنّ الشمس قد تكون غيبتها في السحاب أصلح للعباد من ظهورها لهم بغير حجاب، فكذلك غيبته عليه السلام أصلح لهم في تلك الأزمان، فلذا غاب عنهم.

الخامس: أنّ الناظر إلى الشمس لا يمكنه النظر إليها بارزة عن السحاب وربما عمي بالنظر إليها لضعف الباصرة عن الإحاطة بها. فكذلك شمس ذاته المقدسة، ربما يكون ظهوره أضرّ لبصائرهم ويكون سبباً لعماهم عن الحقّ وتحتمل بصائرهم الإيمان به في غيبته كما ينظر الإنسان إلى الشمس من تحت السحاب ولا يتضرّر بذلك.

السادس: أنّ الشمس قد تخرج من السحاب وينظر إليها واحد دون واحد، فكذلك يمكن أن يظهر عليه السلام في أيام غيبته لبعض الخلق دون بعض.

السابع: أنّهم عليهم السلام كالشمس في عموم النفع، وإنما لا ينتفع من كان أعمى كما فسر به في الأخبار قوله تعالى ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾.[1]

الثامن: أنّ الشمس كما أنّ شعاعها يدخل البيوت بقدر ما فيها من الروازن والشبابيك وبقدر ما يرتفع عنها من الموانع، فكذلك الخلق إنما ينتفعون بأنوار هدايتهم بقدر ما يرفعون الموانع عن حواسهم ومشاعرهم التي هي روازن قلوبهم من الشهوات النفسانية والعلائف الجسمانية وبقدر ما يدفعون عن قلوبهم من الغواشي الكثيفة الهيولانية إلى أن ينتهي الأمر إلى حيث يكون بمنزلة من هو تحت السماء يحيط به شعاع الشمس من جميع جوانبه بغير حجاب[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٩٢- ٩٤.

لمحة من تاريخ الإمام الهادي عليه السلام

الإمام علي الهادي عليه السلام هو الإمام العاشر من أئمة أهل البيت وباعتبار أنه الإمام الذي انتقل بالإمامة من المدينة إلى سامراء ونقل معه ابنه العسكري، ثم كان مولد المهدي عجل الله فرجه حيث تواجد أبوه وجده. لهذا كان لابُدَّ من إطلالة سريعة على حياة هذا الإمام وأسباب مجيئه إلى سامراء عاصمة الخلافة العباسية...

نسبه الشريف: الإمام علي الهادي ابن الإمام الجواد ابن الإمام الرضا ابن الإمام موسى بن جعفر ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي بن الحسين زين العابدين ابن الإمام الحسين الشهيد ابن الإمام علي بن أبي طالب. فهو ابن رسول الله من فاطمة الزهراء وبهذا النسب المختصر تلتقي فيه النبّوة والإمامة ويختصر المجد والعظمة ولا يبقى بعد هذا النسب من مفتخَر لمفتخِر إذ كل الأنساب والأحساب تقصر عن ذلك ولا تبلغ شأن هؤلاء القادة العظام والأئمة الكرام.

مولده: ولد الإمام علي الهادي في قرية تدعى صربا قريبة من المدينة المنوّرة، في النصف من ذي الحجّة، أو الثاني من رجب سنة اثنتي عشرة أو أربع عشرة ومائتين. وأُمّه مغربية تُسمى سمانة.

خلفاء زمانه: عاصر الإمام علي الهادي عليه السلام كلاً من الملوك العباسيين:

١-المعتصم ٢- الواثق ٣- المتوكل ٤-المنتصر ٥- المستعين ٦-المعتز.

المدينة مختار الأئمة

من المقطوع به أنّ الأئمة لو تُركوا وشأنهم ما اختاروا على المدينة مسكناً ولا

اتخذوا غيرها موطناً ولكنها الضرورات ألجأت بعضهم إلى تركها، كما حدث للإمام علي عليه السلام حينما خرج منها إلى الكوفة ليردّ الناكثين والقاسطين والمارقين. وبعد شهادته وإتمام صلح الإمام الحسن عليه السلام عاد مع أخيه الحسين عليه السلام إلى مدينة جدّهم، ثم اضطر الحسين عليه السلام إلى الخروج منها لتكون كربلاء شاهداً واضحاً على ظلم الأمويين وجورهم. وأمّا الأئمة زين العابدين عليه السلام ومحمد الباقر وجعفر الصادق فقد لزموا المدينة وأقاموا فيها...

وأمّا موسى بن جعفر فقد استدعاه هارون الرشيد وحبسه في بغداد حتى مضى إلى ربه شهيداً وقد كان في جوار جدّه في المدينة.

وأمّا علي بن موسى الرضا فقد استدعاه المأمون العباسي من المدينة فخرج منها مكرهاً ولم يعد إليها حيث قضى في خرسان - مدينة مشهد - شهيداً بعد أن عقد له المأمون على ولاية العرش من بعده ثم غدر به.

وأما الجواد فقد نفّذ فيه المأمون أمنيته حيث وضعه تحت رقابته عندما زوّجه ابنته أم الفضل لتكون الرقابة عليه في بيته ثم قضى شهيداً حيث سمّته زوجته.

وأمّا الإمام علي الهادي = الشخصية التي هي مدار حديثنا = فقد استدعاه المتوكل العباسي الذي تولّى الخلافة سنة ٢٣٢ إلى سامراء حيث كان مركز الخلافة ومقرّ سلطتها، وكان استدعاؤه للإمام سنة ٢٣٤ أي بعد تسلّمه الخلافة بسنيتن..

وأمّا الإمام العسكري فقد كان مع أبيه الهادي وإلى جواره-في سامراء حيث وُلد له المهدي المنتظر سنة ٢٥٥.

هذا العرض السريع يكشف لنا أنّ المدينة المنورة بالقرب من الرسول كانت هي وطن الأئمة ومركز إقامتهم، لم يخرجوا منها إلا مضطرّين مقهورين. وإمامنا الإمام علي الهادي كان مضطراً للخروج منها، والسلطة هي التي تعيّن له مكان إقامته دون اختيار منه ولا رغبة له في ذلك....

المتوكل على خطى المأمون

استفاد المتوكل العباسي من سلفه المأمون، فقد كانت تجربة الأخير مع الإمام الرضا عليه السلام وولده الجواد عليه السلام ناجحة جداً حينما استقدمهما إلى عاصمة ملكه وغلّف ذلك بغلاف جميل براق يحمل شيئاً من دين وحقّ وإن كان في واقعه يحمل الإجرام والإكراه والضغط. استدعى المأمون العباسي الإمام الرضا وادعى أنه يريد أن يقلده ولاية العهد. ولكن الحقيقة كانت غير ذلك، فقد أراد من وراء ذلك عدة أمور:

١- أن يجعل الإمام تحت المراقبة المباشرة له بحيث لا يغيب عن عينيه ولو لحظة واحدة.

٢- ازدادت الرقابة حيث جعلها في داخل بيت الإمام حينما عقد لابنته على الإمام الجواد، وجعلها زوجة له مما أدى ذلك في نهاية المطاف إلى أن تقوم بعملية إجرامية فتسمّم الجواد وتقضي عليه.

٣- استفاد المأمون من استدعاء الإمام الرضا وولده إذ أسكت الثورات العلوية ومنع منها حيث يرى العلويون سيدهم وكبيرهم وإمامهم مع المأمون في ضيافته بل ولّي عهده.

٤- منع المأمون الإمام من التواصل مع شيعته ومواليه، وفصله عن قواعده الشعبية المؤمنة به والتي ترجع إليه في أمورها الدينية والدنيوية وهناك فوائد وثمرات أخرى غير هذه كان يستفيدها المأمون من وراء استدعاء الرضا وجلبه إلى حاضرة ملكه.

أقول: استفاد المتوكل من تجربة المأمون ودرسها جيداً وقرّر أن يستدعي الإمام علي الهادي عليه السلام من المدينة المنورة ويأتي به إلى عاصمة حكمه في سامراء، وهكذا كان، بهذا الأسلوب الخبيث تمّ له ما أراد....

الإمام علي الهادي يُجلب قهراً

صدر أمر المتوكل بإحضار الإمام علي الهادي عليه السلام إلى سامراء، وباعتبار أنّ الإمام كان بريئاً من كل إثارة للشغب - ظاهراً - ضدّ الحكم القائم، بل كان منصرفاً إلى تعليم الناس وتأديبهم والاهتمام بشؤونهم والقيام بمساعدتهم وقد دهمَتْ السلطة بيته مراراً وفتشته تفتيشاً دقيقاً فلم تجد إلا كتب العلم ومصاحف ووجدت الإمام قائماً في مصلاّه يعبد ربه ويناجيه.

أقول: بالرغم من ذلك لم تشفع له كل تلك السلامة والجوانب الإيجابية من السكوت عنه أو غضّ النظر عنه فقد أمر المتوكل يحيى بن هرثمة أن يحمل الإمام إليه - قيل إنّ متولّي الصلاة والحرب في المدينة هو الذي وشى بالإمام - وعلى كل حال كتب المتوكل إلى الإمام كتاباً فيه لطف ورجاء أن يأتيه. ولما دخل هرثمة على الإمام وعرف الناس باستدعائه - تقول الرواية كما يحدث هرثمة - فلما صرت إليها - إلى المدينة . ضجّ أهلها وعجّوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أني لم أُؤمر فيه بمكروه وفتشت بيته فلم أجد فيه إلا مصحفاً ودعاء وما أشبه ذلك.

في سامراء

وصل ركب الإمام علي الهادي عليه السلام إلى سامراء وأنزلوه في مكان لا يليق بمثله حيث أنزلوه خان الصعاليك تصغيراً لقدره واستهانة بمقامه، ثم أفرد المتوكل له داراً فنزل فيها وقد ابتغى المتوكل بذلك عدة أمور:

١- أن يجعل الإمام تحت الرقابة الدائمة، فلا يستطيع التحرّك إلا بحذر وبحدود محدودة.

٢- أن يقطعه عن شيعته ومريديه ومن يؤمن بإمامته ويرجع إليه في أموره.

٣- أن يكون قريباً منه عندما يستدعيه وقد تمّ استدعاء الإمام عدّة مرات وأُحضر إلى مجالس المتوكل ومنها مجلس للشرب حيث اغتنم الإمام الفرصة ووعظه موعظة بليغة جعلته يرفع الشراب ويعود إلى رشده ولو لوقت قصير.

٤- كان المتوكل يدهمُ دار الإمام بين الحين والآخر كلّما وشى الواشون، وكلّما خشيت السلطة منه بالرغم من أنه تحت سمعها وبصرها....

وفي آواخر أيام المتوكل أُلقي القبض على الإمام الهادي وأُودع السجن، وفي السجن كانت معجزة الإمام وكرامته حيث قال: أنا أكرم على الله من ناقة صالح ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1].

ولمَّا كان اليوم الثالث أُطلق سراح الإمام، ثم ثار الأتراك - حراس المتوكل - فقتلوه وأقعدوا ولده المنتصر مكانه...

الإمام الهادي يحمي الإمام المهدي

لا شك أنّ النصوص تضافرت لدى المسلمين عامة بظهور المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، فمن النبي المصطفى إلى وصيه الإمام علي ثم الحسن والحسين وهكذا سائر الأئمة كلهم أطبقت كلماتهم على البشارة بالمهدي.

ولكن الأقرب إلى مولده كان عليه مهمّة أجلّ وأعظم، فعلى عاتقه تقع مسؤولية تهيئة الأجواء وتنقيتها وخلق الظروف المناسبة لتقبُّل ما يخطّطه ويفعله المهدي عليه السلام في ظروف صعبة جدّاً حيث السلطة تطارده وتلاحق ظلّه وتتمنّى لو تظفر به لما يسبب لها من أتعاب وما تتوقّعه فيما لو ظهر من دمار وزوال...

ولقد سعى الإمام الهادي لتوطئة الأمور للإمام المهدي ضمن أمور:

---

(١) سورة هود، الآية: ٦٥.

١- إنّ الإمام الهادي عليه السلام سعى لتزويج ابنه العسكري بالمرأة المؤمنة الصالحة التي تستطيع أن تتحمّل الآلام والعذاب وكل ألوان الاضطهاد والقهر والحبس من أجل أن تحفظ ولدها المهدي فإنّ امرأةً حياةُ وليّ الله بين يديها، يجب أن تكون امرأة - كأمّ موسى - بل أعظم وأجلّ تكتم أمرها ولا تجهر بوليدها وحياته مهما كانت الظروف ومهما مرت عليها الكوارث والضغوط. وإنّ قصة تزويج - نرجس - أم الإمام المهدي - من الإمام العسكري معروفة لدى العامة والخاصة وأنها كانت بترتيب إلهي خاص ووصية من الإمام العسكري بمواصفات عيّنها لمن يتولّى أمر شرائها ونقلها إلى بيت الإمام مع ما في زواج الإمام العسكري من أَمَة لا تجلب الانتباه للحكّام، فيكون مولد المهدي فيه شيء من البُعد عن العيون ولا يشغل الانتباه الكبير، وقد برهنت هذه المرأة - نرجس أم المهدي عليها السلام - عن صبر جميل وقابلية عظيمة في تحمّل هذه المهمّة الجليلة التي تصغر عنها كل مهمّة أخرى، فقد تعرّضت للحبس والمراقبة والتشريد وهي صابرة محتسبة تحفظ ولي الله وترعاه.

هذه كانت أولى المهمّات التي يتولّاها الإمام الهادي.

٢- المهمة الثانية التي كانت ملقاة على عاتق الإمام الهادي - وقد شقّ طريقها بوعي وتخطيط دقيق. أنه سنّ سنّة الاحتجاب عن أتباعه بحكم ظروفه التي يعيشها من جهة، ومن أجل أن يرسم الطريق للإمامين العسكري والمهدي من بعده.

وقد جعل الإمام الهادي عليه السلام الوكلاء عنه هم الوساطة بينه وبين أتباعه وشيعته، وبهذه الطريقة وطّأ للمهدي ومهّد له في نصب الوكلاء في الغيبة الصغرى، ولا تكون هذه الطريقة مستهجنة أو مستغربة أو مستنكرة من قِبَل الشيعة. ولدقة التخطيط وحسن التدبير فقد جعل له وكيلاً - عثمان بن سعيد العمري - وهذا الوكيل اكتسب شرف الوكالة عن الهادي والعسكري واستمرّ في وكالته حتى عن

الإمام المهدي وقد نال ثقة الأئمة الثلاثة وثقة الشيعة حيث كان مرجعها بنصّ الأئمة، واكتسب شعبية عامة لدى الشيعة بحيث لم ينازعه أحد ولم يرجع إلى غيره أحد من الشيعة. ومن بوابة هذا النائب والوكيل عن المهدي استمرّت الوكالات إلى مَنْ بعده مِنَ الوكلاء الثلاثة.

إنّ الإمام الهادي وضع أسس الوكالة بشكلها الظاهر لكي يوطّئ للمهديّ ما ينصبه من وكلاء في غيبته الصغرى؛ ولذا لم تفاجأ الشيعة أو تُصَبْ بصدمة أو تشكّ عندما استمرّ العمري في وكالته عن المهدي عليه السلام بل تقبّلت ذلك بقلوب صادقة ونفوس مطمئنة. وهذه مهمّة عظيمة جليلة تحمّلها الإمام الهادي، واستطاع أن ينجح فيها بأعلى درجات النجاح.

٣- إنّ من مهمّات الإمام الهادي عليه السلام اتجاه الإمام المهدي عليه السلام التأكيد على ولادته وظهوره وبيان مهمّته ودوره وما هو ملقى على عاتقه من تحرير الناس وإقامة العدل والقضاء على الظلم..

تولّى النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده البشارة بالمهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً. وعُدّتْ الأحاديث والروايات وما نقل عن المعصومين بالمئات بل بالآلاف، وقد تناولت اسمه واسم أبيه وتسلسله العددي من حيث إنه الثاني عشر من الأئمة، كما تناولت مولده وغيبته الصغرى والكبرى ومقدمات ظهوره وأيام ظهوره وهكذا حتى أدقّ التفاصيل وأصغرها وقد نقل إلينا ذلك عن طريق الثقات وأهل الصدق والأمانة بحيث يمتنع الشك في ذلك أو الارتياب فيه.

إن الإمام الهادي باعتبار قربه من الإمام المهدي عليه السلام وباعتبار أنّ المهدي حفيد له، تولّى مهمّة الكشف عن المهديّ المدّخر لتحرير العالم، والبشارة للناس بقرب ولادته ثم عيّنه بشخصه وأوصاهم بالصبر على غيبته وبعض خصوصيات ذلك المولود واهمّيته وهذه بعض من تلك النصوص كنموذج للكثير مثلها:

١-عن أبي دلف قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا عليهما السلام يقول: الإمام بعدي[١] الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً.

٢- وعن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الخلف بعدي ابني الحسن فكيف بالخلف بعد الخلف؟

فقلت: ولِمَ جعلني الله فداك؟

قال: إنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه.

قلت: فكيف نذكره؟

فقال: قولوا: الحجّة من آل محمد صلى الله عليه وآله ...

شهادة الإمام الهادي عليه السلام

اتفقت كلمة المؤرّخين على أنّ وفاة الإمام الهادي كانت في سنة (٢٥٤) أربع وخمسين ومائتين للهجرة، ولكنهم اختلفوا في شهر وفاته وفي يوم الوفاة؛ قيل توفي لأربع بقين من جمادى الآخرة - كما ذهب إلى ذلك الكليني في الكافي، وقيل في الثالث من رجب، وقيل في الثالث عشر منه، وقيل لخمس بقين من جمادى الآخرة.

استشهد الإمام علي الهادي في أواخر حكم المعتزّ قبل خلعه بعام حيث دسّ إليه من سمّه فذهب شهيداً إلى ربه راضياً مرضيّاً. وقد حضر أركان الحكم وشيّعوا جنازته ولما أرادوا أن يدفنوه في المقابر العامة وحملوا جنازته كادت أن تصبح ثورة ضدّ النظام لأنّ الناس تتّهمه فأمروا ساعتها بأن يُدفن في بيته فدفن حيث كان يسكن. وقد كانت مدة إقامته في سامراء - بعد أن استُدعي إليها - عشرين سنة وأشهراً، وعمره المبارك كان يوم وفاته أربعين سنة وقيل إحدى وأربعين سنة.

---

(١) كمال الدين.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

الإمام الحسن العسكري عليه السلام شخصيّة اكتملت فيها الإمامة من جميع جوانبها واكتسبت إلى شرفها التليد شرف أن تكون أباً مباشراً للإمام المهدي المنتظر عليه السلام الذي عن يديه تكون عملية تحرير العالم. وهذه الأبوّة تحمّلت عِبْءَ حفظ المهدي عجل الله فرجه في ظروف هي من أصعب الظروف وأشدّها قساوة على أهل البيت، وأيضاً تحمّلت مهمّة أخرى لا تقلّ عن المهمّة الأولى، وهي مهمّة تعريف الإمام لأصحابه ممّن عُرِفوا بالصدق وحفظ الأسرار وكتمانها وعدم البوح بها تحت أصعب الظروف وأشدها. ولو قُرضوا بالمقاريض. ومن هنا ينبغي أن نطلّ سريعاً على هذه الشخصية العظيمة ونعطي لمحة موجزة عنها لما لها من دور - كما قلنا - في إنجاب المهدي وحفظه من الأعداء وتعريفه للأصحاب - وتهيئة المناخات الأُخرى المتعلقة بالوكالة والوكلاء تمهيداً للغيبة الصغرى لوليّ الله المنتظَر...

مولده ونشأته ووفاته عليه السلام

وُلد الإمام الحسن العسكري في المدينة المنورة، قيل - وهو الأشهر - أنه وُلد في شهر ربيع الآخر لسنة ٢٣٢ هـ. وقيل غير ذلك في الشهر والسنة.

والد العسكري هو الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد إلى أن ينتهي بنسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله

وأمّ الإمام علي الهادي أمّ ولد يقال لها: حديثة أو سليل، وكانت من العارفات الصالحات.

لازم الإمام العسكري والده، ولمّا أمر المتوكل باستدعاء الإمام الهادي إليه

عام ٢٣٤ هـ خرج معه ولده العسكري إلى سامراء وأقام فيها معه، وقد رأى بأم عينيه ما يعانيه والده من ظلم واضطهاد، وما تعانيه شيعته من إقصاء وإبعاد عن إمامهم وسيدهم. تولّى العسكري الإمامة بعد وفاة والده سنة ٢٥٤ هـ واستمرت إمامته ستَّ سنوات حيث تُوفي في النصف من شهر ربيع أول من سنة ٢٦٠ هـ وهي أقصر مدة للإمامة يتولاها إمام من أئمة أهل البيت. توفي وله من العمر ثمانية وعشرون أو تسعة وعشرون عاماً، ودفن إلى جانب والده في سامراء. عاصر الإمام العسكري - خلال مدة إمامته - المعتز والمهتدي والمعتمد.

مهمّة مزدوجة للإمام العسكري عليه السلام

كان على الإمام العسكري عليه السلام - والد المهدي عجل الله فرجه - مهمتان كبيرتان، كل منهما تتطلّب جهداً عظيماً ودقّة ودراية ولباقة زائدة عن المتعارف؛ فإنّ الخطأ في أيّ منهما يعرّض المهدي لمخاطر كبيرة تعقّد الأمور وتشوّش الحقائق وتزرع الشكوك وتبلبل الأفكار. والمهمَّتان هما:

الأولى: حفظ الإمام المهدي عجل الله فرجه وعدم تعريضه لخطر السلطة التي تنتظره وتترقّب مولده للقبض عليه حيث تجد فيه الخطر الأعظم عليها وعلى سلطتها وبقاء حكمها. ولهذه المهمّة اتخذ الإمام العسكري طريقة إخفاء ولادة ولده المهدي، إذ لم يكشف هذا الحدث أمام أحد من الناس - حتى بواب بيته خفي عليه أمر ولادة المهدي، وساعد على ذلك أنّ السلطة كانت منهمكة بثورة الزنج في الأهواز وما حولها حيث كانت تهدّد فعلا كيان الدولة ووجودها.

الثانية: التعريف بالمولود الجديد، وهذه مهمّة في غاية الخطورة لا تقلّ عن الأولى أهميّة ودوراً. وقد اتخذ الإمام العسكري خطّة في غاية السرّية، فقد كشف عن مولوده الجديد لأخص أصحابه ممّن يملكون القدرة على الكتمان

ولا يبوحون بهذا السرّ مهما كانت الضغوط عليهم ولو تعرضوا للتعذيب بل وللقتل.

عرض العسكري ولده على خواصّه من أصحاب الدين والعقل وحسن التدبير وأهل الكتمان، وعرّفهم حرمة إذاعة ذلك، بل حرمة تسميته بالاسم، ولذا يكتب الإمام إلى أحمد بن إسحاق - أحد أصحابه - ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً فإنّا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والمولى لولايته، أحببنا إعلامك ليسرّك الله به مثل ما سرّنا به والسلام.

عرض الإمام العسكري ولده المهدي عليه السلام في اليوم الثالث لولادته على بعض أصحابه . وكانوا جملة من الأصحاب - وقال لهم: هذا صاحبكم بعدي وخليفتي عليكم.

ولعل أهمّ إعلان وأوسعه ما قام به الإمام العسكري قبل وفاته بأيام، حيث كان في مجلسه أربعون رجلاً من أصحابه المخلصين، فيقوم ويعرض ولده المهدي عليهم ويقول لهم: هذا إمامكم بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرَّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ويضيف قائلاً لهم: أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا.

في الثامن من شهر ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ توفي الإمام العسكري عن عمر يبلغ تسعاً وعشرين سنة...

والإمام العسكري وهو مريض في أيامه الأخيرة، لم تتركه السلطة بل فرّغت ثلّة من الرجال وأمرتهم بملازمته بحجّة مساعدته وإن كانت مهمّتهم الأساسّية الرقابة عليه من أجل أن يقبضوا على الخلف من بعده لأنهم على يقين من أن الإمام الثاني عشر هو من ولده وهو الإمام المهدي الذي يهدّد عروشهم ويقضي على جبروتهم.. وبالرغم من هذه الرقابة القريبة من الإمام لم يدركوا أمنيتهم ولم يقدروا على أن يحصِّلوا معلومة وإن كانت صغيرة، عن المهدي.

عملية تشويش

كان للإمام العسكري أخ يسمى جعفر - عم الإمام المهدي - كان له دور سيِّئ حيث ادّعى أنه وريث أخيه العسكري بقصد تولّي الزعامة مكان أخيه، ولكي تُجلب له الأموال التي كانت تأتي للإمام، وهذه لا تتّم وتكتمل إلا إذا صلّى على أخيه فإنه بهذه الصلاة يكتسب مشروعية الخلف لأخيه، ويكون الإمام من بعده. ولكن المقادير لم تساعده على ذلك إذ عندما اقترب وقت الصلاة على الجنازة وكاد جعفر أن يبتدئ إذ بالإمام المهدي يخرج فيجذب رداء جعفر ويشدّه إلى الخلف ويقول له: تأخر يا عمّ فأنا أحقّ بالصلاة على أبي. فيصاب جعفر بالذهول ويتأخر بدون أن ينبس ببنت شفة وقد اربدّ وجهه وعلته صفرة فيتقدّم المهدي فيصلي على أبيه. وبهذا العمل الجليل يسقط جعفر وما كان يخطّطه لتولّي الإمامة بعد أخيه العسكري، وبذلك يفشل في اكتساب شيعة أخيه وتتضح معالم الإمامة في المهدي. وهذه الصلاة - كما قيل - هي الصلاة الخاصة في بيت الإمام العسكري حيث أهله وأتباعه وشيعته وخلّص أصحابه، وهم الميزان في تعيين الإمامة وعليهم المعوّل في رسوِّها على أهلها خصوصاً في تلك الظروف الصعبة التي لا يمكن للمهدي أن يحضر جنازة أبيه الرسمية ويتولّى الصلاة عليها أمام أركان السلطة ثم ينجو من القبض عليه، وهي تجهد للوصول إليه وبكل الوسائل وشتى الطرق..

جعفر يَشي بالمهدي عليه السلام

ولجعفر أخبار سوء فإنه بعد أن تصدّى للإمامة جاءت إليه الوفود لترى صدقه، ومنهم وفد من أهل قُمّ يدخل سامراء وهو لا يعلم بوفاة الإمام العسكري، ثم يعلم بذلك فيسأل الوفد عن الإمام بعده فيُشار إلى جعفر فيسألون عنه فيقال لهم: إنه

خرج متنزهاً وركب زورقاً في دجلة يشرب ومعه المغنّون فيتشاور الوفد فيما بينهم ويقولون هذه ليست صفة الإمام ثم يقرّرون مقابلته واختباره. ولما عاد عرضوا عليه واقعهم وأنهم يحملون أموالاً إلى الإمام فطالبهم بها فامتنعوا إلا أن يعرف ممّن هي وكم هي - فإنّ هذا ديدنهم مع من تقدّمه من الأئمة - ولكن جعفراً لم يعرف ذلك وفشل في ادعاء الإمامة فعمد مستنجداً بالسلطة فلم يفلح أيضاً إذ السلطة تعرف كذبه.

وعاد الوفد أدراجه وفي خارج البلد تحدّثوا فيما بينهم عن الإمام وكيف لا ينجدهم ويكشف لهم الحقيقة. وهنا كانت المفاجأة حيث يبعث المهدي عليه السلام خادمه إلى حيث أقام القوم - خارج البلد - فيناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ويقول لهم: أجيبوا مولاكم فيظنون أنه هو الإمام حيث كشف لهم عن أمور لا يعلمها إلا الله أو من علّمه الله من علمه. وهنا يردّ عليهم أنه خادم الإمام ثم يصحبهم إلى دار الإمام العسكري، فلما دخلوها وجدوا الإمام المهدي عليه السلام قاعداً على سرير كأنه قمر عليه ثياب خضر فسلّموا عليه فردّ عليهم ثم أخبرهم بما يحملون جملة وتفصيلاً ووصف ثيابهم وحالهم وغير ذلك، فعرفوا أنه الإمام فسلّموا له المال ثم أمرهم أن لا يحملوا إلى سامراء بعد هذا اليوم شيئاً، ثم أعلمهم أنه نصب وكيلاً عنه في بغداد وعليهم مراجعته وتسليم الأموال إليه.

وصل نبأ الوفد القمي إلى جعفر وما كان منهم من تسليم الأموال إلى الإمام المهدي فتثور ثائرته ويستشيط غضباً ويحمل الخبر إلى الخليفة وأعوانه ويخبرهم أن المهدي قد قبض الأموال وأنه موجود في بيت أبيه. وما إن وصل الخبر إلى السلطة حتى تجرد حملة ظالمة تركب فيها الرجال الخيل وتجدّ السير إلى بيت الإمام العسكري فيدهمون البيت ويفتشون كلّ زاوية وناحية في البيت فلا يجدون شيئاً حتى اشتغلوا بالنهب والسلب لما في البيت. وهنا وهم مشتغلون بذلك يتحيّن الإمام المهدي الفرصة في غفلة منهم ويخرج دون أن يروه، فينجو من

القبض عليه، ولكنّ البلاء يقع على أُمِّه الطاهرة - نرجس - حيث يقبضون عليها ويقرّرونها فتنكر وجوده ثم يحتملون حملها فيحبسونها حتى إذا يئسوا من ولادتها خلّوا سبيلها.

انتحال السفارة زوراً

ابتُلي النبي صلى الله عليه وآله بالكذب عليه في حياته ولم يتورّع بعض أصحابه عن ذلك بعد وفاته مما استدعاه أن يخطب يوماً ويقول لهؤلاء الكذبة: «**من كذب عليّ فَلْيتبوَّأْ مقعده من النار**» وإنّ الأئمة من أهل البيت لم تسلم ساحتهم من هؤلاء الكذبة بل كان ابتلاؤهم كبيراً حيث الأعداء كثيرون وأصحاب المطامع لا يُقدَّرون بعدد فقد نسبوا إلى أهل البيت ما لم يقولوه ورموهم بهتاناً وزوراً بكل أمر خطير حتى صدّق البسطاء ذلك خصوصاً أنّ بعض أهل الدين المغفلين تقبّلوا ذلك بحسن نية ظناً منهم بصدق من تقدمهم ممن أخذ أو روى دون معرفة أو دراية، وخصوصاً إذا ورد ذلك عمَّن يسمّون صحابة...

وإنّ الإمام المهدي عليه السلام بشخصه وموقعه ودوره وأثره وما يحمله من حركة تغيّر وجه الحياة، كان ابتلاؤه عظيماً بهذا الصنف من الكَذَبة..

وإنّ من كذب على الإمام المهدي عليه السلام كان يتطلّع إلى جملة أغراض وعدة أهداف:

١- الإمام المهدي عليه السلام إمام مفترض الطاعة من الله، شخصية اكتملت فيها كل صفات الكمال فَمنْ ادّعى السفارة عنها ادّعى شرفاً عريضاً لا يُجارَى ولا يُضاهَى فهو سفير لأعظم إنسان.

٢- إنّ ادعاء السفارة عن الإمام المهدي يجعل السفير ينوب مناب من أسفره فيصبح كلامه نافذاً وأمره رشيداً مطاعاً ويصبح المقدّم في كل شي ولا يُرَدُّ له أمر وهذه مرتبة عالية تطمح إليها النفوس وترغب في مثلها الناس.

٣- إنّ السفير عن المهدي عليه السلام تُجبى إليه الأموال وتُنقل إليه الصفراء والبيضاء وفي ذلك الغنى والثراء وسعة الحال، وبهذا المال يشتري الرجال ويصالح الأقوياء ويصبح له نفوذه وسلطانه وكل ما ينتج من المال من ثمرات ومنافع وملذّات...

أسماء بارزة في التزوير:

هناك رجالات أعمتهم الدنيا فتخلّوا عن دينهم وعن آخرتهم وقد يكون بعضهم له تاريخ جيد ظاهراً ولكن الأيام كشفت حقيقتهم وبيّنت نواياهم وأظهرت ما في أعماق أنفسهم من انحراف مستتر. من أهمّ هؤلاء الكذبة رجال هم:

١- أبو محمد الشريعي، كان من أصحاب الإمام علي الهادي وأصحاب الإمام الحسن العسكري. ثم انحرف وكان أول من ادّعى مرتبة ليس له، فصدرت التواقيع بتكذيبه ثم ادّى به الانحراف إلى الكفر.

٢- محمد بن نصير كان من أصحاب الإمام العسكري، فانحرف فخرج التوقيع من الإمام العسكري بلعنه والبراءة منه.

٣- الشلمغاني وهو محمد بن علي المعروف بالشلمغاني، أو ابن أبي العزاقر، كان صالحاً ووكيلاً عن الحسين بن روح وكيل المهدي، ثم حسد موكله وذهب إلى آراء ومعتقدات بعيدة عن روح الدين وما عليه المسلمون.

٤- أحمد بن هلال الكرخي، وكان من أصحاب الإمام العسكري، وقد أنكر نيابة النائب الثاني الذي نصبه الإمام المهدي وامتنع عن دفع ما بيده له، ثم تمرّد وجحد وكفر...

٥- محمد بن علي بن بلال (أبو طاهر) وهذا أيضاً من الذين أغرتهم الدنيا فغرّتهم حيث امتنع عن أن يسلّم ما بيده من أموال للإمام المهدي إلى وكيله أبي جعفر العمري، وأصرّ على العناد حتى تبرّأ منه الشيعة ولعنوه وخرج فيه الذمُّ والقدح...

هذه عيّنات من الأدعياء الكذبة - في أيام المهدي في الغيبة الصغرى. وأمّا بعد ذلك في الغيبة الكبرى فحدّث ولا حرج، ففي كل جيل وفي كل عصر يظهر من يدّعي الوكالة عن المهدي، ولكن لا يلبث أن يُفتضح ويظهر أمره فيسقط من أعين الناس ويصبح لعنة على ألسنتهم.

السفراء في عصر الغيبة الصغرى

كانت المدينة المنورة مركز إقامة الإمامين الهادي والعسكري، ولكن السلطة العباسية استحضرتهما إلى سامراء ليكونا تحت نظرها وفي متناول أيديها ووضعت عليهما العيون والجواسيس وأحصت أنفاسهما خوفاً على العروش الخاوية التي لم تُبن على الإيمان والتقوى والعدل والإنصاف.

أيام صعبة بل من أشد الأيام صعوبة أن يعيش الإنسان إقامة جبرّية في مكان لا يريده ولا يحبّه بل يفرض عليه بدون حقّ أو مسوِّغ معقول أو مقبول...

في ظروف قاسية مُنع الأئمة من لقاء شيعتهم وأتباعهم ومن يتولّونهم ويأتمرون بأمرهم، وأصبحت حياتهم نفسها مهدّدة بالخطر في كل لحظة. وهنا وأمام هذا الأمر الواقع كان لابُدَّ من تدبير حكيم يحفظ التواصل بينهم وبين أتباعهم. ولذا تمّ ابتكار موضوع السفارة. وهي تعني أن يعيّن الإمام وكيلاً عنه يكون سفيره إلى الناس، يتصل به عندما يُتاح له ذلك وينقل عنه ما يريد كما ينقل إليه ما يهمّ شيعته من أمور تحتاج إلى حلول. وبهذه الطريقة كان يتم التواصل، وهي لعلها الطريقة الوحيدة المتاحة في ذلك الزمن الصعب وباعتبار أنّ حديثنا عن الإمام المهدي عليه السلام يجدر بنا أن نتحدّث عن سفرائه في غيبته الصغرى التي امتدَّت من وفاة أبيه وابتداء إمامته سنة ٢٦٠ هـ إلى سنة ٣٢٩ هـ حيث ابتدأت بعد ذلك الغيبة الكبرى التي لا نزال نعيش أيامها الحاضرة.

أول السفراء عثمان بن سعيد العَمْري

أول سفراء الإمام المهديّ والوكيل عنه كان الشيخ أبا عمرو - عثمان بن سعيد العَمْري - بفتح العين وسكون الميم - الأسدي - وقد كان قبل وكالته للمهدي عليه السلام - وكيلاً للإمامين الهادي والعسكري، فقد فاز بشرف الوكالة لثلاثة أئمة - إن لم نقل إنه كان أيضاً وكيلاً لأبي جعفر محمد بن علي الجواد، كما يذهب إلى ذلك جملة من العلماء - وهذا الشرف العريض تفرّد به هذا الشيخ الجليل الثقة المؤتمن على الدين والدنيا....

يكنى مترجَمنا بأبي عَمْرو ويلقّب بالسمّان والزيات؛ لأنه كان يتّجر بهما، وأيضاً يلقّب بالعسكري لأنه كان يسكن سامراء وكانت يومها مركزاً للعسكر. وللعمري ولدان، محمد الذي يخلف أباه في السفارة عن الإمام المهدي، وأحمد.

وثاقته

العمري أجلّ من أن يُبحث عن وثاقته فإن كونه وكيلاً خاصاً يعيّنه الأئمة بالاسم، هذا وحده يرتفع به إلى أعلى درجات الوثاقة والقدر والمكانة العظيمة، فلولا وثاقته وأمانته ودينه وعقله وفكره لما أختاره الإمام لهذه المهمّة العظيمة، وهذا المنصب الخطير، ومع هذا فقد نصّ الأئمة على هذا الشيخ الجليل:

روى شيخ الطائفة الشيخ الطوسي بسنده عن إسحاق بن سعد قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه، في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي، أنا أغيب وأشهد ولا يتهيّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت فقولَ مَنْ نقبل؟ وأمرَ مَنْ نمتثل؟

فقال لي صلوات الله عليه: «**هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله وما أدّاه إليكم فعني يؤديّه**».

ويقول أبو محمد الحسن بن علي-العسكري العمري وابنه ثقتان فما أدّيا

إليك فعني يؤديان وما قالا لك فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان.

ويقول عنه الإمام الحسن العسكري في وصيته لشيعته ولمن سأله عنه «**فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه.**

ومن كتاب للإمام العسكري إلى إسماعيل النيسابوري «فإنه - العمري - الطاهر الأمين العفيف القريب منّا وإلينا».

وعندما حضر وفد من اليمن من شيعة الإمام العسكري أمره الإمام بقوله: امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال ثم قال لهم: «**اشهدوا عليّ إنّ عثمان بن سعيد العمري وكيلي وإن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم**»....

ويكفي العمري جلالة وفضلاً أنه عندما تُوفي الإمام العسكري سنة ٢٦٠ هـ يقوم هو بتغسيله وتحنيطه وتكفينه ودفنه ويتولى جميع شؤون هذه المصيبة وقد سوَّغ الشيخ الطوسي ذلك بأنه كان «**مأموراً بذلك للظاهر من الحال التي لا يمكن جحدها ولا دفعها إلا بدفع حقائق الأشياء في ظواهرها**». وقول الشيخ الطوسي إشارة إلى عدم تمكن الإمام المهدي ظاهراً بهذه الأعمال وإن كان من الممكن أن يكون قد تولّى تجهيز أبيه واقعاً وترك الأمر ظاهراً لوكيله كي يتولّى ذلك أمام أعين الناس.

وعلى كل حال فهذا شرف عريض بكل الموازين لهذا الوكيل الأمين....

وعندما تُوفي أبو عمرو تولّى ولده محمد تجهيزه ودفنه، وتولّى السفارة مكانه بنصّ من الإمام المهديّ عليه السلام في حياة والده وبعد وفاته وقد جاءت التعزية من قِبَل المهدي لولده وهذه مقتطفات منها «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون تسليماً لأمره ورضاً بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً فرحمه الله وألحقه بأوليائه**

ومواليه فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقرّبه إلى الله عزَّ وجلَّ وإليهم نضَر الله وجهه وأقال عثرته... أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رُزئت ورُزئنا وأوحشك فراقه وأوحشنا فسرّه الله في منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه بعده ويقوم مقامه ويترحّم عليه.. دُفن العمري في الجانب الغربي من بغداد وهو الآن معروف في بغداد تقصده الزوار ويتبرّك به الناس صلاة ودعاءً وابتهالاً.

النائب الثاني للمهدي- محمد بن عثمان العمري

الوكيل الثاني الخاص للإمام المهدي عليه السلام هو- أبو جعفر- محمد بن عثمان العمري- تولّى السفارة بعد أبيه بنصّ عليه من الإمام حيث قال لوفد اليمن «واشهدوا عليَّ إنَّ عثمان بن سعيد وكيلي وإنَّ ابنه محمد وكيل ابني مهديّكم، وكذلك قوله لبعض اصحابه: العمري وابنه ثقتان فما ادّيا عني فعني يؤدّيان وما قالا لك فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان».

وأمّا الإمام المهديّ فقد نصّ عليه برسالة التعزية التي بعث بها إليه بوفاة والده حيث أثنى عليه جميل الثناء وبعد ذلك ذكر فيها «**وكان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحّم عليه. وأقول الحمد لله فإنّ الأنفس طيّبة بمكانك وما جعله الله عزَّ وجلَّ فيك وعندك أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفقك وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً...**

ويقول الحجة أيضاً في حقّ هذا السفير العظيم «**لم يزل ثقتنا في حياة الأب - رضي الله عنه وأرضاه وأنضر وجهه - يجري عندنا مجراه ويسدّ مسدّه وعن امرنا يأمر الابن وبه يعمل**».

وصفوة القول أنّ هذا السفير كان محلّ ثقة الإمامين العسكري والمهدي، وقد

تابعت الشيعة هذا السفير وأعطته ثقتها وأولته أمورها فكانت المسائل ترد إليه فيوافي بها حجة الله ثم يعود بأجوبتها منه. وهكذا بقي التواصل بين الإمام وبين شيعته ببركة هذا السفير العظيم مدة طويلة امتدت أربعين سنة إن لم نقل بلغت الخمسين كما ذهب إلى ذلك بعضهم حيث توفي هذا السفير في جمادى الأولى من سنة ثلاثماية وخمس أو ثلاثماية وأربع وقد أعلمه الإمام بيوم موته فضلاً عن الشهر والسنة، وقد وقع ذلك كما أخبره واستعدّ ليومه الموعود وهذه كرامة له وزيادة فضل...

قبل وفاة أبي جعفر العمري - المترجم له - أوصى بأمر من الإمام المهدي إلى الحسين بن روح أن يكون هو البديل منه في الوكالة عن الإمام. وهكذا كان، فقد رجعت الشيعة إلى من استخلفه بدون تأخر أو تردّد بل رضيت بذلك وسلّمت واستمرت على طريقتها مع السفيرين السابقين..

وقبر محمد بن عثمان في منطقة (الخلاني) في بغداد يُزار ويُتبرك به....

النائب الثالث الحسين بن روح

النائب الثالث هو الشيخ الجليل الحسين بن روح النوبختي - نسبة إلى أسرته - آل نوبخت - فقد جمع السفير السابق - أبو جعفر محمد بن عثمان - وجوه الشيعة قبل وفاته وقال لهم: إن حدث عليّ حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أُمرتُ أن أجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه وعوّلوا في أموركم عليه. وفي رواية أنه قال لمن جاء يسأله عن الخلف بعده قال: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام والوكيل له والثقة الأمين فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أُمرتُ وقد بلّغت..

وهذا الشيخ الجليل كان واحداً من عشرة كانوا يتولّون شؤون الشيعة في بغداد ويشكّلون حلقة الوصل بينهم وبين السفير الثاني محمد بن عثمان العمري - الذي بدوره كان الوساطة بينهم وبين الإمام وكان من بين العشرة مَنْ هو أخصّ بمحمد بن عثمان وألصق وكان يظن أن السفارة تكون لغيره. ولكنّ حجة الله اختار هذا الرجل لعلمه بالأصلح والأليق لمثل هذه المهمّة العظيمة والخطيرة التي يتوقف عليها الكثير من المصالح العامّة للإسلام وللناس...

قال الشيخ الطوسي عن ابن روح بأنه من أعقل الناس عند المخالف والموافق وتولّى السفارة بعد موت أبي جعفر العمري سنة ٣٠٥ وبقي فيها إلى أن توفي في شعبان من عام ستة وعشرين وثلاثماية، وعلى هذا تكون سفارته أكثر من عشرين سنة عدا ما كان يقوم به للسفير السابق قبل أن يتولّى السفارة الخاصة بالنصّ عليه بالخصوص...

قبر ابن روح في بغداد يُزار ويُتبرّك به يقصده محبّوه والمتقرّبون إلى الله وإلى ولي العصر...

النائب الرابع علي بن محمّد السمريّ

السفير الرابع للإمام الحجّة هو الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن محمد السَّمرَي - بفتح السين والميم - تولّى السفارة بعد وفاة - أبي القاسم بن روح - النائب السابق للإمام المهديّ وقد صدر تعيينه عنه بإيعاز من الإمام وقد تلقّت الشيعة ذلك بالترحيب والقبول والطاعة والالتزام ورجع الناس إليه في شؤونهم وشجونهم وما يحتاجون إليه من المسائل والأمور المهمّة الصعبة كما حملوا إليه حقوق الإمام وما وجب عليهم.. يذكر من يترجم لهذا السفير العظيم كرامات جليلة منها إخباره بوفاة علي بن الحسين بن بابويه القمي - والد الشيخ الصدوق

- وهو في بغداد والفقيه في مدينة الري - بلدة قرب طهران. فجاء الخبر كما أخبر باليوم والشهر والعام.

تولّى شيخنا الجليل - السمري - السفارة من سنة ٣٢٦ هـ يوم وفاة أبي القاسم بن روح إلى سنة ٣٢٩ هـ في النصف من شعبان فتكون مدة سفارته ثلاث سنوات تنقص أياماً.

إعلان انتهاء السفارة

قبل وفاة - السمري - بستة أيام صدر عن الإمام توقيع ينهي به دور السفراء ويقفل باب السفارة إلى أن يظهر الإمام والتوقيع كما هو في المراجع والمصادر هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عليَّ بن محمد السمري: أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميِّتٌ ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة الثانية «وفي رواية الطوسي: **التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره - وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفترٍ ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.**

قال الراوي: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له: من وصيك من بعدك؟

فقال: لله أمر هو بالغه، وقضى.

بوفاة هذا السفير تنتهي فترة الغيبة الصغرى وكانت مدتها تسعاً وستين سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً، ابتدأت بوفاة الإمام الحسن

العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ إلى النصف من شعبان سنة ٣٢٩ هـ يوم وفاة السمري، ودخلنا في عصر الغيبة الكبرى، ولا نزال فيها إلى أن يأذن الله لوليّه بالفرج والظهور، وهذا في علم الله وحده عندما تتأتى الظروف وتكتمل الشروط....

تُوفي السمري آخر الوكلاء للمهدي ودُفن في بغداد، وقبره معروف يُزار ويُتبرَّك به...

فوائد

الفائدة الأولى: أنّ هؤلاء السفراء الأربعة هم وكلاء خاصّين ي نصّ عليهم الإمام الحجة، وهو الذي نصبهم وعيّنهم بأشخاصهم وأسمائهم وليس بالأوصاف ليكون للتردد مجال أو يكون فيهم شك. فقد عيّن الأول والثاني والثالث والرابع بالأسماء وهذا شرف عريض انقاد بموجبه حتى علماء الشيعة وُجهاؤهم لهؤلاء الوكلاء وذهبوا إلى أنّ طاعتهم وخدمتهم والتزام أوامرهم هي كلها التزام بأمر المعصوم. وقد عاصر محمد بن يعقوب الكليني - صاحب كتاب «**الكافي**» وأهم رواة الأحاديث - وكلاء الإمام الحجة كلهم وكان منقاداً لهم مع جلالة قدره وعلو شأنه وكونه من الفقهاء الكبار والمحدثين الثقات.

الفائدة الثانية: أنّ هؤلاء الوكلاء كانوا يتمتّعون بشرف اللقاء بالإمام الحجّة كلما دعت الضرورة وكان في ذلك نفع وفائدة أما كيف كانوا يلتقون به فهذا له طرق وأبواب كثيرة يطرقونها دون أن يلفتوا أنظار السلطان وعيونه إليهم ودون ضوضاء من العامة تؤدّي إلى كشفهم أو كشف سيدهم الإمام فقد كانوا بصفتهم تجاراً تسمح لهم هذه المهنة ان يختلطوا بالناس ويتنقلوا فيما بينهم

دون حرج فلربما التقوا به في الأسواق أو في بيته - المعروف عندهم خاصة - دون أن يلفتوا الأنظار...

الفائدة الثالثة: هؤلاء الوكلاء كانوا في منتهى الصدق والأمانة وفي أعلى درجات كتمان السرّ، فلا يبوحون بمكان سيدهم ولو قُطّعوا وعُذّبوا أشدّ العذاب لأنهم يعرفون أخطار الكشف عنه وما يصيبه وبالتالي ما يصيب الدين والإيمان ولذا عندما قيل لأبي سهل النوبختي: لماذا اختير ابن روح للوكالة عن الإمام دونه - أي لم يختره هو - قال قولته المعروفة الكاشفة عن عمق إيمانه وتسليمه بما يصدر عن الأئمة قال: «**هم أعلم وما اختاروه - يعني الأئمة - ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم ولو علمتُ بمكانه - يعني الإمام المهدي - كما علم أبو القاسم - ابن روح - وضغطتني الحُجة لعلي كنت أدلّ على مكانه. وأبو القاسم لو كان الحجّة تحت ذيله أي تحت ردائه وقُرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه**»[1].

الفائدة الرابعة: هؤلاء الوكلاء كانوا وسطاء بين الناس وبين الإمام ينقلون توقيعات الإمام وما يصدر عنه وما يريد تبليغه لهم، كما أنه صلوات الله عليه كان يردّ على الأسئلة التي تصل إليه ويجيب عمَّا يعرض عليه فكان في أجوبته الدواء الشافي.

الفائدة الخامسة: كان لهؤلاء السفراء وكلاء في بغداد وفي غيرها من البلاد التي كان للإمام شيعة وأتباع فكان هؤلاء الوكلاء أيضاً في غاية الأمانة ومن الأصحاب الذين يحفظون الأسرار فكانوا ينقلون عن السفير ما يريده الإمام كما كانوا يتولّون جمع الحقوق وإرسالها إلى السفير وفي بعض الأحيان قد تتاح لهم فرصة رؤية الإمام وتسليمها له مباشرة وقد كان لابن روح - السفير

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٣٩١.

الثالث ـ عشرة وكلاء في بغداد يتولّون ما يكلفهم به السفير وكانوا في بعض الأحيان يكتبون للإمام ويأتيهم الجواب...

الفائدة السادسة: هؤلاء الوكلاء كانت دعواهم الوكالة مقرونة بما يثبتها، وقد ظهرت على أيديهم كرامات وإخبارات وجاءت كما قالوا وأخبروا يضاف إلى ذلك أنهم كانوا معروفين عند الأصحاب بالصدق والأمانة والوثاقة وكان لهم تاريخ مشرق تطمئن إليه النفوس، فقد أُخبر محمد بن عثمان العمري بيوم وفاته وشهره وسنته كما أنّ عليّ بن محمد السمري أخبر بوفاة الشيخ علي بن الحسين بن بابويه القمّي - والد الشيخ الصدوق - أخبر باليوم والشهر والسنة. كما أنّ بعض السفراء كان يخبر من يأتيه بالأموال عن كميّتها ومن أين والناقص منها أو المستبدل، وهكذا مما يثبت به أنّ لله عناية خاصة بهذا الانسان تؤهله لهذا المنصب العظيم...

الفائدة السابعة: جميع هؤلاء السفراء كان مركزهم ومقامهم في بغداد يتنقلون فيها في تجارتهم بالبيع والشراء وما يناسب مقاماتهم وكرامتهم، وكانوا على جانب كبير من الحيطة والحذر من السلطة وأعوانها يتعرف عليهم الشيعة فيستمعون لهم ويقبلون منهم، وقد أجمع أصحاب الأئمة على قيادة هؤلاء الوكلاء وريادتهم فلم يختلفوا في واحد منهم وما حدث لبعض الخارجين وادعائهم فإنما لنفوس مريضة وطمع في الدنيا الخسيسة، وينبغي أن يُعلم أن قبورهم كلها في بغداد...

الفائدة الثامنة: يذكر أصحاب السيرة وكل من كتب عن هؤلاء الوكلاء أنّ الخطوط التي كانت تصدر عن الإمام الحجة وقبله عن أبيه هي نفسها لم تختلف أبداً فما نقله السفراء من رسائل وتواقيع وكتب جاءت وحدة الخط ثابتة مما يكشف أنّ الأئمة هم بأنفسهم يتولّون تلك الكتب ويسطّرونها بأيديهم وليس للسفراء إلّا نقل هذه الرسائل والكتب...

الفائدة التاسعة: شذّ بعض الناس فادّعوا أنهم وكلاء للإمام الحجة وكان وراء ذلك حبّهم للزعامة، فقد ظنّوا أنهم يقودون الشيعة ويوجهونهم ويتأمّرون عليهم وتكون لهم الوجاهة، أو كان وراء ذلك الاستيلاء على الأموال التي بين أيديهم والتي جمعوها باسم الإمام، أو كانوا يرغبون في الإثراء عن هذا الطريق حيث يأتيهم الناس بحقوقهم ويدفعونها لهم ليوصلوها إلى الإمام فيتسلطون عليها ويتصّرفون بها...

وقد وقع ذلك حتى لبعض وكلاء السفراء ممن كان معروفاً بالوثاقة والإيمان والاستقامة، ثم غرّته الدنيا فانقلب وتنكّب الطريق فصدرت فيه التواقيع من الإمام نفسه إذ أعلن البراءة منه ولعنه، فسقط من الأعين وتم نبذه، بل بقيت عليه اللعنة إلى يوم الدين...

الخلاصة: بوفاة الإمام الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هجرية ابتدأت الغيبة الصغرى وامتدت إلى سنة ٣٢٩ هـ فإذا أضفنا إليها أربع سنين ونصفاً عاشها المهدي مع والده يكون عمره الشريف حينما انتهت هذه الغيبة الصغرى تسعة وستين عاماً، ونصف العام وخمسة عشر يوماً، ثم ابتدأت الغيبة الكبرى التي لا نزال نعيش أيامها إلى أن يأذن الله لصاحبها بالفرج...

-كانت سفارة السفير الأول عثمان بن سعيد العمري خمس سنوات، هذه خاصة عن الإمام المهدي - فضلاً عن سفارته عن الإمامين الهادي والعسكري...

- وكانت سفارة السفير الثاني - محمد بن عثمان العمري - حوالي الأربعين سنة.

- وكانت سفارة السفير الثالث - الحسين بن روح النوبختي - واحداً وعشرين عاماً.

- وكانت سفارة السفير الرابع - علي بن محمد السمري - ثلاث سنوات.

السفارة وأهدافها

بعد أن وقفنا على حياة السفراء الأربعة بصورة موجزة ومختصرة، ووقفنا على صحّة سفارتهم عن الإمام ووكالتهم عنه وبعض الخصوصيات التي تمتّعوا بها وقاموا بها ينبغي هنا أن نوجز الحديث أيضاً عن دور هذه السفارة وهدفها ويمكن أن نلخّص ذلك في أمرين مهمين كبيرين:

الأول: أنّ هذه السفارة وطّأت لغيبة المهدي عليه السلام وهيّأت الأجواء لتقّبل غيبته فلا يفاجأ الشيعة بالغيبة الكبرى والاحتجاب الكلي للإمام فيُحدث لهم ذلك صدمة بل ربما ردّة وانقلاباً ومهّد أيضاً لذلك احتجاب الإمامين الهادي والعسكري - وإن لم يكن احتجاباً كلياً - ساعد على فكرة الغيبة وسيأتي في بحث الممهدات للغيبة ما ينفع في ذلك...

الثاني: أن هذه السفارة بأشخاص السفراء الأربعة أدت مهمّة جليلة حيث قام السفراء بأداء وظائفهم الموكلة إليهم في قضاء حاجات الشيعة وإعانتهم وحفظ وحدتهم وحفظ مصالحهم، وكانوا واسطة العقد بين الإمام وبين الشيعة ينقلون أسئلتهم إلى الإمام كما ينقلون أجوبته لهم وهكذا...

وكلاء الإمام المهدي عليه السلام في الغيبة الكبرى

قلنا إنّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده أعلنوا عن غيبة المهدي ووضعوا هذه المعلومة بين أيدي الناس لئلا يفاجؤوا أو تأخذهم الحيرة فيضلّوا عن السبيل. وقلنا إنّ الإمام المهدي عليه السلام نفسه أعلن عن غيبته الكبرى وأقفل باب اللقاء بالناس حيث ألغى منصب الوكالة الخاصة التي انحصرت بوكلائه الأربعة وقد كتب إلى سفيره الرابع والأخير علي بن محمد السمري: «**أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا تُوصِ إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية..**».

وهنا سؤال: هل إنّ الإمام المهدي - والأئمة قبله العارفين بهذه الغيبة هل تركوا الأُمَّة بدون ولي يرعاها ويهتم بها ويقوم بشؤونها ويقيم أحكام الله وحدوده فيها، وما يحفظ النظام العام ويحفظ إيمان الناس وعقائدهم ويصون مفاهيم الإسلام وقيمه وتعاليمه..؟ أم أنهم صانوا الأمة وحفظوها بأنجع الطرق وأسلمها وأقوم السبل وأفضلها؟!....

لا شك أنّ العقل يحكم - وحكمه صائب محكم - بأنّ الأئمة ومنهم الإمام المهدي عليه السلام - الإمام المتصدي فعلاً لشؤون الأُمة - لا يمكن أن يهملوا الأمور ويتركوها سائبة فإنّ من تولّى رعاية قطيع من الغنم واضطر إلى أن يبتعد عنه لا يستسيغ عقله أن يتركه بدون وكيل عنه يقوم عليه، يحفظه ويصونه ويهتم به، فكيف بالإمام الرؤوف العطوف عنوان الرحمة؟! كيف يمكن للإمام أن يترك الناس بدون راعٍ واعٍ يحمل الكفاءة من الإيمان والعلم والعدالة؟

نعمً لا يمكن مثل هذا؛ فإنّ الأئمة هم قادة العباد وساسة البلاد، وعن أيديهم

تجري الأمور وصلاً وفصلاً، وقد أولوا هذه القضية اهتماماً واسعاً ووضعوا للأمة علامات ومؤشرات تأخذ بأيدي الطالبين للحق إلى الهدى والرشاد...

لقد وجّه الأئمة أنظار الناس إلى عناوين بارزة متى اجتمعت في شخص كان هو الوكيل عن الإمام المهدي - فالنصّ هنا ليس على الشخص وتسميته باسمه وتعينه بهذا الاسم - كما وقع لوكلاء الأئمة في حياتهم ومنهم وكلاء المهدي الأربعة - ولكن هنا التعيّن بالصفات....

ولعلّ أهمّ مستند هو ما صدر عن الإمام المهدي عجل الله فرجه في توقيعه الذي جاء ردّاً على أسئلة سألها إسحاق بن يعقوب حيث يقول له عليه السلام: «**أمّا ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك - إلى أن قال: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله**»[1].

فإنّ قوله عليه السلام «**فإنهم حجتي**» هذا جعل ولائي لهؤلاء الرواة ليكونوا القادة ويكون قولهم فصلا وحجة على الناس لا يجوز ردّه أو التصدي له بقرينه «**وأنا حجة الله**» فقد جعل لهم من الولاية ما هو مجعول له بحكم كونه حجة الله...

فالرواة - الفقهاء - هم الوسطاء بين الإمام والناس كما أن الإمام هو الوساطة بين الله وبين الفقهاء، وتبعاً لهم، الناس...

وفي مقبولة عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من كان منكم = من الشيعة المؤمنين بولاية أهل البيت = ممّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً فإن حكم بحكمنا فلم يُقبل منه فإنما استُخفّ بحكم الله وعلينا ردّ، والراد علينا الراد على الله وهو على حدّ الشرك بالله**»[2].

هذا نموذج عمّا اعتمده الأئمة في بيان صفات وكيل الإمام المهدي عجل الله فرجه في غيبته

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٨، ص ١٠١، حديث ٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١٨، ص ٩٩، حديث ١.

الكبرى وقد انطبق على الفقهاء القائلين بإمامة الأئمة الذين وقفوا على حلال الله وحرامه من مصادره الأساسية كتاب الله وسنة المعصومين وأحرزوا قصب السبق في الإيمان والعلم والتقوى والالتزام والاهتمام بشؤون الدين وشؤون الأُمة فكانوا أمناء الرسل وحصون الإسلام وورثة الأنبياء والأئمة بحق وقد ابتدأت هذه النيابة العامة والوكالة عن الإمام المهدي منذ غيبته الكبرى، ولا يزال الفقهاء إلى يومنا هذا يتولّون هذا المقام بجدارة وحقّ وصدق، وبرهنوا خلال هذه المسيرة الطويلة أنهم أكفاء أولياء. وقراءة سريعة وسرد سريع لأسماء لامعة يكفيان للتدليل على ذلك من أصحاب الكتب الأربعة الكليني والصدوق والطوسي إلى المفيد والشريفين الرضي والمرتضى فالحلّي وهكذا إلى يومنا الحاضر فستجد قمة العطاء والنقاء والطهر والسداد.

إنّ هذه المرجعيات هي التي حفظت خطّ الإمامة العريض وكانت الأمينة على تراث أهل البيت عليهم السلام فاجتهدت في أحكامهم وما وصل إليهم منهم حتى قدّمت للأمة منظومة تشريعية متكاملة غطّت مساحة الحياة على امتدادها وسعتها وتنوّعها، وأغنت ببحوثها كل مستجد وطارئ مما لم يكن له أثر فيما تقدّم ومضى، وشملت تلك البحوث قضايا الحكم والإدارة والعلاقات الدولية وغيرها، فضلاً عن منظومة العبادات وما تتضمّن من علاقة روحية متصاعدة نحو الله...

إنّ هؤلاء الفقهاء هم وكلاء الإمام المهدي عجل الله فرجه وهو صلوات الله عليه يقف على حركاتهم إمّا بالمباشرة أو بالوساطة إذا استدعت الظروف ذلك وكانت الأمور بحاجة إلى أن يتدخل لتصحيح خطأ أو وضع حلّ استعصى عليهم أو لغير ذلك من الأمور الأساسية في حياة الأمة وكان فيها مصلحة عامة في غاية الأهمية.

ادعاءات كاذبة

في عصر الغيبة الصغرى نصّ الإمام المهدي عليه السلام على أربعة وكلاء تولّوا الوكالة عنه بالتدريج وهذا النصّ ذكر كل واحد باسمه وقد عرفتهم الشيعة جيداً وعادت إليهم في حوائجها فكانت ترفع إليهم ما تريد من الإمام وكانوا يتصلون به وينقلون عنه الأجوبة والاستفهامات كما كانوا ينقلون إليه الحقوق الشرعية من خمس وزكاة وصدقات وكان من يدّعي الوكالة يُفتضح أمره ويسقط اعتباره ولم يعد له في صفوف الشيعة محلّ أو مكان...

وأما في عصر الغيبة الكبرى - وحيث لا نص على الأشخاص ولا تسمية لأحد باسمه - فكانت المواصفات هي التي ترشّح الوكيل وتدفع به إلى الصدارة في التصدّي لهذا الأمر الخطير وقد اعتاد الشيعة على أن يرجعوا لمن استجمع شروط المرجعية من علم بالفقه والأصول إلى درجة الاجتهاد، وكان إمامياً عادلاً، والمرجع - الفقيه العادل - كان يتعيّن ولا يزال - من خلال الطبقة التي تليه فقهاً ودراية من خلال دراستها على يديه أو مباحثاتها معه أو من خلال بحوثه التي طرحها في الحوزات العلمية التي تضّم آلاف الطلاب وفيهم من هو من أهل الفضل والاجتهاد والتمييز بين المفضول والفاضل، فكانت الثلة الواعية من هؤلاء العلماء يُرجعون الناس إلى الفاضل، ويشيرون إليه بالأصابع، ويكون هو المتعيّن للمرجعية، فيعود الناس إليه في مسائلهم وما يبتلون به من قضايا وأحداث، فضلاً عن تقليده في العبادات من طهارة وصلاة وصيام وغير ذلك...

على هذه الطريقة درج الشيعة في مراحل حياتهم، منذ عهد الطوسي والمفيد والمرتضى وهكذا إلى يومنا هذا...

نعم خرق هذه العادة وهذه الطريقة في بعض الأحيان من أغرته نفسه وأطمعه شيطانه فاستطال وتطاول على هذا المقام المنيع، ورام ان يتسلّق سلّم المرجعية ليصل إلى المقام المحظور على مثله فلم يسعده حظه، فقد أراد بعضهم أن يفرض

مرجعيته بقوّة أنظمة حاكمة استند إليها واعتمد عليها، وبعضهم أراد أن يفرض مرجعيته بالمال الذي يبذله ويوزّعه، وبعضهم أراد أن يفرض مرجعيته بكذبه واحتياله. وبعضهم أراد أن يفرض مرجعيته بالدعايات والإعلام، وبعضهم أراد المرجعية بالوراثة، وقد أرادها بعضهم في غير ذلك. ولكن هذه المرجعيّات كلها سقطت ولم يرجع الشيعة إلى أحد ممّن هم على هذه الشاكلات المنكوبة فإن الوجدان الشيعي يختزن من التراث والمعلومات ما يميّز بين المرجعية الصادقة المؤهّلة لقيادة الأمّة وبين المرجعية المزيفة المدعية ما ليس لها بحق. وقد رأينا بأُمّ أعيننا ونحن نتلقى العلم في النجف الأشرف حيث الحوزة العلمية وفيها مقام المرجعية العليا للشيعة رأينا بأم أعيننا كيف تسقط المرجعيات التي اعتمدت الوراثة أو المال أو السلطة الحاكمة، ورأينا بأم العين كيف يرجع العلماء ويرجع الناس تبعاً لهم إلى من لا يملك إلا العلم والتقوى والزهد والصدق وخدمة الناس وقضاء حوائجهم...

إنّ المرجعيات المزيفة إذا استطاعت ان تخدع بعض الناس وفي بعض الأحيان فإنها لا تستطيع أن تخدع العلماء ولا تستطيع أن تخدع كل الناس وفي كل الأحيان فإن حَمَلة الشريعة وحرّاسها والساهرين على سلامة مسيرة المرجعية سيكشفون هذه المرجعيات المزّيفة إن لم تتكشف بنفسها لأنّ الباطل لا يمكن أن يعيش وإذا عاش فإلى فترة قصيرة جداً.

ستبقى المرجعية الصادقة المؤهلة لقيادة الأمة - في عصر الغيبة الكبرى - هي التي تتولّى شؤون الناس وكالة عن الإمام المهدي عليه السلام وستبقى إلى أن يأذن الله بالظهور ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[1]، فلا خوف على الشيعة ولا خوف على مرجعيتهم الرشيدة الرائدة فإنها في عين الله وحرزه وهو سبحانه الحافظ لها وللناس المؤمنين المخلصين.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

العمر المديد - معجزة أخرى

قلنا إنّ الغيبة عملية احتجاب عن الأنظار لئلّا تطال المهدي عليه السلام أيدي الظالمين بسوء وإنه معدّ لأمر عظيم يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ان مُلئتْ ظلماً وجوراً، ولكن هذا الاحتجاب قد طال وامتدّ لفترة أكثر من ألف سنة وقد يطول إلى ما شاء الله، وكما هو في علمه. فكيف نفسر امتداد هذا العمر الطويل؟! وكيف يعيش هذا الإنسان هذه المدّة المديدة من العمر، مع أن ما اعتدناه من الأعمار لا يتجاوز المائة سنة إلا عند بعضهم حيث يتجاوزون هذا الرقم من العدد وهم قلّة؟

أولاً نقول: أنهىَ النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الحديث في هذا المجال عندما أخبروا أن للمهدي غيبة طويلة - وقلنا الغيبة عملية احتجاب عن الأنظار - ولم يحددوا مدتها بل جعلوها مفتوحة يعلم الله وحده مداها ومدتها وكشفوا أنها ستكون امتحاناً واختباراً للناس فمنهم من يصمد على إيمانه وما أخبر المعصوم به، ومنهم من يأخذه الشك فيرتاب ويضلّ، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسكُ فيها بدينة كالخارط لشوك القتاد...قال: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة فليتقِّ الله عبد وليتمسك بدينه»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: من جملة حديث له «**لابُدَّ للناس من أن يمحَصوا ويميَزوا ويغربلوا ويخرج من الغربال خلْقٌ كثر**»[2].

وهذه الصورة التي ينقلها الأئمة عمّا سيقع للناس في غيبة الإمام هي صور الواقع الذي يعيشونه نتيجة هذه الغيبة التي لم يألفوها ولم يعتادوا عليها فتوجب لهم الشكوك والاضطراب والقلق وقد تصل الأمور ببعضهم إلى حدّ إنكار الإمام

---

(١) الغيبة للنعماني، ص ١٧٤.

(٢) المصدر نفسُه، ص ٢١٢.

والخروج مما هو عليه من عقيدة. ففي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لتمحصنّ يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل في العين، وإنّ صاحب العين يدري متى يقع الكحل في عينيه ولا يعلم متى يخرج منهما وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ويمسي وقد خرج منها ويمسي على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها..»[1].

إنّ احتجاب الإمام وغيبته على خلاف ما اعتاده الناس، ولذا اهتمّ بها الأئمة كثيراً، إخباراً بها، وتحذيراً من انكارها، ورفضاً لتوقيت الخروج وهكذا... وقد كانت سيرة ومسيرة الإمام المهدي حديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام حتى جاءت عنهم ثروة ضخمة لا تقدّر بثمن تناولت تفاصيل دقيقة من حياة هذا القائد العظيم وهذا الاهتمام منهم جميعاً لأنّ هذا الإمام استثنائي في مولده ومنشئه وغيبته وظهوره ومقدّمات ظهوره وحروبه وانتصاراته وما يجري في أيامه وبعد أيامه. فإنّ كلّ هذه الخارطة دليلٌ على أهمّية الحديث المهدوي وما يحمله من أحداث وقضايا مخالفة لما اعتاده الناس وألفوه في حياتهم.

إنّ الأخبار بغيبة الإمام وطّأت للناس وسهّلت عليهم قبول الفكرة قبل وقوعها - فلا تسبب لهم صدمة أو تحدث لهم تردداً وشكاً عند وقوعها، هذا أولاً...

وثانياً: إنّ الناس على أعمار معيّنة قد خُرِقَ بنص قرآني مثبت، لا يمكن للمؤمن أن يشكّك في هذا النصّ أو يتردّد فيه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[2].

(فنبي الله نوح أقام في قومه هذه المدّة المديدة وهي خلاف ما ألفه الناس أو اعتادوا عليه، وأيضاً هذه العادة اختُرِقتْ في أهل الكهف حيث أنامهم الله ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً..)[3]. فهذه المدة التي يسجلها القرآن هي مدة إقامتهم نياماً

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٥.

في الكهف فقط أمّا قبل نيامهم فالله أعلم بأعمارهم وهي مدّة طويلة بالنسبة إلى أيامنا هذه. ولولا النص القرآني لوجدنا من الناس من يشكك بها وبمن أخبر بها، ولكنه القرآن الصادق الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه.

وأيضاً يخبر سبحانه خبر الذي مرّ على قرية مدمّرة فقال ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾[1].

فهذه نصوص قرآنية في أعلى درجات الوضوح وأعلى درجات القبول فإذا جرت هذه الأعمار في حق من ذكرنا فما هو الإشكال في القول بامتداد عمر المهدي عليه السلام هذا العمر المديد مع العلم أنّ المهدي عليه السلام استثناء بشري بشَّر به النبي صلى الله عليه وآله قبل ولادته وكذلك بشّر به الأئمة قبل مولده وكانت تفاصيل كثيرة في مولده وفي غيبته الصغرى والكبرى وما يجري فيها وكذلك ما ورد في علامات ظهوره وما يجري له ومعه من حروب حتى انتصاره وبسط العدل في دولته وما يكون في تلك الدولة من خير وعطاء وبركات كثيرة. فإذا أخبر النبي صلى الله عليه وآله بخبر المهدي عليه السلام كان على الأمة أن تتقبّل ذلك وتؤمن به على حدّ إيمانها بالنصّ القرآني فإنه سبحانه وتعالى يقول في حقّ رسوله محمد صلى الله عليه وآله ﴿...وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾[2].

إنّ النبي صلى الله عليه وآله أخبر بغيبة المهديّ ولم يحدّد لهذه الغيبة وقتاً محدوداً بل جعلها مفتوحة وأنّ الله هو وحده الذي يعلم مدتها ومتى يكون الظهور والخروج، وهذا له ثمرات ومنافع كثيرة حيث يبقى الإنسان على الدوام مستنفراً متحفزاً مستعداً لهذا الظهور فيعدّ له عدّته ويتأهب له بما يلائمه ويناسبه...

وثالثاً: عند المسلمين وغيرهم إيمان بأنّ الخضر حي يرزق يطوف في البلاد ويقطعها طولاً وعرضاً وكذلك المسيح حي رفعه الله إليه ونجّاه من الصلب

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

والقتل وهكذا يُذكر غيرهما من العباد الصالحين كما يُذكر بقاء الشيطان الذي استجاب له الله عندما طلب أن يُنظره فأنظره الله سبحانه إلى الوقت المعلوم، كما أنّ الدجّال حيّ وهكذا. فإذا كان الله أطال عمر بعض أوليائه كما أطال عمر بعض أعدائه فلا غرابة أن يعيش المهدي هذه المدة المديدة إلى ما شاء الله، كما هو في علمه، وكما أخبر بذلك النبي والأئمة، وأقول: بعد أن كتبت ما تقدّم من أسطر وقفت على ما نقله صاحب البحار عن كشف الغّمة، فقد ذكر الأخير - ونعم ما ذكر مع بعض التحفظات عليه - ولكنه أجاد وأفاد وثبّت الاعتقاد بصحة ما عليه الشيعة - خصوصاً أنه من العامة فهو شافعي المذهب وليس على مذهب الإمامية. فقد نقل - كشف الغمة - عن كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب وقال في أول الكتاب: إني جمعت هذا الكتاب وعرّيته من طرق الشيعة ليكون الاحتجاج به اك. وقال في المهدي - من الكتاب المذكور - يذكر أبواباً:

الأول: في ذكر خروجه - المهدي عليه السلام - في آخر الزمان - ويذكر الأحاديث.

الثاني: في قوله صلى الله عليه وآله: المهدي من عترتي من ولد فاطمة، ويذكر الأحاديث.

الثالث: في أنّ المهدي من سادات أهل الجنة، ويذكر الأحاديث.

الرابع: في أمر النبي صلى الله عليه وآله بمبايعة المهدي، ويذكر الأحاديث.

الخامس: في ذكر نصرة أهل المشرق للمهدي، ويذكر الأحاديث.

السادس: في مقدار ملكه بعد ظهوره، ويذكر الأحاديث.

السابع: في بيان أنه يصلي بعيسى بن مريم، ويذكر الأحاديث.

الثامن: في تحلية النبي صلى الله عليه وآله المهدي، ويذكر الأحاديث.

التاسع: في تصريح النبي صلى الله عليه وآله بأنّ المهدي عجل الله فرجه من ولد الحسين عليه السلام ويذكر الأحاديث.

العاشر: في كرم المهدي عجل الله فرجه

الحادي عشر: في الرد على من زعم أنّ المهدي هو المسيح بن مريم، ويذكر الأحاديث.

الثاني عشر: في قوله صلى الله عليه وآله: لن تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي في وسطها، ويذكر الأحاديث.

الثالث عشر: في ذكر كنيته - كنية المهدي - وأنه يشبه النبي صلى الله عليه وآله في خلقه، ويذكر الأحاديث.

الرابع عشر: في ذكر اسم القرية التي يكون منها خروج المهدي عليه السلام ويذكر الأحاديث.

الخامس عشر: في ذكر الغمامة التي تظلّل المهدي عليه السلام عند خروجه، ويذكر الأحاديث.

السادس عشر: في ذكر الملك الذي يخرج مع المهدي عليه السلام عند خروجه، ويذكر الأحاديث.

السابع عشر: في ذكر صفة المهدي عليه السلام ولونه وجسمه، ويذكر الأحاديث.

الثامن عشر: في ذكر خاله على خده الأيمن وثيابه وفتحه مدائن الشرك، ويذكر الأحاديث.

التاسع عشر: في ذكر كيفية أسنان المهدي، ويذكر الأحاديث.

العشرون: في ذكر فتح المهدي القسطنطنية، ويذكر الأحاديث في ذلك.

الحادي والعشرون: في ذكر خروج المهدي عليه السلام بعد ملوك جبابرة، ويذكر الأحاديث.

الثاني والعشرون: في قوله صلى الله عليه وآله: المهدي عليه السلام إمام صالح ويذكر الأحاديث.

الثالث والعشرون: في ذكر تنعّم الأمة زمن المهدي عليه السلام ويذكر الأحاديث.

الرابع والعشرون: في اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّ المهدي خليفة الله تعالى ويذكر الأحاديث.

الخامس والعشرون: في الدلالة على كون المهدي عليه السلام حيّاً باقياً من غيبته إلى الآن ولا امتناع في بقائه بدليل بقاء عيسى والخضر والياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الدجال وإبليس اللّعين من أعداء الله تعالى، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة وقد اتفقوا ثم أنكروا جواز بقاء المهدي عليه السلام لأنهم إنما أنكروا بقاءه من وجهين، أحدهما طول الزمان، والثاني: أنه في سرداب من غير أن يقوم أحد بطعامه وشرابه، وهذا ممتنع عادة.

قال مؤلف الكتاب محمد بن يوسف بن محمد الكنجي بعون الله نبتدئ:

أما عيسى عليه السلام فالدليل على بقائه قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[1] ولم يؤمن به منذ نزول هذه الآية إلى يومنا هذا، ولا بد أن يكون ذلك في آخر الزمان.

وأمّا السنّة فما رواه مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان، في حديث طويل في قصة الدجال، قال: فينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين - والهرد ثوب مصبوغ بالأصفر - واضعاً كفّه على أجنحة ملكين. وأيضاً ما تقدّم من قوله: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم فيكم. وأما عن الخضر والياس فقد قال ابن جرير الطبري: الخضر والياس باقيان يسيران في الأرض.

وأيضاً فما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

قال: فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قطّ أشدّ بصيرة مني الآن. قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلَّط عليه. قال أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد: يقال إنّ هذا الرجل هو الخضر قال: هذا لفظ مسلم في صحيحه كما سقناه سواء، وأما الدليل على بقاء الدجال فإنه أورد حديث تميم الداري والجسّاسة والدابة التي كلمتهم وهو حديث صحيح ذكره مسلم في صحيحه وقال: هذا صريح في بقاء الدجال.

قال: وأما الدليل على بقاء اللعين فآية الكتاب العزيز وهي قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾[1].

وأمّا بقاء المهدي عليه السلام فقد جاء في الكتاب والسنة، أمّا الكتاب فقد قال سعيد بن جبير في تفسير قوله عزّ وجلّ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[2] قال: هو المهدي عليه السلام من عترة فاطمة وأمّا مَنْ قال إنه عيسى فلا تنافي بين القولين إذ هو مساعد الإمام على ما تقدّم. وقد قال مقاتل بن سليمان ومن شايعه من المفسرين في تفسير قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾[3] قال: هو المهدي يكون في آخر الزمان وبعد خروجه يكون قيام الساعة وأماراتها.

وأمّا الجواب عن طول الزمان فمن حيث النصّ والمعنى: أما النصّ فما تقدّم من الأخبار على أنه لابُدَّ من وجود الثلاثة في آخر الزمان وأنهم ليس فيهم متبوع غير المهدي عليه السلام بدليل أنه إمام الأُمّة في آخر الزمان وأن عيسى عليه السلام يصلي خلفه كما ورد في الصحاح ويصدقه في دعواه. والثالث هو الدجال اللعين وقد ثبت أنه حي موجود، وأمّا المعنى في بقائهم فلا يخلو من أحد قسمين: إمّا أن يكون بقاؤهم في مقدور الله تعالى أو لا يكون، ومستحيل أن يخرج عن مقدور الله؛ لأنّ من بدأ الخلق من غير شيء وأفناه ثم يعيده بعد الفناء، لابُدَّ أن يكون البقاء في مقدوره

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٧.

(٢) سورة براءة، الآية: ٣٤

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٦١.

تعالى، فلا يخلو من قسمين، إما أن يكون راجعاً إلى اختيار الله تعالى أو إلى اختيار الأمة، ولا يجوز أن يكون راجعاً إلى اختيار الأمة لأنه لو صح ذلك منهم لجاز لأحدنا أن يختار البقاء لنفسه ولولده وذلك غيرحاصل، غير داخل تحت مقدورنا، ولا بد أن يكون راجعاً إلى اختيار الله سبحانه. ثم لا يخلو بقاء هؤلاء الثلاثة من قسمين أيضاً إما أن يكون لسبب أو لا يكون لسبب، فإن كان لغير سبب كان خارجاً عن وجه الحكمة. وما يخرج عن وجه الحكمة لا يدخل في أفعال الله تعالى، فلابُدَّ من أن يكون لسبب تقتضيه حكمة الله تعالى، قال: وسنذكر سبب بقاء كل واحد منهم على حدته أما بقاء عيسى عليه السلام لسبب وهو قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[1] ولم يؤمن به منذ نزول هذه الآية إلى يومنا هذا، ولابُدَّ وأن يكون هذا في آخر الزمان. وأمّا الدجّال اللّعين فلم يحدث حدثاً منذ عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله أنه خارج فيكم الأعور الدجال وإنّ معه جبالاً من خبز تسير معه إلى غير ذلك من آياته، فلابُدَّ أن يكون ذلك في آخر الزمان لا محالة.

وأما الإمام المهدي عليه السلام مذ غيبته عن الأبصار إلى يومنا هذا فلم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما تقدمت الأخبار في ذلك، فلابُدَّ أن يكون ذلك مشروطاً بآخر الزمان، فقد صارت هذه الأسباب لاستيفاء الأجل المعلوم.

فعلى هذا اتفقت أسباب بقاء الثلاثة «**وهم عيسى والمهدي والدجال**» لصحة أمر معلوم في وقت معلوم وهم صالحان - نبي وإمام - وطالح عدو الله وهو الدجال، وقد تقدّمت الأخبار من الصحاح بما ذكرناه في صحة بقائه باختيار الله وداخلاً تحت مقدوره سبحانه وهو آية الرسول.

فعلى هذا هو أولى بالبقاء من الاثنين الآخرين؛ لأنه إذا بقي المهدي عليه السلام كان إمام آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما تقدّمت الأخبار فيكون بقاؤه مصلحة للمكلّفين ولطفاً بهم في بقائه من عند رب العالمين. والدجال إذا بقي

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

فبقاؤه مفسدة للعالمين لما ذكر من ادعاء ربوبيّته وفتكه بالأمة، ولكن في بقائه ابتلاء من الله تعالى ليعلم المطيع منهم من العاصي والمحسن من المسيء والمصلح من المفسد، وهذه هي الحكمة في بقاء الدجال. وأما بقاء عيسى فهو سبب إيمان أهل الكتاب به للآية والتصديق بنبوّة سيد الأنبياء محمد خاتم النبيّين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وآله ويكون تبياناً لدعوى الإمام عند أهل الإيمان ومصدّقاً لما دعا إليه عند أهل الطغيان بدليل صلاته خلفه ونصرته إياه ودعائه إلى الملّة المحمّدية التي هو إمام فيها فصار بقاء المهدي عليه السلام أصلاً وبقاء الاثنين فرعاً على بقائه، فكيف يصحّ بقاء الفرعين مع عدم بقاء الأصل لهما؟ ولو صحّ ذلك لصحّ وجود المسبَّب من دون وجود السبب، وذلك مستحيل في العقول. وإنما قلنا إنّ بقاء المهدي عليه السلام أصل لبقاء الاثنين لأنه لا يصح وجود عيسى عليه السلام بانفراده غير ناصر لملّة الإسلام وغير مصدّق للإمام؛ لأنه لو صحّ ذلك لكان منفرداً بدولة ودعوة وذلك يبطل دعوة الإسلام من حيث أراد أن يكون تبعاً فصار متبوعاً وأراد أن يكون فرعاً فصار أصلاً، والنبي صلى الله عليه وآله قال: لا نبي بعدي وقال: الحلال ما أحلّ الله على لساني إلى يوم القيامة والحرام ما حرّم الله على لساني إلى يوم القيامة فلابُدَّ من أن يكون له عوناً وناصراً ومصدّقاً لم يكن لوجوده تأثير فثبت أن وجود المهدي عليه السلام أصل لوجوده، وكذلك الدجال اللعين لا يصح وجوده في آخر الزمان ولا يكون للأمة إمام يرجعون إليه ووزير يعولون عليه لأنه لو كان كذلك لم يزل الإسلام مقهوراً ودعوته باطلة فصار وجود الإمام أصلاً لوجوده على ما قلناه.

وأما الجواب عن إنكارهم بقاءه في السرداب من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه ففيه جوابان:

أحدهما: بقاء عيسى عليه السلام في السماء من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه، وهو بشر مثل المهدي عليه السلام فلما جاز بقاؤه في السماء والحالة هذه، فكذلك المهدي عليه السلام في السرداب.

فإن قلت: إنّ عيسى عليه السلام يغذيه رب العالمين من خزانة غيبه فقلت: لا تفنى خزائنه بانضمام المهدي عليه السلام إليه في غذائه.

فإن قلت: إنّ عيسى خرج عن طبيعة البشريّة قلت: هذه دعوى باطلة، لأنه قال تعالى لأشرف الأنبياء صلى الله عليه وآله «**قل إنما أنا بشر مثلكم**» فإن قلت: اكتسب ذلك من العالم العلوي قلت: هذا يحتاج إلى توقيف ولا سبيل إليه..

والثاني: بقاء الدجال في البئر على ما تقدّم بأشدّ الوثاق يداه مجموعتان إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. وفي رواية في بئر موثوق. وإذا كان بقاء الدجال ممكناً على الوجه المذكور من غير أحد يقوم به فما المانع من بقاء المهدي عليه السلام مكرّماً من غير الوثاق إذ الكل في مقدور الله تعالى؟ فثبت أنه غير ممتنع شرعاً ولا عادة..

انتهى موضوع الحاجة من كلام هذا العالم نصاً وبالحرف كما وجدته...

أقول:

أولاً: نقلت هذا النص بطوله لما فيه من الفوائد الكثيرة والمنافع العديدة، وقد ألقى أضواءً منيرة على عقيدة المهدي عليه السلام وأنها عقيدة إسلامية وأنّ فصول البحث بتنوعها وتفصيلها والإلمام بجوانب كثيرة من حياة المهدي وصفاته حتى ما ورد في ذكر الغمامة التي تظلله والملاك الذي يرافقه والخال على خده وأسنانه وما تنعم به الأمة في زمانه ولونه وجسمه وهكذا...أقول هذا... يدل على مدى عناية النبي صلى الله عليه وآله بالمهديّ وهذا أمر وإن لم يبلغ ما هو موجود عند الشيعة ولكنه شيء مهمّ ودقيق يستحق الوقوف عنده والاهتمام به. وهو يكفي لإثبات هذه العقيدة الإيمانية في الإمام المهدي عليه السلام خصوصاً وأنه ورد من طرق العامة - غير الشيعة -

وأقول ثانياً: في كلام هذا المؤلّف خطأ لا يوافق عليه الشيعة، وهو ما ذهب إليه من أنّ الإمام المهدي عليه السلام اختفى في السرداب في سامراء ولا يزال مختفياً فيه

لأنّ الشيعة تقول إنّ المهدي عليه السلام خرج من السرداب عندما حاصرته السلطة تريد أخذه فخلّصه الله من بين يديها وهو في بلاد الله يتجوّل حيث يشاء، يقضي حاجات المؤمنين، ويحلّ المشاكل المفصلية المستعصية في الأُمّة، ويحضر موسم الحج، ويطأ بسط المنتديات والتجمعات، فهو مجهول الهويّة ومكتومها، يدرك الناس بركاته وخيراته، وإن لم يقفوا على شخصه؛ ولذا فقضيّة السرداب وبقاؤه فيه غير صحيحة ولا معتمدة عند الشيعة، وقد حاول الحاقدون على الشيعة الذين يريدون تشويه الحقائق والانحراف بها عن واقعها إلى أن يقولوا: إن الشيعة تذهب إلى أنّ المهدي اختفى في سرداب بيته ولا يزال مختفياً فيه وهم ينتظرون خروجه منه. إنّ هذه الأقاويل تبرأ منها الشيعة ولا تذهب إلى شيء منها بل هو، عندهم وكما قلنا سابقاً، حيٌّ يُرزق يتنقل في البلاد ويجول فيها ويحضر المجالس يكون له الرأي الحاسم في الأمور المفصلية من حياة الأمة ومصيرها....

وأقول ثالثاً: إنّ ما ذهب إليه هذا المؤلّف من بقاء الإمام المهديّ حيًّا ولا يزال حيّاً إلى يومنا هذا بل إلى ما شاء الله ليس رأياً متفرداً به بل هناك عشرات من العامة - من غيرنا - يذهب إلى هذا القول ويتبنّاه ويعتقد أنه الإمام محمد بن الحسن العسكري الذي كانت ولادته في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة. وقد تولّى غير مؤلّف من العامة ترجمة حياة الإمام الحسن العسكري وترجمة خلفه وهو الإمام المهدي عليه السلام وقد ذكرنا في طيّات هذا الكتاب جملة ممّن قال بمقال الشيعة وذهب إلى ما ذهبوا إليه من أن المهدى عليه السلام هو محمد بن الحسن العسكري... انتهينا من التعليق على ما مرّ، ممّا هو موضع الحاجة لبحثنا.

رابعاً: إنّ الدراسات قائمة على قدم وساق والطبّ يتحرّك بأسرع ما يكون لمعرفة بنية الإنسان وكيف تتلف هذه البُنية وكيف يستطيع الطبّ أن يمدّد

العمر بالقضاء على أسباب موت الإنسان وفنائه، فإن من المعروف أن الشيء بعد وجوده قابل للاستمرار والبقاء حتى يأتي ما يقطعه ويقضي عليه، فلو استطاع الإنسان - بإذن الله - أن يصل إلى علل الموت بتجديد الخلايا أمكن للإنسان أن يعيش عدة عقود زيادة عمّا يعيشه اليوم، إن لم نقل عدة قرون...

ظهور المهدي عليه السلام

- كيف يعلم المهدي وقت ظهوره
- نبأ الظهور
- المهدي عليه السلام في المدينة
- المهدي في مكة

كيف يعلم المهدي عليه السلام وقت ظهوره؟

إنّ الله الذي ادخر المهدي عليه السلام لمهمة تحرير العالم من الظلم هو الذي يعرّفه وقت الظهور فيأمره بالخروج والظهور والإعلان عن شخصه، فإنه وإن لم يكن نبيّاً يوحى إليه كما يوحى إلى الأنبياء، لكنه مخصوص بالكرامة ولن يكون أقّل من أُمِّ موسى التي أوحى الله إليها في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]. إن الله يلقي في قلب المهدي بتوقيت الظهور ويعرّفه زمانه بالتحديد فيبادر إلى تجسيد الحقيقة وبداية الملحمة التي تكون بعدها الانتصارات الكبرى. وقد أوضحت الأحاديث هذا المعنى، ففي الكافي عن أبي الحسن الأول موسى عليه السلام قال: مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: «**ماض وغابر وحادث فأمّا الماضي فمفسَّر، وأمّا الغابر فمزبور، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبيَّ بعد نبيِّنا**».

والنكت في القلب فسرته الأخبار بالإلهام...

وكذلك الحديث الذي يرويه المفضل بن عمر قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام عن أبي عبد الله أنه قال: إن علمنا غابر ومزبور ونكث في القلوب ونقر في الأسماع، فقال: أمّا الغابر فما تقدّم من علمنا، وأمّا المزبور فما يأتينا، وأمّا النكث في القلوب فإلهام، وأمّا النقر في الأسماع فأمر الملك.

فهذا طريق من الطرق التي يتلقّى الإمام - كلّ إمام - ومنهم المهدي عليه السلام -

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

علومه مضافاً إلى ما يأخذه من آبائه ابتداء من رسول الله وانتهاء بالإمام الذي قبله حيث تنقل إليه الأخبار وكل العلوم والمعارف.

ويمكن أن نقول - لو قطعنا النظر عما تقدّم - إن الإمام المهدي عليه السلام الذي عاش هذه المدّة - مئات السنين - وفي وسط المجتمعات وخبر الحياة عن قرب وأحاط معرفةً بالمجتمعات قيادات وأفراداً وأنظمة وحكومات فإنه يقف بنفسه على الظروف المناسبة من جميع الجهات التي تحقق أغراضه في إقامة حكم الإسلام وبسط العدل ورفع الجور وكل الأهداف والغايات التي ادّخره الله لتحقيقها في الارض، فيعلم من خلال ذلك أنّ وقت ظهوره قد حان فيعلن عنه، ويطلق صرخته المدويّة التي تصل إلى كل أذن وتطير على كل لسان...

نبأ الخروج

تزفّ السماء إلى أهل الأرض والسماء نبأ ظهور المهدي عليه السلام وبداية حركته المباركة، ويكون ذلك في الثالث والعشرين من شهر رمضان حيث يتولّى الأمين جبرائيل إذاعة النبأ، وفي ليلة جمعة مباركة ينادي باسم القائم فيسمع ما بين المشرق والمغرب ولا يبقى راقد إلا قام ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه من ذلك الصوت، إنها فزعة توقظ النائم وتفزع اليقظان وتُخرج الفتاة من خدرها.

إنه نداء الأمين جبرائيل يسمعه كل قوم بلسانهم

ينادي باسم القائم واسم أبيه فيعيّنه وبشخصه قائلاً: ألا إنّ فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوا فلا يبقى شيء من خلق الله فيه روح إلا سمع الصيحة فتوقظ النائم ويخرج إلى صحن داره وتخرج العذراء من خدرها ويخرج القائم مما يسمع.

عندما يطلق جبرائيل نداءه بظهور المهدي عليه السلام يكون المهديّ في محل إقامته في المدينة، وبعد أن ينتشر نبأه في الآفاق يأخذ الناس في الحديث عنه ويصبح في الإعلام العالمي تتداوله وسائلها وتتحدّث عنه ويصبح شغلها ومحلّ اهتمامها، ويعيش المؤمنون به حالة رجاء وأمل يترقّبون أمره وما يصدر عنه... ثم بعد أن يأذن الله للمهدي بالظهور يبتدئ حركته في المدينة بالتواصل مع أصحابه ورسم الخطط الناجعة لنجاح نهضته ولكن الأعداء يرصدونه ويخافون ظهوره ويصل نبأه إلى السفياني الذي أصبح مالكاً للشام وعنده القوّة والقدرة لمواجهة هذا القائد الذي سمع به ووصلت إليه أنباء ظهوره ومدى خطره وأهمّيته، فلذا يقرّر مواجهته والقضاء عليه..

ومن لطيف ما رأيت: رأيت روايات في كتاب «**العرف الوردي في أخبار المهدي**» للسيوطي الشافعي ينقل ما نصّه: عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها منادٍ ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه**» وفي رواية أخرى عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي أنّ هذا المهدي فاتبعوه.

السفياني والمدينة المنورة

قلنا فيما تقدّم في حديثنا عن السفياني، إنه يرجع بنسبه إلى آل أبي سفيان، وهو حاقد شرس مجرم أخبث الناس لم يعبد الله قطّ ولم يعرف مكة ولا المدينة فهو مجرم من الطراز الأوّل. وهذا المجرم يصل إليه نبأ خروج القائم وأنه في المدينة فلذا يجهز جيشاً ويرسل به للقبض على الإمام أو قتله. ويصل الخبر إلى الإمام فيخرج من المدينة قاصداً مكة مع أصحابه خائفاً كخروج موسى خائفاً يترقّب...

يدخل جيش السفياني المدينة فيعيث فيها فساداً وظلماً وقتلاً ويكون همّه أن يقبض على المهدي عليه السلام أو يقتله. يقول الإمام الباقر عليه السلام في الحديث:

«ويظهر السفياني ومَنْ معه حتى لا يكون له هَمّ إلا آل محمد صلى الله عليه وآله وشيعتهم فيبعث بعثاً إلى الكوفة فيُصيبُ أُناساً من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله بالكوفة قتلاً وصلباً، ويبعث بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً ويهرب المهدي والمنصور منها، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم لا يُترك منهم أحد إلا حُبس، ويخرج الجيش في طلب الرجلين»[1].

---

(١) البحار، ج٥٢، ص ٢٢٣.

خروج المهدي عليه السلام إلى مكة

عندما يبعث السفياني بجيشه وراء المهدي عليه السلام ينفر المهدي عليه السلام من المدينة ومعه المنصور- وثلة من أصحابه، يخرج ومعه تراث رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر: «**والله يا مفضل كأني أنظر إليه دخل مكة وعلى رأسه عمامة صفراء وفي رجليه نعل رسول الله صلى الله عليه وآله المخصوفة، وفي يده هراوته حتى يصل نحو البيت ليس ثمَّ يعرفه أحد**»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام حيث سأله يعقوب الصراف: متى فرج شيعتكم؟ قال: إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم، وخلعت العرب أعنتها ورفع كل ذي صيصة صيصته، وظهر الشامي، وأقبل اليماني، وتحرّك الحسني، وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقلت (يعني الصراف): ما تراث رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سيف رسول الله ودرعه وعمامته وبرده، وقضيبه، ورايته، ولأمته، وسرجه حتى ينزل مكة فيخرج السيف من غمده ويلبس الدرع وينشر الراية والبردة والعمامة ويتناول القضيب بيده ويستأذن الله بالخروج، فيطلع على ذلك بعض مواليه فيأتي الحسني فيخبره الخبر فيبتدر الحسني إلى الخروج فيثب عليه أهل مكة فيقتلونه ويبعثون برأسه إلى الشام.

---

(١) بشارة الإسلام، المصطفى الحسيني.

خروج المهدي في مكة

يصل المهدي عليه السلام إلى مكة متخفياً ويكون قد سبقه الحسني وتمَّ قتله ذبحاً بين الركن والمقام فتغضب لقتله الأرض والسماء، ويبتدئ المهدي بالظهور شيئاً فشيئاً بعد أن تأتيه أنصاره من كل أطراف الدنيا..

في العاشر من المحرم يعلن الإمام المهدي ظهوره للملأ بين الركن والمقام، ففي الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**يقوم القائم يوم عاشوراء**»[١].

وعن الباقر عليه السلام: يخرج القائم عليه السلام يوم السبت يوم عاشوراء اليوم الذي قُتل فيه الحسين[٢] عليه السلام.

وعن الباقر عليه السلام قال: كأني بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين الركن والمقام بين يديه جبرائيل عليه السلام ينادي: البيعة لله فيملأها عدلاً كما مُلئتْ ظلماً وجوراً[٣].

النداء والبيعة

تتدخل السماء في نصرة المهدي عليه السلام ويكون الأمين جبرائيل أول من يبايعه ويدعو إلى نصرته والانضمام إلى جيشه. ففي الإرشاد للشيخ المفيد عن المفضل بن عمر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:

إذا أذن الله عزَّ اسمه للقائم في الخروج صعد المنبر فدعا الناس إلى نفسه وناشدهم بالله ودعاهم إلى حقّه وأن يسير فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ويعمل فيهم بعمله فيبعث الله جلَّ جلاله جبرائيل حتى يأتيه فينزل على الحطيم يقول له: إلى أي شيء تدعو؟ فيخبره القائم.

---

(١) الغيبة للنعماني. ص ٢٩١.

(٢) البحار. ج ٥٢، ص ٢٨٥.

(٣) المصدر نفسُه. ج٥٢. ص ٢٩٠.

فيقول جبرائيل: أنا أول من يبايعك ابسط يدك فيمسح على يده[١].

وفي كتاب «**كمال الدين**» للصدوق بسنده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام «**إن أول من يبايع القائم عليه السلام جبرائيل**».

بل في الحديث أنّ جبرائيل يقف بين يدي المهدي عليه السلام ينادي الناس إلى بيعة المهدي.

النداء في مكة - النداء الثاني

عندما يستقرّ المهدي عليه السلام في مكة ويأذن الله له بالظهور العلني ينطلق النداء في الكون كله فيسمعه الناس جميعاً ويصل مداه إلى الدنيا كلها، وتسمعه كل أُذُن وتقوم الحجّة على البشر كلهم.

يطلق جبرائيل بصوته الملائكي صيحة - صوتاً - يعلن فيها ظهور المهدي عليه السلام وأن على الخلق ان يتّبعوه ويسيروا معه وينصروه.

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: لا يقوم القائم حتى ينادي منادٍ من السماء تسمع الفتاة في خدرها ويسمع أهل المشرق والمغرب...[٢].

وفي الرواية عن الباقر لجابر بن عبد الله يقول له: والقائم - يا جابر - رجل من وُلد الحسين يُصلح الله له أمره في ليلة، فما أشكل على الناس من ذلك - يا جابر - فلا يشكلن عليهم ولادته من رسول الله صلى الله عليه وآله ووراثته العلماء عالماً بعد عالم، فإن أشكل هذا كله عليهم فإنّ الصوت من السماء لا يشكل عليهم إذا نودي باسمه واسم أبيه وأمه[٣].

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: ينادي مناد من السماء باسم

---

(١) الإرشاد، ص ٣٨٢.

(٢) البحار، ج٥٢، ص ٢٨٥.

(٣) الغيبة للنعماني، ص٢٩١.

القائم فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقد إلا استيقظ ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب، فإنّ الصوت الأول هو صوت جبرائيل الروح الأمين[١].

خروج القائم والبيعة له

إذا خرج - القائم - أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع إليه ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً وأول ما ينطق به هذه الآية «**بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين**» ثم يقول: أنا بقيّة الله في أرضه، فإذا اجتمع إليه العِقْد وهو عشرة آلاف رجل خرج فلا يبقى في الأرض معبود دون الله عزّ وجلّ من صنم وغيره إلا وقعت فيه نار فاحترق وذلك بعد غيبة طويلة، ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به[٢].

وفي حديث آخر وتفصيل أوفى وأكمل أنه عندما ينفر المهديّ من المدينة إلى مكّة من أمام جيش يبعثه السفياني ويصل صلوات الله عليه إلى مكة «**وقد أسند ظهره إلى بيت الله الحرام مستجيراً به ينادي: يا أيها الناس إنّا نستنصر الله ومن أجابنا من الناس، وإنّا أهل بيت نبيّكم محمد ونحن أولى الناس بالله وبمحمد صلى الله عليه وآله فمن حاجّني في آدم فأنا أولى الناس بآدم ومن حاجّني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجّني في النبيّين فأنا أولى الناس بالنبيّين أليس الله يقول في محكم كتابه﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾**[٣].

---

(١) البحار، ج٥٢، ص ٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ١٩٢، ومنتخب الأثر، ج٢، ص ٢٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

فأنا بقيّة من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد ألا ومن حاجّني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله، ألا ومن حاجّني في سُنّة رسول الله ﷺ فأنا أولى الناس بسنة رسول الله، فأنشد الله من سمع كلامي اليوم لمّا بلّغ الشاهد منكم الغائب.

واسألكم بحقّ الله ورسوله وبحقّي فإن لي عليكم حقّ القربى من رسول الله ﷺ إلا اعنتموني ومنعتموني ممّن يظلمنا فقد أُخفنا وظُلمنا، وطُردنا من ديارنا وأبنائنا وبُغي علينا ودفعنا عن حقّنا فافترى أهل الباطل علينا فالله الله فينا لا تخذلونا وانصرونا ينصركم الله.

فيجمع الله عليه أصحابه ثلاثماية وثلاثة عشر رجلاً ويجمعهم الله على غير ميعاد قزعاً [١] كقزع الخريف. وهي الآية ذكرها الله في كتابه ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢]. فيبايعونه بين الركن والمقام ومعه عهد من رسول الله ﷺ قد توارثته الأبناء عن الآباء والقائم رجل من ولد الحسين يصلح الله له أمره في ليلة فما أشكل على الناس من ذلك يا جابر، فلا يشكل عليهم ولادته من رسول الله ﷺ ووراثته العلماء عالماً بعد عالم، فإن أشكل هذا كله عليهم فإن الصوت من السماء لا يشكل عليهم إذا نودي باسمه واسم أبيه وأمه [٣].

يخرج القائم في مكّة ويسند ظهره إلى الكعبة ويطلق نداءه للعالم أنه المهدي المخلّص ويدعو الناس إلى بيعته فيستجيب له الطيّبون واحداً بعد آخر وجماعة بعد آخرى وهكذا...

---

(١) قزعاً = القزع هي قطع السحاب المتفرقة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٣) البحار، ج٥٢، ص ٢٢٨.

جبرائيل أول المبايعين

باعتبار أنّ المهدي عليه السلام هو رصيد السماء الأخير لأهل الأرض كان لابُدَّ للسماء أن تكون أول من تباركه وتعلن ولاءها له فتقف إلى جانبه تسانده وتعاضده من أجل أن يحقّق أهدافها وغاياتها التي ادخرته من أجلها طيلة هذه الفترة الطويلة من عمر الزمن... بعد أن يظهر المهدي في مكة ويعلن هذا الظهور يجتمع إليه أصحابه من أقطار الدنيا - بين ليلة وضحاها - عندها يتقدّم الأمين جبرئيل فيكون أول من يصفّق على يدي المهدي عليه السلام ويبايعه ففي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**فيكون أول من يبايعه جبرئيل ثم ثلاثمائة والثلاثة عشر**[1]- وهم أصحابه».

وفي رواية الطبرسي عن المفضل بن عمر في حديث المهدي يقول أبو عبد الله عليه السلام : «**فيبعث الله جبرئيل حتى يأتيه - يأتي المهدي - ويسأله ويقول له: إلى أي شيء تدعو؟**

فيخبره القائم، فيقول جبرئيل: فأنا أول من يبايع، ثم يقول له: مدّ كفّك فيمسح على يده وقد وافاه ثلاثماية وبضعة عشر رجلاً فيبايعونه[2].

وبيعة جبرائيل للمهدي كأول من يبايع فيها إشارة إلى تدخل السماء في هذا الأمر كما أنها تثير الناس وتنبّههم إلى أنّ عليهم أن يبادروا إلى البيعة..

ومن الملاحَظ أنّ الخاصة من أصحاب المهديّ يأتون البيعة بعد جبرائيل، لأنهم قد حضروا خصيصاً للوقوف إلى جانب المهدي عليه السلام وقد أُعدُّوا إعداداً خاصاً بحيث كانوا صفوة العصور والأزمان وخلاصة بني الإنسان، فلا عجب أن يكونوا طليعة من يبايع ويقف إلى جانبه.

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣١٦.

(٢)

ثم بعد مبايعة جبرائيل والمخلصين من أصحاب المهدي عليه السلام يقوم سائر الناس بمبايعته وإعلان طاعته والالتزام بأوامره.

والإمام المهدي عليه السلام على أتمّ الاستعداد أن يرفع كل شك فيه، لأنه يمتلك الإجابة عن كل سؤال يَرِد عليه، لا يعجزه سؤال ولا يتوقف في جواب لأنه الحجّة الذي جمع العلوم كلها وامتلك ناصية الأدلة والبراهين وأعطاه الله الآيات والمعجزات: ولذا مَنْ شكّ في دعواه أو تردّد فعليه أن يوجه السؤال الذي يخفيه في نفسه ويسأله عنه، فإن أجاب فهو وإلا فله الحقّ أن لا يؤمن به. وبهذا وردت الروايات المؤيدة لهذا المعنى، فقد روى الكليني في كافيه عن مفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال:

«لصاحب هذا الأمر غيبتان، إحداهما يرجع فيها إلى أهله والأخرى

يقال: هلك في أي واد سلك.

قلت: فكيف نصنع إذا كان كذلك؟

قال: إذا ادّعاها مدّع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله فالإمام الصادق عليه السلام[1] يصدق قواعد العقل عند الشك حيث يمتحن من ادّعى انه المهدي عليه السلام بسؤاله عن اشياء يخفيها السائل في نفسه فإن أجاب عنها فهو هو وإلا فليس هو....

وبطبيعة الحال لا يعيش الحيرة والقلق إلا الناس البعيدون عن مدرسة أهل البيت وإلا فإنّ أمر أهل البيت مكشوف لشيعتهم ولا يخفى على أحد من محبّيهم كما سوف يأتي فإنّ المهديّ يحمل معه أدلّة صدقة ولا يخفى أمره على محبيه ومنتظريه.

---

(١) الكافي في باب الغيبة.

رواية البيعة:

من المشاهد المثيرة للتعجب التفاصيل الدقيقة لحياة المهديّ والمراحل التي يقطعها وما يمرّ عليه ويجري له، ومن تلك التفاصيل أنه عليه السلام يأخذ البيعة من أصحابه - أول ما يأخذها - في بيت الله الحرام بين الركن والمقام حيث يسند ظهره إلى الكعبة وكأنها سنده ومعينه وإلى صاحبها يلجأ وبه يحتمي. تقول الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام «**إنه يأتي المسجد الحرام فيصلي فيه عند مقام إبراهيم أربع ركعات ويسند ظهره إلى الحجر الأسود ثم يحمد الله ويثني عليه ويذكر النبي صلى الله عليه وآله ويصلي عليه ويتكلَم بكلام لم يتكلَم به أحد من الناس**» ثم يأخذ البيعة، وفي الحديث عن أمير المؤمنين، يقول:

إنه - المهدي - يأخذ البيعة من أصحابه على أن لا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يسبّوا مسلماً، ولا يقتلوا محرماً، ولا يهتكوا حريماً محرماً، ولا يهجموا منزلاً، ولا يضربوا أحداً إلا بالحق، ولا يكنزوا ذهباً ولا فضة ولا بُرّاً - قمحاً - ولا شعيراً، ولا يأكلوا مال اليتيم، ولا يشهدوا بما لا يعلمون، ولا يُخرِّبوا مسجداً، ولا يشربوا مسكراً، ولا يلبسوا الخزّ ولا الحرير، ولا يتمنطقوا بالذهب ولا يقطعوا طريقاً، ولا يخيفوا سبيلاً، ولا يفسقوا بغلام، ولا يحبسوا طعاماً من بُرٍّ أو شعير، ويرضون بالقليل ويشتمّون الطيب، ويكرهون النجاسة، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويلبسون الخشن من الثياب، ويتوسّدون التراب على الخدود ويجاهدون في الله حق جهاده...[١]

ثم يشترط لهم على نفسه: أن يمشي حيث يمشون ويلبس كما يلبسون ويركب كما يركبون ويكون من حيث يريدون، ويرضى بالقليل، ويملأ الأرض - بعون الله - عدلاً كما مُلئتْ جوراً، يعبد الله حق عبادته ولا يتخذ حاجباً ولا بواباً[٢].

---

(١) البحار، ج٥٢، ص ٢٧٩.

(٢) منتخب الأثر للصافي، ص٤٧٢.

البيعة للمهدي

إنّ البيعة للإمام المهدي عليه السلام في كل صباح أو في كل يوم توطّد الصِلة بيننا وبينه وتجعلنا باستمرار نعيش وجوده فينا وقربه منّا وأنّنا لن نتخلّ عنه وعن أهدافه وغاياته وهذا يستدعي منّا أن نكون على أهبة الاستعداد إذا نادت السماء أنّ المهديّ قد خرج فنكون معه في الصفوف الأولى أنصاراً له وشيعة نجاهد بين يديه حتى الشهادة! إنّ شعوراً كهذا الشعور يعيشه المؤمن - زمن الغيبة - يعطيه دفعاً إلى الأمام في إصلاح نفسه وترويضها على كل ما يُرضي الإمام وما يتطلع إليه من عزٍّ للإسلام ونشر لمبادئه وقيمه ومثله...

وهذه البيعة لهذا القائد الرباني تجعلنا نرفض البيعة للظالمين أو الركون إليهم والسير في ركابهم، بل تشكّل بيعتنا للمهديّ حاجزاً منيعاً بيننا وبين الظالمين وتجعلنا على طرف النقيض منهم، لا نقبلهم ولا نقبل وجودهم ولا أفعالهم وما يقومون به من ظلم واعتداء وخروج عن شرائع الدين وقواعده.

البيعة للمهدي

بعد الحديث عن كيفيّة أخذ المهدي عليه السلام للبيعة من الناس ينبغي أن نتحدّث عن أمور.

الأول: لماذا يأخذ المهدي عليه السلام البيعة من الناس وهو معصوم وله الولاية والإمرة من عند الله الذي نصبه وعيّنه لهذا المقام وجعله الإمام الذي يجب طاعته؟

ولنا في الجواب عن هذا السؤال:

أوّلاً: بماذا يكون الجواب عن أخذ البيعة للنبي صلى الله عليه وآله وقد وقعت نصّاً واضحاً في القرآن قال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ».[1] فقد وقعت البيعة

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

لرسول الله- بيعة الشجرة - وهو نبي معصوم ويجب على المؤمنين أن يطيعوا أمره ويلتزموا بما يقول، وله الولاية والقيادة والخلافة، فالحكم فيهما واحد - النبي صلى الله عليه وآله والمهدي عليه السلام.

ثانياً: إنّ المهدي عليه السلام - أو النبي صلى الله عليه وآله - عندما يأخذ البيعة من الناس إنما يأخذها ليؤكد مضمونها ويثبِّت روحها وماله من الحقّ، وهي تشبه من يحلف أن يصلي أو يتصدّق أو يصوم شهر رمضان فإنّ هذه اليمين تؤكّد مضمون ما أقسم عليه وإن كان واجباً عليه أداؤه بموجب التشريع. وهكذا البيعة للنبي أو الإمام إنما كانت بهذه الروح وهذا المعنى.

والبيعة - وإن كانت للنبي صلى الله عليه وآله أو للإمام فهي معنى حضاريٌّ رائع حيث تشترك الأُمّة كلها في تحمّل المسؤولية، وعلى هذه الأمة واجب تنفيذ الرسالة التي يحملها القائد، وعليها الدفاع عنها وحفظها وصيانتها والبذل في سبيلها، فإنّ التعاون المتبادل بين الإمام والأُمّة يعطي دفعاً قوياً لمسيرة الإسلام وحركته في العالم...

إنّ الشعور العامّ من كل فرد أنه شريك فعلي في مسيرة الإمام المهدي عليه السلام هذا الشعور يدفعه إلى الإسهام بفاعلية واقتدار لتحقيق الأهداف التي يسعى إليها وينشرها الإسلام وهذا بنفسه يسرّع عملية الانتصار وتحقيق الفوز والنصر في هذه المعركة التي يتقرّر فيها مصير العالم أجمع...

الثاني: مما ينبغي أن نتوقف عنده ونعرفه هو أننا، وفي عصر الغيبة الكبرى ويحجبنا عن رؤية الإمام حواجب مادية كثيفة، يجب أن نكون بالرغم من ذلك إلى جانب ذلك الإمام نتشوّق لرؤيته وننتظر خروجه في كل لحظة موطّئين أنفسنا على أن نكون في عداد أنصاره وأتباعه وجنوده المقاتلين بين يديه...

إننا مع أنفسنا يجب أن نبايع هذا الإمام ونعطيه الولاء والطاعة ونعلن ذلك؛ ولذا ورد أنه يُستحب أن ندعو بدعاء العهد - البيعة - وفي هذا الدعاء صفاء وولاء وبيعة وعهد، وفيه معان عالية راقية تجعل الإنسان القارئ له على صلة بالمهدي عليه السلام

مهيِّئاً نفسه لتلك اللحظات السعيدة من عمر البشرية، يوم تُعلن السماء نبأ ظهور هذا الإمام وخروجه لتحقيق حلم الأنبياء في بسط العدل في الكون كله والدعاء.

«اللهم بلغ مولاي صاحب الزمان صلوات الله عليه عن جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها وبرّها وبحرها، سهلها وجبلها، حيّهم وميّتهم وعن والدي وولدي وعني من الصلوات والتحّيات زنة عرش الله ومداد كلماته ومنتهى رضاه وعدد ما أحصاه كتابه وأحاط به علمه، أللهمَّ إني أجدّد له في هذا اليوم وفي كل يوم عهداً وعقداً وبيعة في رقبتي اللهم كما شرفتني بهذا التشريف وفضّلتني بهذه الفضيلة وخصصتني بهذه النعمة فصلّ على مولاي وسيّدي صاحب الزمان واجعلني من أنصاره وأشياعه والذابّين عنه، واجعلني من المستشهدين بين يديه، طائعاً غير مكره في الصفّ الذي نعتَّ أهله في كتابك فقلت صفاً كأنهم بنيان مرصوص على طاعتك وطاعة رسولك وآله عليهم السلام، اللهم هذه بيعة له في عنقي إلى يوم القيامة»[1].

وهناك صيغة أخرى أوسع وأشمل لهذا العهد ولهذه البيعة موجودة في كتب الأدعية، والمزارات فمن أرادها يطلبها من تلك الكتب المعدّة لذلك.

هل تجوز البيعة لغير النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام؟

البيعة للنبي صلى الله عليه وآله أو للإمام معناها إعطاؤهما الولاية العامة المطلقة التي يكون لهما بموجبها حقّ التصرّف في الأنفس فضلاً عن الأموال، فالنبي صلى الله عليه وآله بالنصّ القرآني له هذه الولاية المطلقة، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾[2] فالنبي له الحقّ وإرادته نافذة وأمره جائز في كل شأن من الشؤون، فلو أمر إنساناً بأن يطلّق زوجته لوجب على الزوج طلاقها، ولو أمره بأن يخرج من داره وماله

(١) البحار، ج ١٠٢، ص ١١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

لوجب عليه ذلك، بل لو فرضنا أنه أمره بأن يقتل نفسه لوجب ذلك، وهذا كله بمقتضى هذه الولاية العامة التي أُعطيت له...

وبطبيعة الحال فإنّ لهذه الولاية رصيدها الذي يسوِّغها، وهو أنّ النبي صلى الله عليه وآله معصوم والعصمة تسديد إلهي للمعصوم تمنعه عن الخطأ فضلاً عن الخطيئة فلا يقع من المعصوم خطأ ولا سهو ولا غفلة، فلذا تتمتّع أحكامه بحصانة قويّة عظيمة تجعل مَنْ يؤمن به في غاية التسليم له، يأتمر بأمره ويقف عند نهيه ولا يرد له طلباً ولا يتردد في موقف أو يشك في آخر..

من هنا نعرف أنّ البيعة للمعصوم فيها أمان من كل خسارة، بل هي مضمونة الربح، ففيها الطاعة لله ولرسوله وللإمام، وفي ذلك فوز عظيم في الدنيا والآخرة، وهذا المعنى - العصمة، وبالتالي الولاية العامة - يفقده غير المعصوم، وليس لغير المعصوم حصانتها وصيانتها فلذا لا تُعطى لأحد - بهذه السعة والشمول - حتى الإنسان نفسه ليس له هذا الحق فليس للإنسان أن يقتل نفسه وينتحر لمجرد أن ضاقت الدنيا في عينيه أو لأي سبب من الأسباب وكذلك بعض الأمور الأخرى كأن يعرض نفسه للموت ولو بقطع عضو يؤثّر على حياته أو يضرّ به ضرراً غير عقلاني. وخلاصة الحديث أنّ البيعة لغير المعصوم لا يمكن أن تكون مطلقة بحيث يتصرّف من أعطيت له كيف يشاء ومن هنا ورد عن الصادق عليه السلام كما في رواية المفضل حيث يقول الصادق عليه السلام له «**يا مفضل كل بيعة قبل ظهور القائم عليه السلام فبيعة كفر ونفاق وخديعة لعن الله المبايع بها والمبايع له**»[1].

فالبيعة المحرّمة هي البيعة المطلقة لغير المعصوم أمّا البيعة ضمن شروط وقيود وفي حدود معيّنة لغير المعصوم فيمكن قبولها، كما وقع للخلفاء حيث أُعطيتْ لهم الطاعة على أن يحكموا بكتاب الله وسنّة رسوله، وأنّ لهم الطاعة، ولكن في غير معصية الله.

---

(١) البحار، ج٥٢، ص٨.

وهناك بحوث وقضايا ليس محلّها هنا. وما تعرّضنا له فيه إطلالة سريعة على مقصودنا وعنوان بحثنا وهو يكفي في هذا المقام....

الخسف بجيش السفياني

عندما يكون المهديّ في المدينة وينتشر نبأ ظهوره، يصل هذا الخبر إلى مسامع الناس فيتناقلونه ويأخذون بالحديث عنه حتى يطرق سمع السفياني بالشام فيرتعد ويخاف ويهيّئ جيشاً ويدفع به إلى المدينة من أجل إلقاء القبض على الإمام المهدي أو قتله. ويسير ذلك الجيش حتى يدخل مدينة الرسول ويقوم بأعمال في منتهى الوحشيّة، حيث يكون همّه المهديّ عليه السلام والقضاء عليه. وينال الهاشميّين أكبرُ الظلم، حيث يقضي على كل من يقع تحت يديه منهم. ولمّا لم يجد المهدي عليه السلام ويعرف أنه خرج من المدينة إلى مكّة يأمر ذلك الجيش بمتابعة مسيره إلى مكة للقضاء عليه. وفي وسط الطريق تحصل أهمّ علامات الظهور التي وردت في أحاديث أهل البيت حيث يتمّ الخسف بذلك الجيش وإبادته والقضاء عليه. ولا يسلم منه إلا اثنان يعودان ممسوخين وجهاهما إلى قفاهما، واحد يكمل المسير إلى مكة فيخبر المهدي عليه السلام بما جرى لذلك الجيش ويبشره بما حلّ فيه، وآخر يتوجّه إلى السفياني لينقل إليه التدمير الذي حلّ بجيشه وينذره بما جرى له.. لقد أجمعت الأحاديث على هذه العلامة وأصبح الخسف بالبيداء من أظهر علامات ظهور المهدي، فهي واحدة من خمس علامات تمّ التسليم بها، وأنها من مقدّمات الظهور، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للقائم خمس علامات: ظهور السفياني، واليماني، والصيحة من السماء، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء[1].

(١) الغيبة للنعماني، ص ٢٦١.

وفي رواية أخرى عن الصادق وقد سأله محمد بن الصلت: ما من علامة بين يدي هذا الأمر؟

فقال: بلى.

قلت: ما هي؟

قال: هلاك العباسي، وخروج السفياني، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء، والصوت من السماء[١].

وهناك جملة من الأحاديث بنفس اللسان المتقدّم أو ما يشبهه ممّا يَقطع بأن هذه العلامة قطعية لا إشكال في دلالتها على ظهور المهديّ...

وبإبادة جيش السفياني في البيداء، والخسف به، يصاب السفياني بنكسة مدمّرة ويبتدئ نجمه بالاضمحلال والأفول، بينما يرتفع نجم المهدي ويقوى رصيده المعنوى والبشرى...

المهدي في مكة

عندما يُبايَع للمهدي عليه السلام من قِبَل جبرئيل والثلاثمائة والثلاثة عشر من أنصاره يبقى مقيماً في مكّة خصوصاً أنه كان ينتظر الخسف بجيش السفياني في البيداء وقد حصل، يبقى في مكة حتى يتمّ أصحابه عشرة آلاف نفس.. كما في الرواية [٢].

وفي الرواية عن محمد بن علي بن موسى عليهما السلام: «**يجتمع إليه - إلى المهديَ - أصحابه عدَة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض.. فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر أمره فإذا أكمل له العِقْد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عزَّ وجلَّ فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى**

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٢٣٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٣٣٨.

الله عزَّ وجلَّ. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يخرج القائم من مكة حتى تكمل الحلقة.

قلت: (القائل هو أبو بصير الراوي): وكم الحلقة؟

قال: عشرة آلاف، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ثم يهزّ الراية المغلّبة ويسير بها. [1] وفي الرواية عن أبي جعفر عليه السلام فيها «**وينشرها وهي راية رسول الله السحابة ودرع رسول الله صلى الله عليه وآله السابغة ويتقلّد بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله ذي الفقار.**

(١) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٣٦٨.

الأول: في الانتظار

الانتظار

لدينا رصيد ضخم من الأحاديث التي تتحدّث عن انتظار المؤمنين للمهديّ، وكشفت هذه الأحاديث عن ثواب المنتظرين وأجرهم، وما يجب أن يعملوا خلال هذه الغيبة والاستعداد في كل لحظة للقاء الحبيب المنتظر، وهنا أمور.

الأول: لا يصح أن نفهم الانتظار على أنه حالة سلبيّة تشلّ حركة الإنسان وتقعده مكتوف اليدين لا يحرّك ساكناً فلا يأمر بمعروف أو ينهي عن منكر أو يقوم ببناء الحياة على منهج الإسلام وطريقته، ولا يسعى في سبيل إقامة حكم الله في الأرض... إن فهم الانتظار بهذا المعنى المتقدّم هو فهم خاطىء بل الانتظار يجب أن يتوافق مع مَنْ تنتظر ودوره وأعماله وما هو معدّ له وما يتطلّع إليه، فإنّ من ينتظرالصباح يشعل المصباح ليلاً ويهيّئ العدّة لمهمّة الصباح وما ينتظره بعد خروج الفجر، وهذا ما نفهمه من خلال الرويات التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة كما سوف نستعرض ذلك فيما بعد.

الثاني: ثواب الإنتظار

أعطى سبحانه للمنتظرين أجراً كبيراً - لما في الانتظار من صبر وضبط للنفس وأمل في مستقبل زاهر يكون فيه الإسلام عزيزاً كريماً يبلسم الأحزان ويرفع البؤس والأسى من بين الناس.

يقول النبي صلى الله عليه وآله أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عزَّ وجلَّ[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أفضل العبادة انتظار الفرج[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله[٣]وقد كشفت أحاديث أخرى أسرار هذا الأجر وعمق مداليله، ففي الحديث عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين يقول لأبي خالد الكابلي: تمتدّ الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته، القائلين بإمامته المنتظرين لظهوره، أفضل أهل كل زمان؛ لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً...[٤]

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه يتولّى وليّه ويتبرّأ من عدوّه ويتولّى الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذوو ودّي ومودّتي وأكرم أمتي عليّ[٥].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله سيأتي قوم من بعدكم - بعد أصحابه - الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم.

قالوا: يا رسول الله نحن كنّا معك ببدر وأُحُد وحنين ونزل فينا القرآن.

فقال: إنكم لو تحملوه لما حملوا لم تصبروا صبرهم[٦].

فهؤلاء المنتظرون يملكون عقولاً واعية كاملة يدركون بها ضرورة وجود إمام في

---

(١) البحار، ج٥٢، ص ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٥٢، ص١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ١٣١.

(٤) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ١٢٢.

(٥) البحار، ج ٥٢، ص ١٣٠.

(٦) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ١٢٠.

كل زمان، ويدركون أن الإمام المهديّ هو إمام الزمان وإن لم يروه فآمنوا بالغيب الذي هو عندهم مثل الشهود والحضور، وهذا من صفات المؤمنين المتّقين.

الثالث: معرفة الإمام

من أهمّ الأمور أن يعرف الإنسان إمامه فإنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. فمعرفة الإمام هي ميزان بين الإسلام والجاهلية فَمنْ هو الإمام في هذا العصر؟ هل هم الحكّام المتسلّطون على رقاب الأُمّة بالقهر والغلبة؟ أو الذين تربعوا على العروش في ساعة غفلة؟ أو الذين سرقوا التيجان بالمؤامرات والاحتيال؟

إن معرفة الإمام صاحب الزمن - الإمام المهدي - من أهمّ الأمور التي يجب على المسلم أن يعرفها، فيعرف الإمام نسباً وحسباً ويعرفه بدوره وما سيحقّقه للإسلام من عزَّ ورفعة وانتشار وكيف سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً وهكذا...

وقد جاءت الأحاديث لتؤكّد على معرفة الإمام:

قال الإمام الصادق عليه السلام: إعرف إمامك فإنك إذا عرفته لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أو تأخر[1].

وفي حديث آخر عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ «**يوم ندعو كلّ أناس بامامهم**» فقال: يا فضيل: إعرف إمامك فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أو تأخر[2].

وسبب الاهتمام بمعرفة الإمام أنّها تقود إلى معرفة أحكام الله ومراداته إذ عن طريقه يتوصّل الإنسان إلى المعرفة الصادقة لما يأمر به الله وما ينهى عنه وبذلك يضمن الطريق إليه سبحانه، فالإمام هو وساطة الوصل بين الخالق وبين المخلوق فمن عرفه عرف ربه على حقيقته....

---

(١) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٥٢.

(٢) البحار، ج٥٢، ص ١٤١.

الرابع: طوبى للثابتين

إنّ الأيـام تحمل كثيراً من المتغّيرات، لكن هناك ثوابت لا يمكن أن تتغيّر أو تتحوّل ومن جملة تلك الثوابت الإيمان بالمهديّ في غيبته والثبات على القول بإمامته وأنه حيّ يرزق فلا يمكن للظروف أن تضغط على الشخص للشك في تلك الحقيقة أو الرجوع عنها.

في الحديث عن أبي جعفر قال: يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم فياطوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إنّ أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري عزَّ وجلَّ: عبادي آمنتم بسري وصدّقتم بغيبي فابشروا بحسن الثواب مني فأنتم عبادي وإمائي حقّاً، منكم أتقبل وعنكم أعفو وبكم أسقي عبادي الغيث وأدفع عنهم البلاء ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي...[١]

الخامس: التقوى والورع

وفي غيبة الإمام يجب أن يكون المؤمنون به في غاية التدّين والالتزام بأوامر الله وعلى درجة عالية من التقوى والورع، فإن من يؤمن بالمهدي المنتظر قائداً لا يرضى أن يخالفه في حال غيابه، بل يحاول جهده وطاقته أن يحرز رضاه، ورضاه لا يتأتّى إلا من خلال القيام بكل ما يتطلّبه الدين، فلا يترك واجباً ولا يرتكب حراماً، وبهذا جاءت الروايات في الحديث عن الصادق عليه السلام يقول: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسّك بدينه[٢].

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر...[٣]

السادس: في غيبة الإمام

يجب أن يكون المنتظر له على تواصل معه بحيث يبقى الإمام المهديّ في فكره

(١) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ١٤٥.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ١٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ١٤٠.

وعقله يشعر وجدانياً أنه قريب منه، وهذا القرب ينعكس على أعمال الإنسان وسلوكه وحركات حياته، فيحاول إمكانه وقدرته أن تتوافق أعماله مع ما أراد الله؛ لأنّ ذلك يرضي الإمام.

والتواصل مع الإمام في غيبته يكون بالإحساس بوجوده القريب وأنه في كل لحظة يمكن أن يظهر ويعلن ثورته المباركة فيكون المنتظر له على أهبة الاستعداد للالتحاق به والانخراط في جيشه ويكون من أنصاره وأعوانه.. والتواصل مع المهدي في غيبته يكون بنموّ الشعور بوجود هذا القائد وتصاعد هذا الشعور بين الناس وفي المجتمع بحيث يتحوّل المهديّ وحركته المباركة إلى حديث يتناقله كل إنسان ويشعر ببركته كل فرد ويلهج به كل لسان.

والتواصل مع الإمام المهدي يكون بالدعاء له بتعجيل فرجه - في كل وقت وحين.

من مات منتظراً

يعيش المؤمنون المنتظرون حالة طوارئ دائمة، ينتظرون ظهور الإمام وخروجه ليكونوا في عداد جنده وأنصاره وأتباعه ومقويّة سلطانه، إنهم في أدعيتهم يتوجّهون إلى الله أن يكونوا مع المهدي وينتظرون تلك الساعة التي فيها يعلن الإمام ظهوره لكي يأتوا إليه ولو حبواً على الثلج.

المؤمنون بالمهدي ينتظرون خروجه لأنه يحقق إرادة الله في الأرض حيث يرفع الظلم والجور وينشر القسط والعدل ويجعل الإسلام حاكماً في كل ميادين الحياة، فلا شرك ولا إلحاد ولا ضلال ولا فساد ولا انحراف ولا رذيلة ولا معصية لله أبداً.

المؤمنون المنتظرون يعيشون مع المهديّ في قلوبهم وعقولهم وعواطفهم وأحاسيسهم؛ فلذا من صميم قلوبهم ينتظرون قدومه، وهذه الأمنية للحبيب قد لا تتحقّق وقد يغادر الإنسان المنتظر الحياة دون أن يكحل طرفه برؤية المهدي، فهل

يموت وتموت أمنيته معه فيخسر لذة اللقاء وثواب الجهاد بين يديه؟ أم أنّ هناك ما يعوِّض منها ويعيد للمنتظر أحلاماً افتقدها؟ إنّ الروايات الواردة عندنا عن طريق أهل العصمة تعطي المنتظر الذي يؤمن بالإمام ولم يوفّق ليكون معه لأنّ الموت حال بينه وبين القتال بين يديه ونصره - هذه الروايات تعطي لهذا الشخص ثواب من كان مع الإمام ومن قاتل بين يديه ونصره....

ففي الحديث عن عبد الحميد الواسطي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام - الإمام الباقر - أصلحك الله، والله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر حتى أوشك الرجل منّا يسأل في يديه.

فقال: يا عبد الحميد أترى من حبس نفسه على الله لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلى والله ليجعلن الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا[1].

قال: قلت: فإن متُّ قبل أن أدرك القائم.

فقال: القائل منكم: إن أدركت القائم من آل محمد نصرته كالمقارع معه بسيفه والشهيد معه له شهادتان.

وفي حديث ثان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الميت منكم على هذا الأمر بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله..[2]

وفي رواية ثالثة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه، ثم مكث هنيهة ثم قال: لا بل كمن قارع معه بسيفه ثم قال: لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله[3].

وفي حديث رابع عن الصادق عليه السلام قال: من عرف هذا الأمر ثم مات قبل أن

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٢٦، حديث/١٦.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص١٢٦، حديث /١٧/١٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٢، ص١٢٦، حديث /١٧/١٨.

يقوم القائم كان له مثل أجر من قُتل معه[١].

وفي حديث خامس عن الصادق عليه السلام: من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا هنيئاً لكم أيتّها العصابة المرحومة...[٢]

وفي حديث سادس عن الصادق عليه السلام قال: من مات منتظراً لهذا الأمر كان كمن كان مع القائم في فسطاطه، بل لا بل كان بمنزلة الضارب بين يدي رسول الله بالسيف...[٣]

---

(١) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ١٢١، حديث ٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ١٤٠، حديث/٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٢، ص١٤٦، حديث/٦٩.

كذب الوقاتون

تتشوّق النفوس المؤمنة لمعرفة وقت الظهور، وتريد أن تعرف ذلك بتحديد الوقت سنةً وشهراً، وقد تطلب اليوم حبّاً لهذا القائد العظيم الذي على يديه يكون خلاص البشرية من عذابها وآلامها وقد تجرّأ بعضهم وحدّد لخروج المنقذ وقتاً وقد كان تسرعاً منه وعدم إحاطة بهذا الموضوع الجليل مع حسن نيته ونبل مقصده...

إنّ التوقيت للشيء يعني أن تُعيّن له وقتاً محدّداً وتضع له زماناً مضبوطاً، فإذا وقّتَّ لدين لك في ذمة آخر بأول الشهر فهذا يعني أنّ بمطلع الشهر الهلالي ورؤية الهلال يحلّ الدين ويجب وفاؤه وأداؤه لأصحابه. وهنا نقول: هل هناك توقيت لظهور صاحب الزمان بالسنة والشهر واليوم؟ أم أنّ هذا الأمر لم يكن ولم يصدر عن المعصومين؟ وهل أهل البيت واجهوا مَنْ وقّت بالرفض والتكذيب أم لا؟

إنّ أهل البيت يرفضون التوقيت ويكّذبون من ادّعى ذلك، ففي الحديث عن الفضل قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: هل لهذا الأمر وقت؟ فقال: كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كذب الموقّتون وما وقّتنا فيما مضى، ولا نوقّت فيما يُستقبل[٢].

وفي الكافي عن إسحاق بن يعقوب أنه خرج إليه على يد محمد بن عثمان العمري: أما ظهور الفرج فإنه إلى الله وكذب الوقّاتون[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، باب التمحيص والنهي عن التوقيت.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

فالأئمة نفوا التوقيت وكذّبوا من وقّت زماناً معيناً بالسنة والشهر فضلاً عن اليوم، ومن هنا يجب أن يُرَدّ على من وقّت بالتكذيب وعدم صحة ما يقول.

لماذا لم يوقّت؟

بعد أن نفى الأئمة التوقيت لصاحب الأمر يُسأل: لماذا لم يحدّد وقت الظهور بالدقّة؟ ولماذا بقي الأمر مفتوحاً بدون تحديد؟

ويجاب عن هذا الأمر بما يأتي:

١- إنّ الأمر لله يفعل ما يشاء وليس لحكمه ردّ وليس عليه اعتراض، فمشيئته اقتضت أن يبقى أمر خروج المنقذ وظهوره في علمه وبدون توقيت، كما اقتضت حكمته أن يبقي علم الساعة ووقوعها عنده، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾.[1] وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[2].

وفي الكافي: كما في التوقيع الصادر عن يد محمد بن عثمان العمري: أما ظهور الفرج فإنه إلى الله...

٢- إن توقيت الظهور خصوصاً إذا كان في المستقبل البعيد يفقد الأجيال المتقدّمة التي تعيش أيامه، يفقدها الأمل بلقائه والانتصار له، ويدب اليأس في القلوب وتجفّ بالتدريج فكرة المهدي والارتباط به. وعلى العكس من ذلك عندما يبقى تاريخ الظهور مجهولاً وإمكان أن يكون خروجه في كل وقت وكل جيل، فإن الإنسان يبقى على استعداد دائم لملاقاة قائده والانتصار له ويبقى المهدي يعيش في القلوب تشتاق لرؤيته كل عين مؤمنة فيكثر له الدعاء ويتوجّه

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٣.

المؤمنون إلى الله بالفرج وقد ورد قول الإمام الرضا لعلي بن يقطين: «إنّ **الشيعة تربى بالأماني منذ مائتي سنة**». وإنّ ما صدر عن الأئمة من قولهم للناس - «**ما أسرعه - ما أسرع ظهوره - وما أقربه، إنما كان تألّفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج ولئلا تقسو القلوب وترجع عن الإيمان..**

إنّ من يرى أنّ سيده قد يفاجئه في أي وقت يتحتّم عليه أن يكون على استعداد دائم فيربي نفسه على الطاعة ويكون باستمرار في خطّ الالتزام والتقوى لأنّ ذلك من أهمّ عناصر قبوله في جيش هذا القائد. ولذا أمر الأئمة شيعتهم بقولهم لهم: «**من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر فإنْ مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه فجدوا وانتظروا هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة**»[1].

٣-التوقيت قد يؤدي إلى فشل حركة الإمام ونهضته. لو صدر التوقيت وتعيّن التحديد لأمكن للأعداء أن يجتمعوا ويتكتّلوا ويواجهوا حركة الإمام في أولها، وهذا يشكّل خطراً كبيراً قد يقضي عليها بحسب الموازين الطبيعية وقواعد الصراع. وهذا عكس ما لو كان تاريخ الظهور مجهولاً، وكانت حركة الإمام سريعة وفي فترة زمنية قصيرة فإنّ ذلك يفوّت على الأعداء لمَّ شملهم واجتماعهم على قتاله.

وفي المقام كلام لطيف للنعماني في غيبته يذكر، بعد ذكره لجملة من علامات الظهور ورفض التوقيت، يقول، من جملة كلامه، كما أبطلوا «**الأئمة**» أمرَ التوقيت وقالوا: من روى لكم عنّا توقيتاً فلا تهابوا أن تكذبوه كائناً مَنْ كان فإنّا لا نوقّت وهذا من أعدل الشواهد على بطلان أمر كل من ادّعى أو ادُّعيَ له مرتبة القائم ومنزلته وظهر قبل مجيء هذه العلامات[2]...

---

(١) منتخب الأثر /٤٩٧، وغيبة النعماني، ص١٣٤.

(٢) الغيبة للنعماني، ص٢٩٢.

نعم هناك علامات للظهور

إذا كان التوقيت فيه محاذير ومخاطر وخلاف الحكمة، فليس معنى ذلك أنه لا علامات للظهور، متى تحقّقت وقفنا على ظهور الإمام وخروجه العلني. نعم، كما سوف يأتي، هناك علامات عامة للظهور وعلامات خاصة، والأولى يمكن أن تحدث في أوقات بعيدة عن الظهور، بينما الثانية تحدث متسارعة وبفترة زمنية قصيرة جداً، وهي خمس علامات: الصيحة، والسفياني، واليماني، وقتل النفس الزكية، وخسف في البيداء. وسيأتي تفصيلها فيما يأتي إن شاء الله....

علامات الظهور

- العلامات العامة
- العلامات الخاصة
- السفياني - الصيحة
- ذبح النفس الزكية
- اليماني
- الدجال

مقدمة لعلامات الظهور

ما قبل الظهور فترة طويلة من الزمن وردت فيها الروايات الكثيرة المختلفة والمتعدّدة الحوانب، فهناك أحداث كونية - أرضية - خسف وزلازل - وأخرى سماوية - خسوف وكسوف وظهور المذنب - وهناك أحداث سياسية من زوال دول وسقوط تيجان، وهناك قضايا أخلاقية وسلوكية مستجدّة - تحلّل خُلُقي وتهتّك - كثرة الزنا وانتشاره وأكل الربا وشرب الخمر والشذوذ الجنسي بين المثلين، وهناك مفاهيم وقيم تتغيّر وتتبدّل فالمعروف يصبح منكراً والمنكر يصبح معروفاً - هناك أمور جرت أحداثها ووقائعها وجاءت كما أخبرت بها الروايات - وهناك أمور وقضايا لا تزال تنتظر المستقبل ليكشف عنها ويأتي وقت تحقيقها...

الروايات التي وصلت كثيرة - وقد لا يكون بعضها صحيحاً سنداً - ولكنها جاءت آية في الصدق وكأنها تحكي أموراً أمامك تراها بعينيك، وصوراً تتحرّك فتكاد تلمسها بيديك.. وليكن معلوماً أننا حريصون على سلامة عقول الناس وأفكارهم ولا نريد لهم من المعاني إلا الصحيح والنافع والمفيد، ولكن ليس كل ما لا نجد له تفسيراً يجب رفضه ورميه بعيداً. باعتبار أنّ قضيّة المهدي قضيّة غيبيّة - في بعض جوانبها - وإن كانت يقينية في أصولها الأساسية ومفاصلها الرئيسية - من كون المهدي هو ثاني عشر خلفاء الرسول - وهو محمد بن الحسن العسكري المولود في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة، وان له غيبتين صغرى وكبرى.. الخ. نعم باعتبار الغيب الذي تحمله بعض مراحل هذه القضيّة خصوصاً مرحلة ما قبل الظهور وما يجري من أحداث وما يمر من وقائع وهذه كلها من عالم الغيب كَشَفَ عنها النبي والأئمة. بهذا الاعتبار نحن حريصون على كل رواية لا تتعارض

مع نص قرآني ولا تأتي مخالفة للعقل وأحكامه فإن وجدنا لها تفسيراً يتناسب مع ما وصلنا إليه من رشد عقلي أو ما وصل إلينا من علم ومعرفة - كما هو الحال في كثير مما ورد وكان مستغرباً إلى وقت قريب ثم كشف عنه العلم - أخذنا به وإلا تركناه كما هو، فلعلّ الزمان القادم يكشف عن أسراره وما يحمله من حلول ومعانٍ رفيعة.. إنّ وجود بعض الروايات التي لا تروق لبعض الناس - وقد يكونون غير مؤهّلين لمحاكمتها إمّا لضعف سندها أو لأنهم لم يهتدوا إلى معانيها وأسرارها . إنّ هذا الأمر لا يوجب سقوطها أو حذفها أو شنّ حرب عليها وعلى الكتاب الذي حملها، بل من الأمانة العلمية أن نحتفظ بها ونبقيها كما هي عسى أن تحمل الأيام إلينا أسرارها.

وردت في الروايات علامات كثيرة تجري قبل ظهور المهدي عليه السلام بعضها حتميّ الوقوع وهي معدودة. أمّا العلامات الأخرى فهي كثيرة جداً جمع بعض العلماء منها مائتين وخمسين علامة، وهي قطعاً أكثر من ذلك لأنّ بعضها ابتدأ في زمن الغيبة الصغرى حيث تنقل زوال حكم بني العباس وهكذا إلى يومنا الحاضر، بل إلى المستقبل وما يحمل من علامات تكون قبل ظهوره عليه السلام كما أنّ بعضهم كتب في أحداث آخر الزمان وهي علامات تنطبق على علامات الظهور باعتبار أنّ ظهور المهدي يكون في آخر الزمان، لا أريد أن أجمع كل ما يقع قبل الظهور، وما يكشف عن قرب الظهور، فإن ذلك يستوعب مجلداً كاملاً خصوصاً إذا تجاوزنا نقل الرواية إلى تفسيرها وبيان ما توصّل إليه فهمنا منها وما تحتمله من المعاني والأسرار؛ ولذا اقتصرنا في هذا الفصل، من هذا الكتاب، على بعض العلامات المهمّة، وهي علامات استشراف ليوم الظهور وفيها من الحقائق التي وصلت إلينا - وكانت بعيدة التصديق قبل ذلك - ما يجعلنا نؤمن بأنها صادرة عن رجال موصولين بعالم الغيب يتحدّثون بلسان الله ووحيه وما أعطاهم من غيبه...

وفي ما يأتي أهمّ ما أردنا ذكره من علامات تسبق الظهور وهي:

١ - قبل قيام القائم حروب ومجازر

١- قبل قيام القائم تكون مجازر وحروب طاحنة لا يمكن وصفها أو الإحاطة بها وقد أعلن عنها أئمة أهل البيت، ففي الحديث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: بين يدي القائم موت أحمر وموت أبيض وجراد في حينه وجراد في غير حينه، أحمر كالدم، فأمّا الموت الأحمر فبالسيف وأمّا الموت الأبيض فالطاعون.. وفي رواية عن الصادق عليه السلام يقول: لا يكون هذا الأمر - قيام القائم - حتى يذهب تسعة أعشار الناس.

وقال الصادق عليه السلام: لا يقوم القائم إلا على خوف شديد من الناس وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد في الناس وتشتت في دينهم وتغيّر من حالهم حتى يتمنّى المتمنّي الموت صباحاً ومساءً من عِظَم ما يرى من كَلَب[1] الناس - من شدة الناس وقسوتهم - وأكل بعضهم بعضاً...

وبالرغم من تلك الشدّة الشديدة فإنّ الإمام الصادق عليه السلام يطمئن الشيعة إلى مصيرهم ويبشّرهم بأنهم يعيشون في كنف الله وحفظه وأنهم من البقيّة الباقية من الناس.

فعن محمد بن مسلم وأبي بصير قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يكون هذا الأمر- قيام القائم - حتى يذهب ثلثا الناس.

فقلنا: إذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى؟

فقال: أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي...[2]

وهذا الحديث يكشف مدى التدمير والخراب الذي يحدث فيما لو وقعت حرب نووية في عصرنا وأنّ البشريّة قد تتعرّض لفناء يذهب بهذا العدد الكبير - ثلثي

---

(١) الغيبة للنعماني، ص ٢٨٢.

(٢) سورة الكهف، الآية:

البشرية - وفي أوقات قصيرة، قد تُعدّ بالأيام إن لم نقل بالساعات. وهذا الخبر من الغيب المحجوب في زمن الصادق عليه السلام صدّقه واقعنا وما نعيش فيه من رعب دائم من حرب عالمية كونية نووية تقضي على هذا الرقم الكبير من البشرية...

٢ - التحلل الخُلُقي:

من أبرز مظاهر ما جاءت به الروايات إخبارها عمّا يجري قبل قيام القائم من تحلّل خلقي بحيث تنعكس المفاهيم وتُمسخ القيم وتتبدّل المعتقدات.

ويتحوّل المنكَر إلى معروف والمعروف إلى منكر، في عمليّة هي أبشع أنواع التحريف والتغيير: لأنّ النظرة للأشياء تنقلب اعتقاداً فيذهب الإنسان إلى أنه يحسن صنعاً مع أنه يعمل السوء كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١].

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: كيف بكم إذا فسد نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟

فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وآله-؟!

قال: نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟

قيل: يا رسول الله، ويكون ذلك؟!

قال: نعم وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً، والمنكر معروفاً؟[٢]

ومن حديث محمد بن مسلم قال: ومتى يخرج قائمكم؟

قال - عليه السلام - إذا تشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وركب ذوات الفروج السروج، وقُبلتْ شهادات الزور، ورُدّت شهادات العدول، واستخف الناس بالدماء وارتكاب الزنا وأكل الربا واتُقي الأشرار مخافة ألسنتهم[٣].

---

(١) سورة الكهف. الآية: ١٠٤.

(٢) قرب الإسناد. ص٣٦. الكافي. كتاب الجهاد.

(٣)

٣- تمنّي الموت

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: لا يظهر المهدي إلا على خوف شديد من الناس وزلزال وفتنة، وبلاء يصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد في الناس وتشتّت في دينهم وتغيّر في حالهم حتى يتمنّى المتمنّي الموت صباحاً ومساءً من عَظِمَ ما يرى من كَلَب الناس - شدتهم وقساوتهم - وأكل بعضهم بعضاً فخروجه عليه السلام إذا خرج يكون عند اليأس والقنوط من أن نرى (يرى) فرجاً، فياطوبى لمن أدركه وكان من أنصاره والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره...[1]

٤- خراب الشام

من الأمور المهمّة التي تلفت النظر والتي تحمل معها أسرار أهل البيت عليهم السلام ما ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري حيث ينقل عن الإمام الباقر عليه السلام ما نصّه حيث قال له: إلزم الأرض ولا تحرّك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك وما أراك تدرك ذلك - وهذا من الأسرار - اختلاف بين العباد ومناد ينادي من السماء وخسف في قرية من قرى الشام بالجابية ونزول الترك الجزيرة ونزول الروم الرملة واختلاف كثير عند ذلك في كل أرض حتى تخرب الشام ويكون سبب ذلك اجتماع ثلاث رايات فيه: راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفياني[2].

٥- كسوف الشمس وخسوف القمر

هذه الآية كونيّة تتغيّر بموجبها ما اعتاد الناس عليه حيث يتمّ خسوف القمر عادة في منتصف الشهر وكسوف الشمس في آخره، فتأتي هذه الآية على خلاف ذلك وهذا من علم الغيب الذي أطلع الله عليه نبيّه والنبّي بدوره أعلم الأئمة بذلك. وهذا الأمر سيجيئ كما ورد يقول الإمام الباقر عليه السلام: إنّ بين يديّ هذا الأمر - قيام القائم -

---

(١) منتخب الأثر، للصافي، ج٣، ص٢٠، حديث ٩١٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٣٦٩.

انكساف القمر لخمس تبقى والشمس لخمس عشرة وذلك في شهر رمضان، وعنده يسقط حساب المنجّمين[١].

وعن الأسدي قال: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر، فذكر آيتين تكونان قبل القائم لم تكونا منذ أهبط الله آدم صلوات الله عليه أبداً، وذلك أنّ الشمس تنكسف في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره.

فقال له رجل: يا بن رسول الله، لا بل الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: إني لأعلم بالذي أقول: إنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم[٢].

٦- اختلاف الشيعة

عندما يضطرب الزمان ويضغط الجور والظلم على الناس فإنّ الشيعة لن يكونوا أحسن من غيرهم أمام هذا التحدّي الكبير، بل تنتقل عدوى المشاكل والخلافات إلى وسط هذه الفئة المؤمنة ويحاول كل واحد أو جهة أو فئة أن تصحّح ما هي عليه وما تمتلك من رؤية سواء كان للأوضاع التي تعيشها أم للواقع الذي يتحركون فيه ومن هنا كان من علامات الظهور اختلاف الشيعة فيما بينهم بل التبري من بعضهم البعض ويلعن بعضهم البعض، ففي الحديث: لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض ويلعن بعضكم بعضاً، ويتفل بعضكم في وجه بعض وحتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض.

يقول الراوي – قلت: ما في ذلك خير؟

قال: الخير كله في ذلك، عند ذلك يقوم قائمنا فيرفع ذلك كله[٣].

روى حذلم بن بشير قال: قلت لعلي بن الحسين، صف لي خروج المهديّ وعرّفني دلائله وعلاماته.

---

(١) الغيبة للنعماني، ص ٢٨٠.

(٢) الغيبة للنعماني، ص ٢٨٠.

(٣) البحار، ج٥٢، ص ٢١١.

فقال: يكون قبل خروجه، خروج رجل يقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت وقتله بمسجد دمشق، ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثم يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس، وهو من ولد عتبة بن أبي سفيان، فإذا ظهر السفياني اختفى المهدي ثم يخرج بعد ذلك[١].

٧- كل الناس تحكم قبل قيام القائم

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما يكون هذا الأمر - ظهور المهدي - حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد وُلّوا على الناس حتى لا يقول قائل: إنّا لو وُلّينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحقّ والعدل[٢].

هذا الحديث المبارك يكشف فشل كل الحكومات المتعاقبة قبل ظهور المهديّ فلا تبقى أطروحة فكريّة أو منظومة قانونية أو فئة من الناس مؤمنة أم كافرة إلا وتمارس الحكم وتقوم بإدارة البلاد والعباد، وتفشل كلها ولا يبقى لواحدة منها حجّة بأنها لو تمكّنت من الحكم لعدلت وحقّقت الرفاه والسعادة للناس. وبهذا الفشل يتسهّل الأمر للمهدي كي تتقبّل حكمه البشرية جمعاء وترضى بهذا الحكم؛ لأنها مع المهدي تحقق أعظم النجاحات وأروع ما يمكن الوصول إليه من العدالة والرفاه والسعادة والوئام... إنّ قناعة المجتمعات بفشل كل من حكم يستدعي فيها يقظة فطريّة في داخل النفوس تحثّها على طلب الإمداد من الغيب، فيأتيها الجواب عملياً بظهور القائد المنتظر الذي على يديه يكون الخلاص وقد بشّر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصلت أخباره إلى الناس جميعاً.

٨- أمطار غزيرة

مقدّمة من مقدّمات الظهور وعلامة من علاماته أن تزفّ السماء البشرى بنزول الأمطار الكثيرة والغزيرة ولمدّة مديدة كي تكثر الخيرات وتزدهر الحياة

---

(١) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٢١٣.

(٢) الغيبة للنعماني، ص٢٨٢.

وتعمر الديار وتدرك الناس أن في الأمر سرّاً ستكشف عنه الأيام القادمة والأزمنة القريبة... بالماء تكون حياة كل حي قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[١] فهذا الماء ينزل غدقاً في سنة ظهور المهدي لكي تزدهر الحياة الاقتصادية بالمواسم التي يزيد عطاؤها وخيراتها فتأمن الناس على قوتها وتطمئن لاستمرارية حياتها وتخرج من حالات العسر التي كانت فيها والتي مرّت عليها، وبهذا الأمر وردت الأخبار[٢].

في الحديث عن الصادق عليه السلام قال: «**وإذا آن قيامه - قيام القائم وظهوره - مُطِرَ الناس في جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم يُرَ مثله**».

ويقول الشيخ المفيد في الإرشاد: ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل فتحيا به الأرض بعد موتها وتعرف بركاتها ويزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحقّ من شيعة المهدي عليه السلام فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة فيتوجّهون نحوه لنصرته كما جاءت بذلك الأخبار.

يبدو أن هذه الأمطار ستكون عامة ليس في بقعة واحدة وإنما في جميع البلدان الإسلامية وخصوصاً بلاد الحجاز وبلاد الشام وإن اختلفت المناخات فيها فإنّ هذا المطر يوحّد الجميع ويبشّر بظهور الإمام حتى تخرج الأرض خيراتها فتطمئن النفوس أولاً لهذه العلامة الدالة على الظهور وثانياً لزيادة الخيرات التي تبعث الدفء والطمأنينة في قلوب الناس وأنه لا مجال للمجاعة والحاجة....

٩- خمس قبل قيام القائم

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خمس قبل قيام القائم عليه السلام: اليماني، والسفياني، والمنادي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكّية [٣].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٢) نقلاً عن بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٢٢١.

(٣) كمال الدين للصدوق.

وقال الصادق عليه السلام: ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكيّة إلا خمس عشرة ليلة[١].

١٠- وجه يطلع في القمر

من العلامات التي تسبق الظهور آية عظيمة يراها الناس ويأخذهم منها العجب، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العام الذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب، قلت: ـ الراوي ـ وما هي قال: وجه يطلع في القمر ويد بارزة[٢]. وفي بعض الروايات «**وكفّ يطلع من السماء**»[٣].

١١- نار في السماء

من العلامات التي تتقدّم الظهور وتكون مؤشّراً على قدوم الغائب وظهوره هناك عدة روايات ذات مضمون يكاد يتّحد ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يزجر الناس قبل قيام القائم عليه السلام عن معاصيهم بنار تظهر لهم في السماء، وحمرة تجلّل السماء، وخسف ببغداد، وخسف ببلدة البصرة، ودماء تسفك بها وخراب دورها وفناء يقع في أهلها، وشمول أهل العراق خوف لا يكون معه قرار[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهردي ـ وهو المصبوغ بالكركم ـ العظيم تطلع ثلاثة أيام أو سبعة فتوقّعوا فرج آل محمد إن شاء الله عزَّ وجلَّ إنّ الله عزيز حكيم[٥].

وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا رأيتم علامة في السماء: ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالي فعندها فرج الناس وهي قدّام القائم بقليل..[٦]

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) غيبة النعماني، ص ٢٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٢.

(٤) البحار، ج ٥٢، ص ٢٢١.

(٥) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٢٣٠.

(٦) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٢٤٠.

هذه النار التي يخبر عنها الأئمة لها سرّ عظيم لا يمكن تفسيره بما نراه ونعهده من احتراق لآبار النفط أو تفجيرات كبرى يتولّاها البشر، بل هي أعظم وأكبر وأكثر أثراً لأنها تحمل معها البشرى بظهور القائم، وأظنّ أنّ بقاءها من الأسرار ادعى للاتعّاظ والاعتبار وأقوى في التصور والحسبان...

١٢- إذا صارت الدنيا هرجاً

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: منّا مهديّ هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن، وتقطّعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقّر كبيراً، فيبعث الله عند ذلك مهديّنا، التاسع من صلب الحسين يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً، يقوم في الدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئتْ جوراً...[1]

وفي الحديث يسأل النبي صلى الله عليه وآله ربه عن وقت خروج القائم فيقول له تعالى: **«يكون ذلك إذا رُفع العلم، وظهر الجهل، وكثر القرّاء، وقلّ العمل، وكثر الفتك، وقلّ الفقهاء الهادون وكثر فقهاء الضلالة الخونة... وحُلّيت المصاحفُ وزُخرفتْ المساجد وكثر الجور والفساد، وظهر المنكر وأَمر أمتك به ونَهوا عن المعروف، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء....»**[2]

١٣- انتظار الفزعة وغيرها

انتظروا الفرج في ثلاث

قال أمير المؤمنين عليه السلام: انتظروا الفرج في ثلاث. قيل: وما هنّ؟

قال: اختلاف أهل الشام بينهم.

والرايات السود من خرسان والفزعة في شهر رمضان.

فقيل له: وما بعد الفزعة في شهر رمضان؟ قال: أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ

---

(١) البحار، ج٥٢، ص٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٢٧٧.

في القرآن: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ [١]؟

قال: إنه يخرج الفتاة من خدرها ويستيقظ النائم ويفزع اليقظان[٢].

١٤- فتنة الشام

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: يا جابر لا يظهر القائم حتى يشمل الشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه ويكون قتل بين الكوفة والحيرة، قتلاهم على سواء - أي في وسط الطريق - وينادي مناد من السماء[٣].

وعن علي عليه السلام قال: انتظروا الفرج من ثلاث. فقلت - القائل هو الراوي - وما هنّ؟ فقال: اختلاف أهل الشام بينهم والرايات السود[٤].... وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: من حديث له «**فأول أرض تخرب الشام، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفياني**[٥].

١٥- إذا انعكست الأمور

١-من علامات الظهور - التي أخبر عنها الأئمة وجاءت كما أخبروا، ونراها بأمّ العين ونعيشها في واقعنا ما رواه محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام حيث يسأله: يا بن رسول الله متى يخرج قائمكم؟

فيقول له: إذا تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وركب ذوات الفروج السروج، وقُبلتْ شهادات الزور، ورُدّتْ شهادات العدول، واستخفّ الناس بالدماء، وارتكاب الزنا وأكل الربا، واتُقي الأشرار مخافة ألسنتهم، وخرج السفياني من الشام واليماني من اليمن، وخُسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٤.

(٢) البحار، ج٥٢، ص ٢٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٢٨٥.

(٤) البحار، ج٥٢، ص ٢٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٢١٢.

النفس الزكيّة، وجاءت صيحة من السماء بأن الحقّ فيه وفي شيعته فعند ذلك خروج قائمنا..[١]

١٦- دعاة المهدوية الكَذَبة

باعتبار أنّ المهديّ شخصيّة لها مقام عظيم في نفوس الناس وعند الله ولها دور ريادي وقيادي في تحرير العالم فهو القائد المنتظر الذي بشَّر به رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وتنتظره البشريّة بفارغ الصبر، فلذا يطمح إلى هذا المقام كثيرون ممّن تحدّثهم أنفسهم بأنهم مؤهّلون لذلك مع قصورهم، ولكنها النفس التي تغرّ أصحابها وتدفعهم لكي يدّعوا أنهم من أهل هذا المقام وأنهم يملكون اللياقة له، ومن هنا وردت الأحاديث في بيان كذب من يدّعي ذلك. ومن يدّعي ذلك قبل ظهور القائم جملة من المغرورين.

في الحديث قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه...[٢]

ودعوى المهدويّة ادّعاها بعض بني أمية كما ادَّعاها في زمن العباسيّين جملة من خلفائهم وتسمّوا بذلك وادّعاها محمد بن الحسن - النفس الزكية وكان والده قد حجبه عن رؤية الناس وقال إنه المهدي وقد قتله المنصور العباسي وحتى المنصور نفسه لُقّب بالمهدي ليوحي بأنه المهديّ الموعود الذي جاءت به الأخبار ولا يزال بين الحين والآخر من يطلع علينا بدعوى أنه المهديّ الموعود، ثم يتبيّن كذبه فيفتضح وتسقط دعواه بعد أن يتحمّل آثام كذبه وما يتركه من آثار سيئة تُسيء إلى المهديّ المنتظر حيث تترقّب الناس ظهوره في كل لحظة فيأتي هذا الكذاب فيشوش على المنتظرين هدوءَهم وصفاء انتظارهم الإيجابي...

---

(١) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ١٩٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٢٠٩.

١٧- لا يخرج المهدي حتى ينادى باسمه

هذه العلامة من أهمّ العلامات عند ظهور المهديّ فهي علامة تقطع الشك وترفع التردّد وتعيّن المهدي بالاسم واسم الأب وإعلان الظهور، إنها أذان بظهور القائم الذي ينتظره كل طالب للحقّ ومحبّ للعدل.

في الحديث عن أبي بصير عن أبي عبد الله يقول: «**ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة الجمعة.**

قلت: «**الراوي**» بما ينادى؟

قال: باسمه واسم أبيه ألا إنّ فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه فلا يبقى شيء من خلق الله فيه الروح إلا يسمع الصيحة[1].

أقول: هذه العلامة والآية تسدّ الطريق أمام كل من يدّعي أنه المهديّ وتفشل خططه وما يهدف إليه وتدعو الناس إلى تكذيب كل من رفع عقيرته وادّعى مثل هذه الدعوى الخطيرة التي تُدخل صاحبها النار.

١٨- شروق الشمس من مغربها

من الظواهر الكونية التي جعلوها من علامات الظهور أو قبل الظهور - وإن كانت واردة في أخبار آخر الزمان - أن الشمس تظهر من المغرب خلافاً لما يشاهده الناس ويرونه في كل صباح، وأيضاً خلافاً لما عليه تنظيم الفلك وسائر المنظومة الكونية التي نعيش ضمنها، مع ما في شروق الشمس من المغرب من تبديل في بنية الحياة بحيث قد تؤدي هذه التغيّرات إلى إحداث أمور لا يعرف مداها ومدى آثارها وما تتركه من تداعيات إلا الله. إنّ ظاهرة شروق الشمس من مغربها تغيير لحركة الفلك وهذا وإن كان ممكناً عقلاً ولكنه يحمل معه مخاطر لا يمكن تقديرها أو التكهن بها، وهذه الظاهرة وردت بها الأخبار من الفريقين السنة والشيعة.

---

(١) الغيبة للنعماني. ص ٢٠١.

عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «**إن الله قادر على أن ينزل آية**» **قال: «وسيريك في آخر الزمان آيات وعدّ منها طلوع الشمس من مغربها»**[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عشر قبل الساعة لابُدَّ منها وعدَّ منها «**طلوع الشمس من مغربها**»[٢].

وفي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ويكون الناس بعد طلوع الشمس من مغربها كيومهم هذا، يطلبون النسل والولد يلقى الرجل الرجل، فيقول: متى ولدت؟**

فيقول: من طلوع الشمس من المغرب[٣].

ويبدو أن شروق الشمس من مغربها أمر إعجازي خارق للعادة إن قبلنا به على وجه الحقيقة، وإن كان بعضهم يحمل الأحاديث على المجاز نظراً للمحاذير المترتبة عليها من تغيّر الفلك واضطرابه واضطراب الحياة.

إنّ هذه الظاهرة الموجودة في الأحاديث لا تُحمل على الحقيقة وإنما هي من المجازات والكنايات التي لا يُراد بها ظاهرها، إنها رموز ترمي لمعانٍ عالية رفيعة. ويؤيد هذا المعنى ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير شروق الشمس من مغربها بالإمام المهدي عجل الله فرجه حيث يظهر بعد غياب، فقد فهم هذا المعنى صاحب جليل من أصحاب أمير المؤمنين وهو عربي من الأقحاح وخطيب من خطباء العرب المشهود لهم في هذا الباب وهم أدرى بلغتهم من كل وافد عليها متطفّل على مائدتها؛ فإنّ الإمام بعد خطبة قال فيها «**يقتله الله - يقتل الدجال - عزّ وجلّ بالشام على عقبة تعرف بعقبة «أفيق»** لثلاث ساعات من يوم الجمعة على يديّ من يصلي المسيح عيسى بن مريم خلفه.

إلى أن يقول «**ثم ترفع الدابة - دابة الأرض رأسها فيراها مَنْ بين الخافقين**

(١) تفسير القمي.

(٢) أعيان الشيعة.

(٣) عقد الدرر للسلمي الشافعي.

بإذن الله عزَّ وجلَّ بعد طلوع الشمس من مغربها..»[١]

فبعد هذا الكلام يقول النزال بن سبرة لصعصعة - ابن صوحان - ما عنى أمير المؤمنين بهذا القول؟

فقال صعصعة: يا بن سبرة، إنّ الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن علي، وهو الشمس الطالعة من مغربها يظهر عند الركن والمقام، يطهّر الأرض ويضع ميزان العدل فلا يظلم أحد أحداً.

إنّ ما فهمه هذا الصحابي الجليل يوفّر علينا الفوضى والاضطراب في النظام الكوني، وإذا لم يحدث ذلك يوفّر علينا معجزة نحن بغنى عنها، وهذا يتناسب مع لغتنا ومع البلاغة التي تحملها المجازات، وعلي سيد هذه الصناعة وإمام أئمة البلاغة الذي رسم من خلال كلامه موازين التفاوت ومراتب البلغاء والفصحاء.

١٩- كل هذا في أهل القبلة

عند ما نستعرض شريط الأحداث في عالمنا الإسلامي تهزّنا المشاهد الدموية التي تتحرّك في كل بلد وفي كل اتجاه، فترى الاقتتال بين المسلمين، وترى الدماء تنزف باسم الدين، فهناك فتاوى تفوح منها رائحة الدم حيث يتبرع بها دعاة الفتنة من علماء السوء الذين يخدمون في بلاط الملوك والأمراء ويلبّون لهم ما يريدون وما يطلبون، فباسم الإسلام يتمّ تكفير المسلمين الآخرين من الفرق الإسلامية التي لا تنتمي إلى هذا المذهب أو هذا الفصيل، وباسم الدين تُسفك دماء الأبرياء وتُستباح الأموال والأعراض وهكذا دواليك، مما لا يُبيحه دين أو يسمح به عقل أو ضمير وهذا ما أخبر عنه المعصوم وجاءت به الأحاديث.

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[٢]، قال: هو الدجّال والصيحة ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ وهو الخسف ﴿أَوْ

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ١٩٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾وهو اختلاف في الدين وطعن بعضكم على بعض ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾وهو أن يقتل بعضكم بعضاً وكل هذا في أهل القبلة...[1]

٢٠- خطبة علي عليه السلام جامعة لأحداث ما قبل الظهور

هناك رواية جامعة يرويها الصدوق في كتابه «**كمال الدين**» وينقلها صاحب البحار وهي رواية طويلة تحمل معها الكثير من الأحداث والأوصاف والصور والأمور التي ربما كانت في طيّات الغيب كشفت عنها الأيام وبرهن الزمان صدق من جاء بها وأنها من عالم الغيب المحجوب، رواها الرواة وهي تختلف من زمان إلى آخر، والأمور نسبية فربما كان الانحراف كبيراً فيما مضى، وبالنسبة إلى ما نعيشه فيه فهو صغير جداً، والرواية كما هي، عن النزال بن سبرة قال: خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني - ثلاثاً - فقام إليه صعصعة بن صوجان فقال: يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجّال - «**والدجّال يخرج في زمن المهدي وهو الذي يتولى قتله**»؟ فقال علي عليه السلام: اقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت، والله ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكنّ لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضاً كحذو النعل بالنعل وإن شئت أنبأتك بها.

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: احفظ فإنّ علامة ذلك، إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيّدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتّبعوا الأهواء، واستخفّوا بالدماء.

وكان الحِلْمُ ضَعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فَجَرة، والوزراء ظَلَمة والعرفاء خونة، والقّراء فَسَقة وظهرت شهادات الزور واستعلن الفجور وقول البهتان والإثم والطغيان....

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ١٨٢.

وحُلّيتْ المصاحف، وزخرفت المساجد، وطُوّلت المنائر، وأُكرم الأشرار وازدحمت الصفوف، واختلفت الأهواء، ونُقضت العهود، واقترب الموعود وشارك النساء أزواجهنّ في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت أصوات الفساق واستُمع منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، واتُّقي الفاجر مخافة شرّه وصُدِّق الكاذب، واؤتُمن الخائن، واتُّخذت القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها وركب ذوات الفروج السروج...

وتشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وشهد شاهد من غير ان يستشهد، ويشهد الآخر قضاء لذمام بغير حق عرفه، وتفقّه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجِيَف، وأمرٌّ من الصبر، فعند ذلك الوحا الوحا، العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدس، ليأتين على الناس زمان يتمنى أحدهم أنه من سكانه.

فقام إليه الاصبغ بن نباته فقال: يا أمير المؤمنين من الدجال؟ فقال: ألا إنّ الدجال صائد بن الصيد فالشقيّ من صدّقه والسعيد من كذّبه، يخرج من بلدة يقال لها أصفهان من قرية تعرف باليهودية. عينه اليمين ممسوحة والأخرى في جبهته تضيئ كأنها كوكب الصبح فيها علقة كأنها ممزوجة بالدم بين عينيه مكتوب «**كافر**» يقرأه كل كاتب وأمي..

يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يرى الناس أنه طعام، يخرج في قحط شديد تحته حمار أقمر، خطو حماره ميل، تُطوى له الأرض منهلاً منهلاً ولا يمرّ بماء إلا غار إلى يوم القيامة ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين يقول: إليّ أوليائي أنا الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى، أنا ربكم الأعلى، وكذب عدوّ الله إنه الأعور يطعم الطعام ويمشي في الأسواق، وإنّ ربكم عزَّ وجلَّ ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشي ولا يزول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ألا وإنّ أكثر أشياعه يومئذ أولاد الزنا وأصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله

عزَّ وجلَّ بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات من يوم الجمعة على يدي من يصلي المسيح عيسى بن مريم خلفه.

إلا أنّ بعد ذلك الطامة الكبرى، قلنا: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: خروج دابة من الارض، من عند الصفا، معها خاتم سليمان وعصى موسى تضع الخاتم على وجه كل مؤمن فيطبع فيه «**هذا مؤمن حقاً**» حتى إنّ المؤمن لينادي: الويل لك يا كافر! وإنّ الكافر ينادي طوبى لك يا مؤمن، وددت أني اليوم مثلك فأفوز فوزاً، ثم ترفع الدابة رأسها فيراها مَنْ بين الخافقين بإذن الله عزَّ وجلَّ بعد طلوع الشمس من مغربها. فعند ذلك تُرفع التوبة فلا توبة تُقبل ولا عمل يُرفع ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً.

ثم قال عليه السلام: لا تسألوني عمّا يكون بعد ذلك فإنه عهد إليّ حبيبي عليه السلام أن لا أخبر به غير عترتي.

فقال النزال بن سبرة لصعصعة: ما عنى أمير المؤمنين بهذا القول؟

فقال صعصعة: يا بن سبرة إنّ الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن علي وهو الشمس الطالعة من مغربها يظهر عند الركن والمقام، يطهّر الأرض ويضع ميزان العدل فلا يظلم أحد أحداً فاخبر أمير المؤمنين عليه السلام أنّ حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليه ألا يخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين... انتهى.

أقول: نقلت الخبر لما فيه من أمور مفقودة في غيره من الأخبار ففيه ما يؤول إليه أوضاع الأُمّة وما يمرّ عليها وما يجري في المجتمع، كما أنّ فيه ذكر الدجال الذي ربما كان رمزاً للحضارة المادية التي نعيشها اليوم فإنّ مواصفات الدجال تنطبق على ما نحن فيه من تقدّم علمي وتطوّر فاق تصور البشر ويكون مسح العين كناية عما تعيشه هذه الحضارة من نظرة إلى عالم المادة وحدها دون النظر إلى عالم الروح وأما أنه يخوض البحار - فما نجده من أساطيل حربية ومدمّرات وغواصات وهكذا تطوى له الأرض وغيرها مما يحمله المجاز من المعاني والرموز...

السفياني:

من أظهر علامات الظهور - بل هي واحدة من خمس علامات قيل بحتميتها قبل ظهور القائم عليه السلام ...

من علامات الظهور أن يخرج من آل أبي سفيان مجرم قاتل ظالم وليس السفياني رمزاً للشرّ وعنواناً للانحراف والخطيئة، بل وردت الروايات على أنه شخص سمّوه باسمه ونسبوه إلى أهله فهو من ذريّة أبي سفيان بن حرب ويُسمّى ابن آكلة الأكباد - نسبة إلى جدته هند التي شقّت بطن الحمزة عمّ النبي وأخرجت كبده ووضعتها في فمها فلاكتها ثم لفظتها.

وفي البحار عن الصادق عليه السلام قال: «**وهو عثمان بن عنبسة الأموي من ولد يزيد بن معاوية**».

وفي غيبة النعماني عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا اختلف الرمحان بالشام... فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية في دمشق يقال لها حرستا فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق..**».

فهذا البيان وما يأتي من وصف له يكشف أنه شخص وليس عنواناً كحالة منحرفة.

صفات السفياني

السفياني رجل دميم الشكل مرعب، لا يحمل في نفسه شيئاً من الرحمة يصفه أمير المؤمنين - كما في بحار الأنوار - «**يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس هي منطقة حوران في محافظة درعا من بلاد الشام وهو رجل ربعة وحش الوجه**

- أي يستوحش من يراه - ضخم الهامة بوجهه أثر الجدري إذا رأيته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفيان»[١].

ويقول الصادق عليه السلام: «إنك لو رأيت السفياني رأيت أخبث الناس أشقر أحمر أزرق يقول: يا رب، يا رب ثم للنار، ولقد بلغ من خبثه أنه يدفن أُمَ ولد له وهي حيَة مخافة أن تدلّ عليه[٢].

وفي رواية الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: السفياني: أحمر أشقر أزرق لم يعبد الله قط ولم ير مكة ولا المدينة قط يقول: يا رب ثاري والنار يا رب ثاري والنار[٣].

السفياني عدوّ الشيعة:

السفياني يمثل القمّة في العداء لشيعة أهل البيت عليهم السلام ففي الرواية عن أبي عبد الله - الصادق - كأني بالسفياني أو بصاحب السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فنادى مناديه من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم فيثب الجار على جاره ويقول هذا منهم فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم[٤].

السفياني علامة حتمية:

السفياني شخصّية كشفت عنها الأحاديث والروايات يتحقّق وجودها وتأخذ دورها قبل ظهور القائم وتكون مؤشّراً قريباً جدّاً على الظهور. فمتى تحرّك السفياني عرفنا قُرب هذا الأمر، وتكون علامة حتميّة على خروج القائم، ففي

---

(١) البحار، ج٥٢، ص ٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٢٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٥٢، ص٢١٥.

الحديث عن معلى بن خنيس يقول: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من الأمر محتوم ومنه ما ليس بمحتوم ومن المحتوم خروج السفياني في رجب[١].

وفي حديث آخر عن عبد الملك بن أعين قال:

كنت عند أبي جعفر عليه السلام فجرى ذكر القائم عليه السلام فقلت له: أرجو أن يكون عاجلاً ولا يكون سفيانيًّا[٢].

فقال: لا والله إنه لمن المحتوم الذي لابُدَّ منه.

وفي حديث ثالث يُقْسِم أبو جعفر عليه السلام ويقول «**لا والله إنه لمن المحتوم**»[٣].

وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام «**السفياني من المحتوم**»[٤].

وفي حديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «**فاذا كان ذلك - عدّد عدّة أمور - خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي حتى يستوي على منبر دمشق، فإذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي**[٥].

متى يخرج السفياني

تشير الروايات إلى أنّ خروج السفياني يكون في رجب قبل ظهور القائم بستة أشهر ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السفياني لابُدَّ منه ولا يخرج إلا في رجب فقال له رجل: يا أبا عبد الله إذا خرج فما حالنا؟

قال: إن كان ذلك فإلينا[٦].

وفي حديث عن الصادق عليه السلام: السفياني من المحتوم، وخروجه في رجب ومن

---

(١) الغيبة للنعماني، ص ٢١٢- ٢١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٢- ٢١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٢- ٢١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٢- ٢١٣.

(٥) البحار، ج٥٢، ص ٢٥٣.

(٦) الغيبة للنعماني، ص ٢١٢ - ٢١٣.

أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً[١]. وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام زيادة عما مرّ «**ستة أشهر يقاتل فيها فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً..**

والكور[٢] الخمس هي دمشق والأردن وحمص وحلب وقنسرين، وهذه الكور كانت مراكز أساسية في ذلك الزمن.

ثلاثي الشرّ

ثلاثة أشرار كل واحد منهم يرفع راية ضلال وكل منهم يريد السيطرة والحكم فيحدث الصدام والقتال بين الأصهب والأبقع في الشام، وتدور معارك عنيفة لا يستطيع أحدهما الانتصار على الآخر وحسم المعركة لصالحه. وبينما هما في أتون المعارك يخرج عليهما السفياني من الوادي اليابس فيلتقي أولا بالأبقع فيقتله ومن تبعه ثم يقتل الأصهب وتخلو الساحة، فيسيطرعلى الشام كلّها ويدين له الناس طوعاً وكرهاً ما خلا فئة قليلة من المقيمين على الحقّ يعصمهم الله من اتباعه والخروج معه وفُسّر على أنهم شيعة لبنان الموالين لأهل البيت عليهم السلام الذين هم على الحقّ ولا يوالون جبتاً أو طاغوتاً؛ ولذا رواية البحار تقول: فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق يعصمهم الله من الخروج معه[٣].

ولكن إذا ظهر السفياني فلن يدير ظهره لمن لم يُوالِه ويسير بركابه بل إنه سيطلبهم وسيوجّه إليهم جيشه وأتباعه. وهنا أمر الأئمة أتباعهم أن يخرج الرجال ويختفوا لعدم قدرتهم على مواجهته. تقول الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام «**وكفى بالسفياني نقمة لكم من عدوّكم وهو من العلامات لكم، مع أنّ**

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٢) الكور جمع كورة وهي المدينة والبقعة.

(٣) البحار، ج٥٢، ص ٢٥٢.

الفاسق لو خرج لمكثتم شهراً أو شهرين بعد خروجه لم يكن عليكم منه بأس «لعل هذه المدّة هي مدّة قتاله للأبقع والأبرص». حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم، فقال له بعض أصحابه - بعض أصحاب الباقر - فكيف نصنع بالعيال إذا كان ذلك؟ فقال: يتغيّب الرجال منكم عنه فإنّ خيفته وشرته فإنما هي على شيعتنا، فأمّا النساء فليس عليهنّ بأس إن شاء الله تعالى، قيل إلى أين يخرج الرجال ويهربون منه؟ قال: من أراد أن يخرج منهم إلى المدينة أو إلى مكة أو إلى بعض البلدان ولكن عليكم بمكة فإنها مجمعكم، وإنما فتنته حَمْلُ امرأة تسعة أشهر ولا يجوزها إن شاء الله...[٤]

معركة قرقيسيا

بعد أن يستولي السفياني على الشام وكورها الخمس يتوجّه إلى العراق ولكن في طريقه يصطدم بجيش الترك في مدينة قرقيسيا - وهي بلدة عند مصب نهر الخابور في نهر الفرات، وهي الآن في مدينة دير الزور - عند الحدود السورية التركية - وتقول الأحاديث إنها معركة قاسية تأكل الطير من لحوم القتلى ثم ينسل السفياني إلى العراق ويجزر بشيعة أهل البيت ويخرج من العراق إلى المدينة طالباً غرّة الإمام المهدي فيخرج منها إلى مكة. وفي الحديث عن الإمام الباقر يقول: «**ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة فينفر** «أي يخرج» المهدي منها إلى مكة فيبلغ أمير جيش السفياني أنّ المهدي قد خرج إلى مكة فيبعث جيشاً على أثره فلا يدركه حتى يدخل الإمام المهدي مكة خائفاً يترقّب على سُنّة موسى بن عمران[٥].

---

(٤) البحار، ج٥٢، ص ٢٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٢٢٧.

الخسف بجيش السفياني

يصل السفياني إلى المدينة فيعيث فساداً وقتلاً ونهباً لا يترك حرمة إلا انتهكها ثم يبعث جيشاً كثيفاً وراء المهدي عليه السلام إلى مكّة وفي وسط البيداء بين مكة والمدينة يتمّ أخذ هذا الجيش حيث تنخسف بهم الأرض - تنشق وتبتلعهم ولا يبقى منهم إلا مخبر ففي الرواية عن أبي جعفر: ويخرج المهدي منها - من المدينة على سُنّة موسى خائفاً يترقب حتى يقدم مكة ويُقْبِل الجيش - جيش السفياني - حتى إذا نزلوا البيداء وهو جيش الهلاك خسف بهم فلا يفلت منهم إلا مخبر[1].

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة فيبلغ أمير جيش السفياني أنّ المهدي قد خرج إلى مكة فيبعث جيشاً على أثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على سُنّة موسى بن عمران، وينزل أمير جيش السفياني البيداء فينادي مناد من السماء: يا بيداء أبيدي القوم فيُخسف بهم فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب**[2].

وفي الروايات أنّ الناجي اثنان والصائح بالقوم هو جبرائيل..

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول من جملة حديث طويل - وسيدنا القائم مسند ظهره إلى الكعبة.. ثم يُقبل على القائم رجل وجهه إلى قفاه وقفاه إلى صدره ويقف بين يديه فيقول: يا سيدي أنا بشر أمرني ملك من الملائكة أن ألحق بك وأبشّرك بهلاك جيش السفياني. فيقول له القائم: بيّن قصّتك وقصّة أخيك. فيقول الرجل: كنت وأخي في جيش السفياني، وخرّبنا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركناها جمّاء، وخرّبنا الكوفة وخرّبنا المدينة، وكسرنا المنبر وراثت بغالنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخرجنا منها نريد إخراب البيت وقتل أهله فلما

---

(١) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٢٢٢.

(٢) البحار، ج٥٢، ص٢٣٨.

صرنا في البيداء - الصحراء بين مكة والمدينة - عرّسنا فيها - أي أقمنا فيها - فصاح بنا صائح: يا بيداء أبيدي القوم الظالمين. فانفجرت الأرض وبلعت كل الجيش، فوالله ما بقي على وجه الأرض عقال ناقة فما سواه غيري وغير أخي فإذا نحن بملك قد ضرب وجوهنا فصارت إلى ورائنا كما ترى فقال لأخي: ويلك امض إلى الملعون السفياني بدمشق فأنذره بظهور المهدي من آل محمد وعرّفه أنّ الله قد أهلك جيشه بالبيداء وقال لي: يا بشير إلحق بالمهدي بمكة وبشّره بهلاك الظالمين، وتب على يده فإنه يقبل توبتك. فيمرّ القائم يده فيردّه سويّاً كما كان ويبايعه ويكون معه[1].

والملاحظ هنا في هذه الرواية أن السفياني يتخذ الشام عاصمة له ويوجّه الجيوش منها إلى الحجاز والعراق وهذا أمر غير مستبعد كما يجب أن نعرف أن الخسف بالبيداء المقصود بالروايات الكثيرة التي ذُكر أنها من العلامات على ظهور المهدي، هو هذه العلامة التي هي الخسف بجيش السفياني المتوجّه إلى مكة لمحاربة الإمام المهدي والقضاء عليه. فيأخذ الله ذلك الجيش بالخسف حيث تنفرج الأرض بآية إلهيَّة ومعجزة ربانية، ويسقط ذلك الجيش في تلك الحفرة الضخمة ثم تطبق عليهم الأرض فلا يبقى لهم أثر إلا من يخبر خبرهم وينقل ما جرى لهم. وهذه الآية سيصل نبؤها إلى السفياني وسيقف إلى أنها آية ومعجزة يتنبه منها إلى سوء فعله ومنهاجه وصحة ما عليه القائم المنتظر. وهذا ما ستنقله الأخبار من أنه عند رؤيته لهذه الآية يتوب ويعود لمبايعة المهديّ، ولكن أتباعه يعدلون به إلى نكث البيعة وإعلان الحرب على الإمام مما سوف نطلع عليه فيما بعد...

---

(١) إلزام الناصب، ج٢، ص ٢٥٩.

بداية سقوط السفياني:

شكلت آية الخسف بجيش السفياني الذي أرسله لقتال المهدي بداية سقوط هذا الطاغية حيث أدرك صنع الله في جيشه فانهزم من الداخل وأيقن أن الله مع المهدي يدافع عنه في الأوقات الصعبة ويتدخّل لصالحه إن اقتضت الأمور ذلك. ومن هذه الحادثة يقوم المهدي بجيش يتوجه به إلى المدينة حيث يطهّرها من بقايا السفياني. وهنا تختلف الروايات فمن يذكر أنّ السفياني في المدينة يقول إنه انهزم وتوجّه إلى العراق ومنها إلى الشام، وهناك من يذكر أن السفياني كان في الشام - عاصمة ملكه التي انطلق منها وهو مقيم فيها ويوجّه الجيوش منها، إلى الحجاز والعراق - وعلى كل حال يصاب جيش السفياني بهزيمة ساحقة حينما يتوجّه المهدي بجيشه إلى المدينة فيطهّرها من مخلّفات السفياني وبقايا جيشه.

ويخرج المهدي بعد ذلك إلى العراق ويدخل الكوفة حتى يفتحها وينتصر على جيوش السفياني يساعده في ذلك اليماني والخرساني، ثم يكمل مسيرته حتى مرج عذراء في الشام، وهنا تختلف الروايات فبعضها يذكر أنّ المهدي يلتقي بالسفياني - في العراق - وبعضها يذكر أنه التقى به في الشام وجرى حوار بينهما اقتنع السفياني في نهايته بأحقية الإمام المهدي وصحة مسيرته، فيقوم بمبايعته ثم ينصرف إلى أصحابه فيقولون له ما صنعت؟

فيقول أسلمت.

فيقولون: قبّح الله رأيك بينما أنت خليفة متبوع صرت تابعاً؟!

فيرتدّ عن بيعته وينكث عهده ويعود لمقاتلة الإمام المهدي.

إنّ بيعة السفياني للإمام المهدي قد تكون لما رآه من الخسف بجيشه الذي أرسله إلى مكة لإلقاء القبض على المهدي وعرف أن هذه آية ربانية لا يمكن الوقوف بوجه من يقصده ويريد قتاله، فآمن ثم انحرف به قومه بما قالوه له. وقد

تكون مهادنة من السفياني، ولذا ارتدّ وأظهر نكث بيعته بمجرد أن واجهه قومه بما واجهوه به.

نهاية السفياني

تتفق الروايات على أنّ السفياني يخسر المعركة مع الإمام المهدي ويقتله المهدي إمّا بيده أو بيد أنصاره ولكن يقع الاختلاف أين تكون آخر المعارك وأين يُقتل هذا السفياني اللعين؟ فهناك من الروايات ما يقول إنه يقتل في دمشق، ففي الرواية عن الصادق عليه السلام بعد أسئلة وأجوبة للمفضل بن عَمْرو يقول المفضل: يا سيدي ثم ماذا يعمل المهدي؟

قال: يثور سرارياه إلى السفياني إلى دمشق فيأخذونه ويذبحونه على الصخرة[١].

وفي روايات أخرى أنه يُقتل في وادي الرملة من أرض فلسطين حيث تكون آخر معاركه مع المهدي، ففي الرواية عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال لجابر: إلزم الأرض حتى ترى علامات... ويظهر السفياني ومن معه حتى لا يكون له همّة إلا آل محمد وشيعتهم... ويقبل الجيش حتى إذا نزلوا البيداء خُسف بهم فلا يلتفت منهم إلا مخبر فيقوم القائم بين الركن والمقام فيصلي وينصرف ومعه وزيره... ثم يسير حتى يأتي العذراء - مرج عذراء القريب من الشام. والسفياني يومئذ بوادي الرملة، حتى إذا التقوا وهو...، يوم الابدال يخرج أناس مع السفياني إلى آل محمد ويخرج أناس كانوا مع آل محمد إلى السفياني.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ويقتل يومئذ السفياني ومن معه حتى لا يدرك منهم مخبر.. ثم يقبل القائم إلى الكوفة فيكون منزله بها[٢].

---

(١) البحار، ج ٥٢.

(٢) البحار، ج ٥٢.

الصيحة - المعجزة

لا شكّ أنّ الإمام المهدي عليه السلام قضيّة كبرى ومهمّته من أعظم المهمّات، إذ على يديه سيتمّ أعظم إنجاز إلهي لم يبلغه قبله - ولا بعده - أحد على الإطلاق فهو الذي يحقّق حلم الأنبياء في نشر العدل وإرساء دعائمه وتأسيس أعظم حكومة عادلة يرتع فيها الغنم إلى جانب الذئب ولا تعتدي في حكومته قرناء على جمّاء، ولذا كان لابُدَّ من معجزات تكشف أنه المهدي الموعود المدّخر لمثل هذا الأمر العظيم وهذه المعجزات على حدّ ما يقدّمه الأنبياء لإثبات رسالاتهم ولكن الفارق هنا - في الصيحة - أنّ من يتولّى إظهار هذه المعجزة هو جبرائيل نفسه ولذا كانت صيحته المدوّية التي تملأ الدنيا ويصل مداها ومضمونها إلى كل أذن هي إحدى المعجزات. ومن هنا يجب أن نتعرّف على هذه الصيحة وخصوصياتها وما ورد فيها....

الصيحة من العلامات الحتمية لظهور المهدي عليه السلام

صحيح أنّ الأئمة مُنعوا من وضع توقيت محدّد بالسنين لخروج المهدي وظهوره ولكنهم في الوقت نفسه كشفوا عن مقدّمات وعلامات متى تحقّقت كان خروجه حتميّاً ومن تلك العلامات - الصيحة - أو النداء - أو الفزعة - وهي ألفاظ متعدّدة لمعنى واحد فمتى وقعت الصيحة كان الظهور للمهدي عليه السلام وفي هذه الصيحة وردت أحاديث منها:

عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث يقول: «**إن قدام هذا الأمر - ظهور المهديّ - خمس علامات أولهنّ: النداء في شهر رمضان وخروج السفياني.. و..**».

وفي رواية آخرى عن الصادق عليه السلام: «**قبل قيام القائم عليه السلام خمس علامات محتومات، اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء. وفي رواية ثالثة عن الصادق عليه السلام قال: «النداء من المحتوم، والسفياني من المحتوم....**

جبرائيل يبث نبأ الظهور

من عجائب قضيّة المهديّ عليه السلام أنّ الأئمة كشفوا تفاصيل ظهوره بدقّة وكأنهم يضعون بين أيدي الناس وصفاً لواقع يجري أمامهم ويرون أحداث الظهور وما يكون فيه...

يعلن جبرائيل وبصوته نبأ خروج المهديّ، وهذه أعظم المعجزات حيث يتولّى نشر الخبر ملاك طاهر وصلت أخباره عبر الأنبياء إلى كل أصحاب الرسالات فهو الذي تولّى السفارة بين الله وبين الأنبياء والرسل وكان الوساطة الأمينة التي نقلت كلام الله إلى هؤلاء الرسل...

في شهر رمضان وفي ليلة القدر - ليلة ثلاث وعشرين - وتكون تلك الليلة ليلة جمعة يتولّى جبرائيل إذاعة خبر ظهور المهديّ.

عن أبي جعفر عليه السلام «**الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان في ليلة جمعة- ليلة ثلاث وعشرين وقيل للصادق عليه السلام وكيف يكون النداء؟ فقال: ينادي مناد من السماء باسم القائم فيسمع ما بين المشرق إلى المغرب فلا يبقى راقد إلا قام ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه من ذلك الصوت، وهو صوت جبرائيل الروح الأمين. وفي حديث آخر: وفزعة في شهر رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان وتخرج الفتاة من خدرها...**

النداء يسمعه كل قوم بلسانهم

وعن الصادق عليه السلام قال: ينادي مناد باسم القائم عليه السلام يقول الراوي – زرارة – قلت: خاص أو عام؟

قال: عام يسمعه كل قوم بلسانهم...

وهذا الصوت الذي يرفعه جبرائيل يعلن فيه خروج المهديّ يصل مداه – كما رأينا – إلى شرق الأرض وغربها ولا يبقى شبر من هذه الأرض إلا ويصل إليها النداء ويصل إلى كل قوم بلسانهم حتى تقوم الحجّة ولا يبقى عذر لمعتذر....

لعلّ صوت جبرائيل يكون بنفسه – وفي نفس اللحظة – يُبث بكل اللغات – ولعلّ الترجمة فورية بدون تأخير وإن كان الأول أرجح، فتتحوّل كلمة جبرائيل نفسها إلى كل لغة ولسان، يفهم الناس مراده وبلغتهم، وهذا أبلغ في الاعتبار وأقوى في الإعجاز. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة جمعة، يقول الراوي وقلت: بِمَ ينادى؟ قال: باسمه واسم أبيه: ألا إن فلان بن فلان قائم آل محمد، فاسمعوا له وأطيعوا فلا يبقى شيء من خلق الله فيه الروح إلا يسمع الصيحة فتوقظ النائم ويخرج إلى صحن داره وتخرج العذراء من خدرها ويخرج القائم مما يسمع وهي صيحة جبرائيل** عليه السلام.

نداء مضاد

قلنا إنّ نداء جبرائيل يأتي من السماء باسم القائم واسم أبيه صباحاً ولكن إبليس لا يدع الأمر يمرّ بدون تشويش أو تشكيك، ولذا يطلق نداءه مساءً.

يقول أبو جعفر الباقر عليه السلام: ينادي مناد من السماء أول النهار: ألا إن الحقَّ في عليّ وشيعته. ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار: ألا إنّ الحق في السفياني

وشيعته. فيرتاب عند ذلك المبطلون.

وفي حديث آخر عن الباقر عليه السلام: وفي آخر النهار صوت إبليس اللعين ينادي: ألا إن فلاناً قتل مظلوماً ليشكك الناس ويفتنهم فكم ذلك اليوم من شاك متحيّر قد هوى في النار، وإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشكّوا أنه صوت جبرائيل وعلامة ذلك: أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرّض أباها وأخاها على الخروج... ولا شكّ أنّ إبليس له سيطرة قويّة على أتباعه ومن يسير بركابه ومن يعيش الشك والريب وقد يؤثر على فئة لا بأس بها ممّن في قلوبهم مرض، ولكنه بندائه يزيد المؤمنين بالقائم إيماناً، إذ يملكون من رصيدهم الإيماني رؤية واضحة إلى عقيدتهم وإيمانهم فلا يخامرهم شك أو يُسيء إلى عقيدتهم هراء لأنه المهدي عجل الله فرجه عقيدة ايمانية آمن بها العقل والقلب فجاءت أوضح من الشمس؛ ولذا يقول الباقر عليه السلام لشيعته: فإنّ أمركم ليس به خفاء، إلا أنها آية من الله عزَّ وجلَّ، ليست من الناس ألا إنها أضوأ من الشمس لا تخفى على بَرٍّ ولا فاجرٍ، أتعرفون الصبح؟ فإنها كالصبح ليس به خفاء.

وعندما يُسأل الإمام الصادق عليه السلام إنّ هناك صيحتين: صيحة من جبرائيل وأخرى من إبليس وإنه قد يلتبس الأمر على الناس ولا يعرفون الحقّ ليؤمنوا به، وكيف نعرف هذه من هذه؟

يقول الإمام عليه السلام: يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون.

أقول: طبعاً قد سمع بها المؤمنون وهم في دار الدنيا قبل وقوعها حيث أبلغهم بها الأئمة فآمنوا بها فهؤلاء لا يشتبه عليهم الأمر ولا يعيشون الحيرة والشك، وهذا المعنى هو ما رواه زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول زرارة سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ينادي مناد من السماء: إنّ فلاناً هو الأمير وينادي مناد: إنّ علياً وشيعته هم الفائزون.

يقول زرارة: قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا؟

فقال: إنّ الشيطان ينادي: إنّ فلاناً وشيعته هم الفائزون - لرجل من بني أمية.

قلت: فمن يعرف الصادق من الكاذب؟

قال: يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا ويقولون: إنه يكون قبل أن يكون ويعلمون أنهم هم المحقّون الصادقون.

هذه الصيحة تكون في شهر رمضان وبعدها في عاشوراء يكون قيام المهديّ وظهوره للملأ حيث يدعو الناس لنفسه فيهبّ إليه قادة الوثنية ويجتمعون لقتاله من كل حدب وصوب، ولسوف تأتي التفاصيل فيما بعد بإذن الله....

راية المهدي لا تشكيك فيها ولا تردد

ولأنّ أمر القائم ظاهر لا يحتاج إلى دليل إذ دليله معه، كان حديث الإمام الصادق الذي نقله المفضل بن عَمْرو قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام في مجلسه ومعه غيري فقال لنا: إياكم والتنويه «**يعني باسم القائم**» وكنت أراه يريد غيري فقال لي: يا أبا عبد الله إياكم والتنويه والله ليغيبنّ سبتاً من الدهر وليخملنّ حتى يقال: مات أو هلك بأي واد سلك؟ ولتفيضنّ عليه أعين المؤمنين وليكفأنّ كتكفؤ السفينة في أمواج البحر حتى لا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه وكتب الإيمان في قلبه وأيّده بروح منه، ولتُرفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أيٌّ من أيّ.

قال المفضل: فبكيت.

فقال لي: ما يبكيك؟

قلت: جعلت فداك، كيف لا أبكي وأنت تقول: ترفع اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أيٌّ من أيّ؟

قال: فنظر إلى كوّة في البيت التي تطلع فيها الشمس في مجلسه فقال: أهذه الشمس مضيئة؟ قلت: نعم.

فقال: والله لأمرنا أضوأ منها....

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام يقول لأصحابه: ... فإنّ أمركم ليس به خفاء إلا أنها آية من الله عزّ وجلّ ليست من الناس، ألا إنها أضوأ من الشمس لا تخفى على برّ ولا فاجر، أتعرفون الصبح؟ فإنها كالصبح ليس به خفاء[1].

وبهذا النداء الإلهي يفترق الناس فأصحاب الحقّ يجتمعون في كتلة بشريّة، وأهل الباطل يجتمعون في كتلة لها مميزاتها وسماتها ولهجتها وطريقتها وأهدافها، وبالتالي قيادتها وولاة أمرها. إنّ هذا النداء به يفترق الناس ويتمايزون ولا يعود من لقاء لأهل الحقّ بأهل الباطل وذلك من أجل أن يأخذ كل فريق دوره، ولكي تكون المواجهة واضحة لا غبار عليها. فحزب الله واضح وحزب الشيطان واضح، والحجّة قد أُقيمت على الجميع وانقطعت بها أعذار الناس؛ ولذا في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تمضي الأيام والليالي حتى ينادي مناد من السماء: يا أهل الحقّ اعتزلوا، يا أهل الباطل اعتزلوا فيعزل هؤلاء من هؤلاء ويعزل هؤلاء من هؤلاء.

يقول الراوي - قلت للإمام الصادق عليه السلام - أصلحك الله يخالط هؤلاء وهؤلاء بعد ذلك النداء؟[2]

قال: كلا، إنه يقول في الكتاب ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[3].

---

(١) الغيبة للنعماني، ص ٢٠٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٢٢٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

النفس الزكية

وردت الأخبار الكثيرة بهذه الآية - قتل النفس الزكية - واستفاضت الروايات بها حتى أضحت من المسلّمات.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خمس قبل قيام القائم عليه السلام: اليماني والسفياني والمنادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكيّة..

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قبل قيام القائم عليه السلام خمس علامات محتومات، اليماني، الصيحة، وقتل النفس الزكيّة..**».

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: النداء من المحتوم...وقتل النفس الزكيّة من المحتوم...

من هي النفس الزكية

النفس الزكية - شخصّية حقيقيّة - سمّتها الأحاديث بالاسم - محمد بن الحسن الهاشمي - غلام من آل محمد يُقتل بلا جرم ولا ذنب - وهو عبد صالح يتمتّع بوعي عال وثقافة متقدّمة وإيمان عميق وجهاد في أرفع درجاته وأرقاها ولهذه الصفات سُمّي - النفس الزكية...

النفس الزكية سفير المهديّ لأهل مكة

النفس الزكيّة - كما قلنا - هو محمد بن الحسن الحسني - ينتدبه الإمام المهدي عجل الله فرجه إلى أهل مكة ففي الحديث الوارد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام يقول - كما في البحار - يقول القائم لأصحابه: يا قوم إنّ أهل مكّة لا يريدونني ولكني

مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم «**فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: امض إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم وهو يقول: إنَا أهل بيت الرحمة ومعدن الرسالة والخلافة ونحن ذريَة محمد وسلالة النبيَين وإنَا قد ظُلمنا وقُهرنا وابتُزَّ منَا حقَنا منذ قُبض نبيَنا إلى يومنا هذا. فنحن نستنصركم فانصرونا. فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهو النفس الزكية.**

فالإمام يُطلع بعض أصحابه - ومنهم الحسني - النفس الزكية - ثم يأمره بالخروج فيبادر بأمر من الإمام إلى مكّة وقد يكون له موقع مهمّ في المجتمع ويكون دخوله مكّة في موسم الحج لأنّ خطابه وقتله يكونان بعد انتهاء أعمال الحج بعشرة أيام - تقريباً - وفي بعض الروايات أنهم يقطعون رأسه ويرسلون به إلى السفياني في الشام ليكون لهم يد عنده.

ذبح الحسني أقرب العلامات

تغضب السماء لقتل النفس الزكيّة؛ لأنها نفس طاهرة اعتُدي عليها ظلماً وبدون جرم، إلا لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتبيّن طريق السعادة والرشاد بالإشارة إلى المهدي كوسيلة خلاص لهذا العالم من الظلم والجور، وخصوصاً أن قتل هذه النفس كان في أشرف بقعة - بين الركن والمقام - وهذا يشكّل انتهاكاً لحرمة البيت واعتداءً في الحرم الآمن، وقد وردت الرواية المعتبرة عن الصادق عليه السلام يقول: ليس بين قيام قائم ال محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة[1].

---

(١) البحار، ج٥٢، ص٢٠٢.

فالإمام المهدي بعد قتل النفس الزكّية يعلن ظهوره ويكشف أمره، ويكون ذلك يوم عاشوراء من تلك السنة، أي بعد قتل الرجل بخمس عشرة ليلة، ويصل نبأ الخروج إلى مسامع الدنيا وإلى كل بيت وكل فرد حتى يصل الخبر إلى ربات الخدور في بيوتهنّ فيخرجن فرحاً بذلك وابتهاجاً به...

إنّ ذبح الحسني علامة قريبة تدّل على ظهور المهدي عليه السلام وبهذا التوقيت بين قتله وخروج المهدي - خمس عشرة ليلة - تُسدُّ الأبواب أمام كل تفسير آخر للنفس الزكيّة كما فسّرها بعضهم بما جرى لما يُسمّى بالنفس الزكية في عهد المنصور العباسي مع محمد بن عبد الله بن الحسن - الذي لقّبه أبوه وجماعته - بالنفس الزكية - كما يرفض كل تفسير آخر لأننا على يقين من أنّ هذه النفس وما يجري لها لا يفصلها عن الظهور إلا أيام وأين هذا ممن مضى عليهم وعلى قتلهم مئات السنين؟!

اليماني

من الشخصيات التي لها ذكر رائع وصيت منتشر، وكلما ذُكِرَ ظهور الحجّة قيل: إنّ من علامات الظهور خروج اليماني، هذه الشخصيّة استأثرت بروايات كثيرة ومنها الصحيح، وفي أهمّ الكتب ولأهم علماء المذهب، وهي إحدى علامات الظهور الحتمية التي متى برزت على الساحة دلّت على ظهور المهدي عليه السلام بعدها...

اليماني - واسمه حسن أو حسين قيل إنه من ذرية زيد بن علي بن الحسين. هذه الشخصّية يمنيّة من بلدة «**كرعة**» قرب صنعاء، ففي كتاب بشارة الإسلام: ثم يخرج ملك من صنعاء اسمه حسن أو حسين فيذهب بخروجه عمر الفتن، يظهر مباركاً زكيّاً فيكشف بنوره الظلماء ويظهر به الحقّ بعد الخفاء. وهذا الحديث يكشف أنّ اليماني سيملك اليمن ويتولّى شؤون أهلها ويكون على جانب عظيم من الإيمان والولاء بحيث يظهر الحقّ ويعلنه ويكشف ظلمات الجهل والعمى...

اليماني علامة حتمية على الظهور

في الحديث عن أبي عبد الله - الصادق- عليه السلام قال: للقائم خمس علامات: ظهور السفياني واليماني، والصيحة من السماء وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء...[1]

وفي حديث آخر عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: النداء من المحتوم، والسفياني من المحتوم، واليماني من المحتوم...[2]

---

(١) الغيبة للنعماني، ص٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٦١ - ٢٦٢.

اليماني علامة متسالم عليها عند كل من تناول ظهور المهدي عليه السلام وخروجه وأنه شخصيّة متى ظهرت وأعلنت عن وجودها وقادت اليمن وتولّت شؤونه، كان ذلك إيذاناً بخروج الصاحب عليه السلام. ولشدّة الاهتمام بهذه الآية تذكر الرواية أنّ خروجه متقارب مع خروج السفياني والخرساني، وفيها اهتمام بهذا الحدث ومناصرته والوقوف إلى جانبه وحرمة الانحراف عنه. يقول الصادق عليه السلام: خروج السفياني واليماني والخرساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناوأهم وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني، هي راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه فإن رايته راية هدى، ولا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار لأنه يدعو إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم...[1]

فهذا الحديث يكشف أموراً مهمّة، ومن أهمّ تلك الأمور:

١- الوقت الموحّد لخروج اليماني مع السفياني والخرساني وأنه متى ظهر واحد تبعه الآخر.

٢- راية اليماني راية مميّزة بالهدى لأنّ صاحبها يدعو للإمام المهدي عليه السلام فهو يعرفه ويعرف حركته ويعرف دوره في الساحة فلذا يدعو له.

٣- إذا ظهر اليماني يحرم بيع السلاح للأعداء لأنهم قد يستعملونه ضدّ حركة المهدي عليه السلام وفي وجهه.

٤- دعوة إلى الالتحاق باليماني بمجرد أن يصل نبأ خروجه إلى الناس لأنه يدعو إلى الهدى ولا يجوز لمسلم ان ينحرف عنه أو لا يلتحق به لأنه إذا فعل ذلك كان ممّن يستحق النار...

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٤.

الدجّال

«**الدجّال**» من علامات ظهور المهدي عليه السلام فهو علامة تدلّل على قرب الظهور المبارك، وقد ورد ذكره في الحديث والروايات عند المسلمين، سنة وشيعة، وإن كان عند السنة أخذ مأخذاً كبيراً حيث الأحاديث التي تعدّ بالعشرات وتبلغ حدّ التواتر وقد أُحصيت هذه الأحاديث وسوّدت بها الصحائف التي تكشف عن دور الدجال ومخاطره والتحذير منه، كما تصفه وتبين شكله وصورته. وأمّا عند الشيعة فهناك روايات قليلة تذكره باستحياء، وبالجملة فهو موجود عند الفريقين الشيعة والسنة.

ورد ذكر الدجال في كتاب «**كمال الدين**» للشيخ الصدوق، وفيه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول وهو في مقام تعداد أنوار أهل البيت «**آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبة فيقتل الدجال ويطهّر الأرض من كل جور وظلم.**

وورد عن الإمام علي بن الحسين قوله «**والمهدي الذي يقتل الدجال**» وفي المستدرك عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**من قرأ القارعة آمنه الله من فتنة الدجال**».

وفي البخاري عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق.

وفي صحيح الترمذي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إنه لم يكن نبي بعد نوح إلا أنذر قومه الدجال وانا انذركموه...**

وورد عن أمير المؤمنين علامات لخروج الدجال. أذكر الحديث لطرافته وحسن ما فيه وهو ممتع لمن يقرأه، والحديث كما في البحار[1]:

---

(١) البحار، ج٥٢، ص١٩٢/وكمال الدين للصدوق.

عن النـزّال بن سبرة قال: خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني - ثلاثاً - فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال: يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجال؟

فقال له علي عليه السلام: أقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت، والله ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضاً كحذو النعل بالنعل، وإن شئت انبأتك بها؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: : احفظ فإنّ علامة ذلك، إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتبعوا الأهواء، واستخفُّوا بالدماء.

وكان الحِلمُ ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة والعرفاء خونة، والقرّاء فسقة وظهرت شهادات الزور واستعلن الفجور وقول البهتان والإثم والطغيان....

وحُلّيتْ المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنائر، وأُكرم الأشرار وازدحمت الصفوف، واختلفت الأهواء، ونقضت العهود، واقترب الموعود وشارك النساء أزواجهنّ في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت أصوات الفساق واستُمع منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، واتقي الفاجر مخافة شرّه وصُدّق الكاذب، واؤتمن الخائن، واتخذت القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها وركب ذوات الفروج السروج...

وتشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وشهد شاهد من غير أن يستشهد، ويشهد الآخر قضاء لذمام بغير حقّ عرفه، وتفقّه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف،

وأمرّ من الصبر فعند ذلك الوحا الوحا، العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدس ليأتين على الناس زمان يتمنّى أحدهم أنه من سكانه.

فقام إليه الاصبغ بن نباته فقال: يا أمير المؤمنين مَنْ الدجال؟ فقال: ألا إن الدجال صائد بن الصيد فالشقي من صدقه والسعيد من كذبه، يخرج من بلدة يقال لها أصفهان من قرية تعرف باليهودية، عينه اليمين ممسوحة والأخرى في جبهته تُضيء كأنها كوكب الصبح، فيها علقة كأنها ممزوجة بالدم بين عينيه مكتوب «**كافر**» يقرأه كل كاتب وأمي..

يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يرى الناس أنه طعام، يخرج في قحط شديد تحته حمار أقمر خطو حماره ميل، تُطوى له الأرض منهلاً منهلاً ولا يمرّ بماء إلا غار إلى يوم القيامة. ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجنّ والإنس والشياطين يقول: إليّ أوليائي أنا الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى، أنا ربكم الأعلى، وكذب عدو الله إنه الأعور يطعم الطعام ويمشي في الأسواق، وإن ربكم عزَّ وجلَّ ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشي ولا يزول، ألا وإن أكثر أشياعه يومئذ أولاد الزنا وأصحاب الطيالسة الخضر يقتله الله عزَّ وجلَّ بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات من يوم الجمعة على يدي من يصلي المسيح عيسى بن مريم خلفه.

ألا إنّ بعد ذلك الطامة الكبرى، قلنا: وما ذلك يا أمير المؤمنين قال: خروج دابة من الأرض، من عند الصفا، معها خاتم سليمان وعصى موسى تضع الخاتم على وجه كل مؤمن فيطبع فيه «**هذا مؤمن حقاً**» حتى إن المؤمن لينادي: الويل لك يا كافر وإنّ الكافر ينادي طوبى لك يا مؤمن وددت أني اليوم مثلك فأفوز فوزاً ثم ترفع الدابة رأسها فيراها مَنْ بين الخافقين بإذن الله عزَّ وجلَّ بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك ترفع التوبة فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

ثم قال عليه السلام: لا تسألوني عمّا يكون بعد ذلك فإنه عهد إليّ حبيبي صلى الله عليه وآله أن لا أخبر به غير عترتي.

فقال النزّال بن سبرة لصعصعة: ما عنى أمير المؤمنين بهذا القول؟

فقال صعصعة: يا بن سبرة إنّ الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن علي وهو الشمس الطالعة من مغربها يظهر عند الركن والمقام يطهِّر الأرض ويضع ميزان العدل فلا يظلم أحد أحداً فأخبر أمير المؤمنين عليه السلام أن حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليه ألا يخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

الدجال بين الشخص والرمز

بداية ينبغي أن نقف على معنى«الدجال» بحسب اشتقاقه اللغوي، وماذا يعني في لغتنا.

«**الدجال**» من الدجل ومعناه الكذب والخداع والتمويه على الآخرين وتلبيس الأمور وخلطها.

ذهب أكثر المحقّين إلى أن الدجال هو حالة من حالات الاستكبار العالمي الكافر الذي يناصب الإسلام العداء ويشنّ عليه الغارات فيقتل الأفراد والجماعات ويحاول تفتيت المجتمعات فالدجال تعبير عن الحضارة المادية التي قطعت علاقتها بالله وتبنّت فكراً إلحادياً أو مادياً تعتمد فيه على نفسها وتتخلّى عن الله، وهذه الحالة ستستمرّ إلى أن يظهر المهدي عجل الله فرجه حيث يقضي على تلك الحالة الظالمة بكل معطياتها وآثارها وتوابعها ليقيم العدل والقسط في الأرض.

وأصحاب هذا الرأي أوّلوا كل ما ورد من صفات للدجال كل صفة وما يناسبها، فمثلاً أوّلوا عور العين مجازاً بأنه الذي يتعامى عن الحق فالحضارة المادّية لا

تبصر حقائق الدين ومحاسنه وما فيه من سعادة.

فهي تنظر بعين واحدة إلى المكاسب المادية فحسب وتحتال وتخادع من أجل الحصول عليها والمحافظة على المكتسبات لديها، وبهذه المكتسبات استطاعت تطوير الحركة فطويت الأرض واقتربت المسافة البعيدة من بعضها واختُصر الزمن، وبهذا أنكر أهلها الألوهية وأحلّوا العلم والمكتسبات محلّه. وهكذا يمكن تأويل سائر ما ورد من صفات وحمل ما يمكن حمله على الكناية والمجاز وهذا باب واسع في لغة العرب وقد استعمل في القرآن والسُنّة كثيراً، بل مراتب البلاغة والفصاحة لا تعرف إلا من هذه الصناعة.

وهناك رأي آخر اعتمد النصّ بحرفيته وتجمّد في حدود الدجال كشخص معيّن أعطوه كل الأوصاف التي تقدّمت من طول العمر إلى الأعمال الخارقة للعادة صاحب عين واحدة تُضيء أمامه وله قدرة فائقة، وهكذا دواليك، وهذا الرأي لعله المعتمد عند غيرنا...

وعلى الاحتمالين المتقدمين فإنّ المهدي عليه السلام - يعاونه السيد المسيح - هو الذي يحارب هذه الحالة الاستعمارية الكافرة ويقضي عليها أو يقضي على الدجال كشخص له هذه الصفات.

إنّ الدجال - حالة أو شخصاً - يمثّل منتهى الانحراف والكفر والضلال والاستغلال يحارب المهديّ الذي يمثّل منتهى الإيمان والحق والعدل والاستقامة، وستكون النتيجة لصالح المهدي الذي يقتل الدجال وينهي وجوده لتستقر الحياة إيمانية طيّبة تحمل الخير والسعادة...

نعم إذا لم نقبل أن الدجال حالة حضارية مادية كافرة تحارب الإسلام وتسعى للقضاء عليه فيحاربها الإسلام، أقول إذا لم نرتضِ ذلك وتجمّدنا على أن الدجال شخص فلا مناص من حمل الشخص على شخصيّة عالمية تتولّى إدارة الشرّ فإنّ دولة كبرى يتولّى قيادتها مجرم بيده أزرار الفناء وتحت أمره ونهيه كل وسائل

الدمار من الذرة إلى الصواريخ العابرة للقارات إلى وسائل التجسس والإعلام، ويكون تحت سلطانه كل ما يمكن أن يقع تحت أيدي البشر مما ذكرته الروايات من خصوصيات واختصاصات اختص بها هذا المجرم الكبير ينطبق عليه أنه «**الدجال**» الذي يحارب المهدي عليه السلام والمسيح فينتصر عليه المهدي ويهزمه ويدمّر الشرّ الذي يريد إنزاله بالبشرية...

يبقى أن نذكر نقطة مهمّة وردت في الروايات حيث ورد في بعضها أنّ الذي يقتل الدجال هو المهدي، وفي بعضها الآخر أنّ الذي يقتله هو المسيح عليه السلام ويمكن الجمع بين الأمرين بأن ينسب الفعل إلى المهدي عليه السلام لأنه القائد العامّ وإمام الزمان وبيده الأمر والنهي فنُسب القتل إليه من هذا الباب. وأمّا نسبة القتل إلى المسيح فيمكن أن يكون لأنه المباشر لذلك والمتولّي له بأمر من الإمام المهدي عليه السلام إذ المسيح نصير للمهدي عليه السلام أنزله الله لنصرته ومعاضدته والقتال معه...

المشرقيُّون الممهّدون

وردت روايات معدودة - ومن الطرفين، السنة والشيعة - أنه يقوم عند قيام القائم أناس في المشرق يوطئون للمهدي عليه السلام سلطانه، ووردت بعض الروايات وفيها مدح لبعض المدن المشرقية ومن بينها قُمّ وطالقان وساجستان وغيرها كما وردت روايات في المدح والثناء على رجالات عظام من هذه البلدان ووصفتهم بأوصاف رائعة في الكمال والجهاد وبذل الروح والمال وأنّ قلوبهم كزُبُر الحديد صلابة وإيماناً لا يتزحزحون عن مواقفهم ولا يخرجون عن إيمانهم، وبهذا المقدار من المعاني كفاية لأثبات جدارتهم لتحملّ مسؤولية التمهيد للإمام المهدي عجل الله فرجه ولكن بعض المؤلفين الذين تناولوا هذا الموضوع توسعوا به جداً ونسجوا من اجتهاداتهم الشخصية وآرائهم الخاصة مواضيع تجاوزت حدود الروايات ومعانيها وما تحمل من دلالات حتى انسابت أقلامهم إلى كتابة كتب في هذه الروايات التي لم تتجاوز الثماني عشرة رواية فيها المكرّر والمعاد، وقد تكون بضع روايات تقطعت بفعل الرواة فأضحت بهذا العدد - الثماني عشرة - والأنكى من ذلك أنّ بعضهم أخذ بتطبيق الروايات على أحداث وأشخاص - ووضع ذلك في خانة الإمكان - ليخرج من الحرج فيما لو لم يصدق حدسه فيها، ونحن وإن كنّا نقدّر نبل إخلاصه ونواياه الطيّبة، ولكن هذا لا يعذره أمام بعض الضعفاء من المنتظرين للإمام وظهوره المبارك إضافة إلى خطأ هذا الاجتهاد في حدّ نفسه ولو اقتصر أصحابنا الذين كتبوا في هذه الجهة على نقل الروايات وتفسير بعض معانيها وبيان مدلولها بشكل إجمالي لكان أبرأ للذمة من جهة ولا يشكّل هذا الإجتهاد - من جهة أخرى - أي خطر على معتقدات بعض الناس أو الإساءة إلى إيمانهم، وبهذه القضيّة الحسّاسة

التي لا يمكن الاجتهاد فيها مع الجهل بحيثيّاتها لأنها من عالم الغيب- المستقبل - التي لا تُعلم تفاصيلها إلا بأخبار المعصوم الذي أطلعه الله عليها، فوضعها لنا وبين أيدينا بحدودها وقيودها وحيثياتها لا يجوز الإضافة إليها ولا النقصان منها، لأنّ ذلك يشوّهها من جهة ويدخل من فعل ذلك في جملة الكَذَبة من جهة أخرى، وكلا الأمرين، قطعاً، لا يرتضيهما من فعل ذلك لأنّ قصده شريف بدون شك...

وأنا سأنقل بعض الروايات وأتناولها بإيجاز وأترك للقارئ حرية الاجتهاد على شرط أن يبقى اجتهاده لنفسه وفي حدود وعيه وفهمه للروايات ولا يجعل فهمه حجّة على غيره لأنّ ذلك ليس من دأب المحصّلين كما يقول العلماء.

لعّل أوضح الروايات وأصرحها وهي في مجاميع أحاديثنا وقد نقلها الأصحاب بل هي في أقدم كتب الشيعة حيث نقلها النعماني في كتابه «**الغيبة**» وهو المتوفى في حدود سنة ٣٦٠ للهجرة فهو أقرب الأصحاب إلى زمن غيبة الإمام المهدي ينقلها بسنده عن أبي عبد الله أنه قال:

«كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقَ فلا يُعطَوْنه ثم يطلبونه فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيُعطَوْن ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء أما إنّي لو ادركت ذلك لاستبقت نفسي لصاحب هذا الأمر».

ينقل الإمام الصادق عليه السلام صورة في غاية الروعة والجمال عن قوم يظهرون في المشرق، والمشرق بالنسبة إلى المدينة هي بلاد فارس وما جاورها من البلاد الإسلامية الأخرى مثل أذربيجان وتركمانستان وغير تلك البلاد، وهي تحكي قصة قوم - شعب - يطلبون حقّهم - وحقّهم يتمثّل في الحرية الدينية وإقامة الدولة العادلة التي تؤسّس على منهاج الشريعة فتكون منهم المحاولة الأولى ثم الثانية. ولعل كلتا المحاولتين كانتا سلميَّتين وبالوسائل التقليدية. ولمّا لم يُعْطَوْا ما طلبوا وأرادوا عمدوا إلى أسلحتهم فحملوها في وجوه الحكام الطغاة. فعندما أدرك

الحكّام الخطر أذعنوا للثوار وأعطوهم ما سألوهم. ولكن الثوار الذين خرجوا مطالبين بحقوقهم أدركوا كذب الحكّام وحيلهم فرفضوا العرض وأكملوا مشوار الثورة حتى انتصروا وحققوا أحلامهم وأهداف ثورتهم. ثم بيّن الإمام الصادق عليه السلام أنّ هؤلاء القوم ستستمرّ دولتهم إلى أن يخرج القائم المهدي فيدفعون رايتهم بشعارها ومضامينها، رمز الدولة وعنوانها اي يدفعون دولتهم - إلى الإمام المهدي عجل الله فرجه - فهذه الدولة التي أقامها رجالات كبار ستسلم للإمام المهدي لا إلى غيره فهي ستعيش بعد ظهورها واستقرارها إلى ظهوره حيث سيدفعونها إليه.

والرواية كما نرى، تجعل القتلى في طريق إقامة هذه الدولة شهداء - يعني قتالهم مشروع وممضيٌّ من قِبَل ولاة الأمر وقادة الإسلام - وكما أمر الإسلام - وأيضاً نستشرف من خلال ما تمنّاه الصادق عليه السلام من أنه لو أدرك هذه الثورة لاحتفظ بنفسه لصاحب هذا الأمر الذي يتولّى قيادة هذا المجتمع المتحرِّر ليكون في مسيرته يقاتل معه وينتصر له وينصره في حربه تدليلاً على أهميّة قيادة الإمام المهدي في المعارك القادمة التي سيتولّى خوضها في مواجهة العالم كله حتى تحرير هذه الأرض من الطغاة والمستكبرين.

إنّ الرواية - كما هي - لا تحدّد اسم البلاد وتعيّنها بل تذكر هذا العنوان - المشرق - وفي المشرق بلاد كثيرة، فلذا ينبغي أن يبقى هذا العنوان هو مدار الحديث دون تخصيص ببلاد دون بلاد، وبهذا نحفظ العنوان ولا نحرم بلاداً يمكن في مستقبل الأيام أن تكون هي المصداق لهذا العنوان أو جزءاً من هذا العنوان... ومن سوء التطبيق ما سلكه بعض المعاصرين، كما سبقه إلى ذلك من تقدّم عليه، حيث قال المجلسي - وإن كان بصيغة الاحتمال وعدم الاستبعاد حيث قال بعد نقل هذا الخبر «**بيان**»: لا يبعد أن يكون إشارة إلى الدولة الصفوية شيدها الله تعالى ووصلها بدولة القائم عليه السلام».

قم

قم بلدة عريقة في تشيّعها، وقد مدحها الأئمة وأثنوا عليها خصوصاً وأنّ فيها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وهي «**فاطمة بنت موسى بن جعفر**» الطاهرة الزكيّة أخت الإمام الرضا فأضحت مقصداً للزوار بعد دفنها، ثم أضحت مصدراً للعلم والمعرفة يحج إليها كل من أراد البركة وطلب العلم. وفي زماننا هذا فاقت في شهرتها النجف الأشرف حيث أضحت الجامعة الإسلامية للشيعة الإمامية يقصدها طلاب العلم من أطراف العالم الإسلامي. وقد أخبر الأئمة بما وصلت إليه حيث أخبروا أنّ الضغوط ستمارس على علماء النجف الأشرف، بل ستجري عليهم تصفيات بدنية من قتل وسجن وتشريد، وهذا سيؤدّي إلى رحيل العلماء وضمور العلم، وستكون قُمّ هي البديل من النجف تستقبل الوافدين وتزدهر بهم وبعلمهم، وهكذا كان الأمر ووصل إلى ذروته ما بعد الثمانينيّات والألف والتسعماية، ولكن هذه الروايات لا علاقة لها بالتمهيد للمهدي وعمليّة الظهور فإننا إذا قرأناها لا نجد من ذلك أثراً.

ففي الحديث كما في البحار: روي عن عدّة من أهل الري أنهم دخلوا على أبي عبد الله عليه السلام - الصادق - وقالوا: نحن من أهل الرّي، فقال: مرحباً بإخواننا من أهل قُمّ.فقالوا: نحن من أهل الرّي فأعاد الكلام، قالوا ذلك مراراً وأجابهم بمثل ما أجاب به أولاً.

فقال: إنّ لله حرماً وهو مكّة وإنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله حرماً وهو المدينة، وإنّ لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة وإن لنا حرماً وهو بلدة قُمّ - وستدفن فيها امرأة من

أولادي تسمى فاطمة فمن زارها وجبت له الجنة[١].

هذه الرواية - على تقدير صحتها - فليس فيها إلاّ مدح قُمّ والثناء على أهلها وفيها إخبار أنّ امرأة من أولاده ستدفن فيها وأيضاً فيها بيان أجر وثواب من زار هذه الطاهرة. هذه هي حدود الرواية ومدلولها، وليس فيها بيان أيّ علاقة بالمهدي المنتظر أو تكون هذه الحالة من مقدمات ظهوره أو من ممهّدات هذا الظهور. وهناك رواية أخرى عن الصادق عليه السلام يقول: ستخلو الكوفة من المؤمنين ويأرز[٢] عنها العلم كما تأرز الحيّة في حجرها، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قُمّ، وتصير معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات وذلك عند قرب ظهور قائمنا... الرواية طويلة وليس فيها أي إشارة إلى أنّ أهل قُمّ يهيّئون ويوطّئون للمهدي عليه السلام إلا بمقدار ما يقدّمه الآخرون من الالتزام بتطبيق الإسلام ونشره والاهتمام به والالتزام بمضامينه، وهذا يتساوى فيه الناس. نعم يبقى لقُمّ خصائص لا يشاركها فيها غيرها من أن فيها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وفيها حوزة علميّة وعلماء في أعلى مراتب العلم والتقوى وحسن السيرة والسلوك ينشرون الدين ويروّجون تعاليم الإسلام وهكذا...

---

(١) البحار، ج٦٠، ص٢١٧.

(٢) تأرز = تختفي.

سلمان وقومه الفرس

سلمان من بلاد فارس أسلم وأبلى بلاء حسناً في الإسلام وكان أحد الأركان الثابتة على الحق، جاهد مع رسول الله ﷺ وخاض معه معاركه وفي موقعة الخندق كان حفر الخندق بإشارة منه ودُعي - سلمان المحمدي - كما أنّ النبي ﷺ قال فيه «**سلمان منّا أهل البيت**» وهذا وسام رفيع وشرف عريض حيث ضمّه النبي ﷺ إلى أسرته وجعله منها وتولّى ولاية المدائن في زمن عمر، فلم تغيّره المناصب والمواقع بل زادته تواضعاً لله وخدمة لعباده فبقى ولا شيء عنده من عروض الدنيا ومتاعها حتى إذا اندلع حريق في تلك المدينة حمل سلمان متاعه وهو قليل وخرج وهو يقول: هكذا ينجو المخفّون يوم القيامة - حيث لم تشغله أولاده وزوجته ولا أمواله ولم يعوقه أمر من أمور الدنيا...

سلمان الفارسي - أو المحمدي - له عطر يفوح ويتضوّع في كل مراحل حياته وعند ما نزل قوله تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[1] سئل رسول الله ﷺ عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال: هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس «**وفي رواية أخرى عند ما نزلت هذه الآية قالوا: «الأصحاب»** مَنْ هؤلاء الذين إذا تولّينا استُبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال: هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس.

وهذا الحديث رواه أصحاب الصحاح ووقع منهم موقع القبول لصحّة

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٨.

طرقه، ورواه أصحاب التفاسير وكل من تعرّض لهذه الآية وتناول شرحها وبيان معانيها وهذا لا إشكال فيه من حيث الصحّة والقبول، وأمّا مفاد الحديث فهو: أنّ أصحاب رسول الله ﷺ والعرب بعدهم إن أعرضوا - وإن شرطية - عن الإسلام وحمله والدفاع عنه وبذل المستطاع في سبيله فلن يترك هذا الإسلام في مهبّ الريح ولن يتخلّى الله عنه أبداً ولذا سيوفّق الله ويوفّر - من غير العرب - من يقوم بحمل الإسلام والدفاع عنه وبذل المهج في سبيله ثم عيّن مصداقاً بارزاً قوم سلمان - الفرس - فإنهم قوم مؤهّلون لحمل هذه المهمّة العظيمة، ثم أثنى النبي ﷺ على قوم سلمان وأنّ منهم رجالاً أصحاب همم عالية سيؤمنون ويكونون من أشد الناس إيماناً يبحثون عن الحقيقة يطلبونها ولو كان الإيمان بعيداً - في أقصى الأرض - بل في الثريا - لأدركوا ذلك الإيمان الصافي واعتقدوا به وحملوه في قلوبهم ونفوسهم....

الحديث يتناول إيمان قوم سلمان وهذا المقدار من الحديث هو المفهوم وهذا المعنى هو الظاهر - وهذا ما يفهم بحسب التخاطب ولحن الكلام - وقد صدقتْ نبوءة رسول الله ﷺ وتحقّق مضمونها - حيث كانت هذه البشارة قبل إسلام الفرس ودخولهم في الإسلام - تحقق إخبار رسول الله ﷺ وقد بلغ الفرس بإيمانهم أرفع الإيمان وتقدّموا على غيرهم في هذا الإيمان ثم قاموا بالدفاع عن معتقدهم الإسلامي وبذلوا في سبيله الدماء والأرواح وقدّموا التضحيات الجسام. وهذا المعنى لا غبار عليه ولا تردد فيه إلا عند مرضى القلوب الذين ابتُلوا بالعصبية البغيضة، الذين لا يحبّون الخير لغيرهم وينكرون كل فضل قام به سواهم...

نعم ما يمكن أن يكون محلّ تردّد - بل منع - أن يستفيد بعضهم ممّن كتب في الإمام المهدي عليه السلام أنّ هذا الحديث وما يشبهه يدلّ على الموطّئين للمهدي وأنّ قوم سلمان هم الذين يقومون بذلك - نعم قوم سلمان مثلهم مثل كل المؤمنين

بالمهدي عليه السلام والملتزمين بطبيق الشريعة المهتمّين بإصلاح أنفسهم والسعي لرضا ربهم، وهؤلاء يمكن أن يكونوا في فارس ويمكن أن يكونوا في لبنان ويمكن أن يكونوا في العراق أو البحرين أو في أي بقعة من بقاع الأرض...

إنّ بعض من كتب في الإمام المهدي عليه السلام نظّر وتوسّع وأخذ يتصيّد الأحاديث من هنا وهناك الغثّ منها والسمين ليدعم نظرية الاستبدال ويثبتها حتى أخذت منه عشرات الصفحات تستحق أن تُفرد كرسالة مستقلة في هذا الموضوع، وكسُنّة من السنن الإلهية في البشر، وقد أجاد فيها ولكنها خارجة موضوعاً عن محلّ البحث – الموطئون للمهدي – إذ لا خصوصية لهؤلاء مع أنّ القواعد العامة تشمل غيرهم – وبالأخصّ أنّ الحديث يتناول «**الإيمان**» وليس التوطئة للإمام أو تهيئة الأجواء الخاصة التي تخصّهم فحسب...

الثناء على قُمّ

«قُمّ» بلدة في إيران لها تاريخ عريق في التشيّع يمتدّ إلى زمن الأئمة، تجذر ولاؤها لأهل البيت عليهم السلام وقد امتازت بالتشدُّد والتدين والالتزام بخطّ العترة الطاهرة وحملت تراث الإسلام بعقائده وأحكامه ومفاهيمه وحافظت على هذا الخط كما وأنها حظيت بقدسيّة احتضانها لبضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث دفنت فيها «**فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر**» أخت الإمام الرضا عليه السلام فكان هذا المرقد المبارك ينشر عطر الولاء ويبثه على القُميِّين وعلى كل من زار تلك البقعة المباركة، ولا تزال تظهر آثار بركاته إلى يومنا هذا حيث يقصده كل موالٍ لأهل البيت يتقرّبون بزيارة السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر يتعبّدون في ذلك المكان ويتنسّكون فيه ويملأون قلوبهم بعبق الدعاء والمناجاة.

وفي قُمّ حوزة علميّة نشرت الإسلام في شرق الأرض وغربها وقدّمت أفضل الثمرات الفكريّة والثقافيّة والعلميّة، وتخرّج من هذه الحوزة علماء في منتهى الفقاهة والوعي وحلّقوا في علوم الدين والشريعة فقهاً وأصولاً وفي العقائد والأحكام وكل حقول العلم والمعرفة.

لم يجحد فضل قُمّ وعلمائها وما قدّموا من إنجازات إلا متعصّب متكبّر ينكر ضوء الشمس في وضح النهار، وهذا لا حديث معه، وإهماله أولى من حواره والحديث معه، ولكن ما يهمّنا هنا هو هل إنّ أهل قُمّ علماء وادباء ومثقفون ومتديّنون هل ورد فيهم شيء يشير إلى أنهم يمهّدون للمهدي سلطانه، زيادة عمّا يمهّده المؤمنون الملتزمون في بقيّة أطراف الأرض؟ وهذا يحتاج إلى بيان من المعصومين وما ورد ينبغي أن نضعه أمامنا ونقرأه بهدوء وبدون ميل أو عصبيّة لنرى مقدار دلالات تلك

الروايات ومفادها ونخرج من المغالاة أو التقصير...

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**وسيأتي زمان تكون بلدة قُمَ وأهلها حجّة على الخلائق وذلك في زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها**»[1].

هذا إخبار من الإمام الصادق عليه السلام وقراءة في مستقبل ينتظر مدينة «قُمَ» فإنها بلدة تحمل الحقّ المتمّثل بالإسلام المحمدي الأصيل وإنّ أهلها بإيمانهم يشكّلون السلوك العملي للعقيدة السليمة، ومن هنا يشكّل وجود أهلها ثقلاً إيمانياً يكون حجّة على الخلق فمن أراد أن يعتذر عن انحرافه وكفره أو يعتذر عن فسقه وجوره سقطت أعذاره لأن أهل قُمّ يشكّلون القدوة فكما استطاعوا أن يصلوا إلى الحق ويؤمنوا به ويعملوا بما فيه أمكن لغيرهم أن يكونوا مثلهم، وأيضاً لإيمانهم وثباتهم على الحقّ شكّلوا ثقلاً إيمانياً منع زلزالاً يذهب بالناس إن اجتمعوا على الكفر، إذ لا بد وأن يبقى الحقّ متجسداً ولو بثلّة قليلة تنال شرف بقاء التنوُّع البشري....

هذه الاستفادة من الرواية هي بحدودها التي يستفيدها الناس، ولا تتحمّل أو تحتمل أكثر من ذلك إلا تخيّلات وتأويلات بعيدة لا يرتضيها منطق أو إنصاف، وأيضاً هذا الثناء على قُمّ وأهلها ورد في الكوفة وأهلها، ففي البحار» إنّ الله احتج بالكوفة على سائر البلاد وبالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد، واحتجّ ببلدة قُمّ على سائر البلاد وبأهلها على جميع أهل المشرق والمغرب من الجنّ والإنس... فإن قراءة متأنية في هذا النصّ تجعل الكوفة مثل قُمّ فتتساوى البلدتان في الفضل والحجيّة، وهذا هو المعنى المفهوم من الروايتين بدون أدنى شك ولا نحمّلهما أكثر من ذلك فنكون من المتكّلفين المتأوّلين، فلا دلالة في أي منهما على أن أهلها من الممهِّدين للمهديّ زيادة عمّا يمهّده المؤمنون أينما كانوا من أقطار الأرض.

---

(١) البحار. ج ٦٠. ص ٢١٢.

رجل من قُمّ

بعض المؤلّفين الأجلّاء الذين استهوتهم الكتابة عن المهدي - وهي والحق يقال إنها مغرية - أسهب في سرد ما هبّ ودبّ من الروايات سواء كان لها أصل أو لم يكن لها أصل، وسواء صحّت الروايات أم لم تصحّ، فقد شرعن كل رواية تخدم ما يهدف إليه حتى لو أدى ذلك إلى أن يضعفها بنفسه وينتقدها من عنده، ثم يعمد إلى الاستدلال بها ويجعلها واحدة من مؤيّداته. ومن جملة تلك الروايات ما ينسب إلى الإمام الكاظم عليه السلام حيث قال «**رجل من قُمّ يدعو الناس إلى الحق يجتمع معه قوم قلوبهم كزُبُر الحديد لا تزلهم الرياح العواصف، لا يملّون من الحرب ولا يجبنون وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين**»[1].

هذه الرواية علّق عليها مؤلفنا الجليل بقوله «**وقد نقلها صاحب البحار عن كتاب تاريخ قُمّ لمؤلفه الحسن بن محمد الحسن القمي الذي ألّفه قبل أكثر من ألف سنة ولا توجد نسخته الآن مع الأسف**»[2].

هذه الرواية ليس لها سند ومصدرها - إن كان لها مصدر - فهو مفقود، وكتاب بحار الأنوار جمع الغثّ والسمين والصحيح والسقيم، لم يعتمد على قاعدة ومنهج بنى عليها أخباره بل التقط كل ما ورد إليه وحصل عليه حتى ما نقله المخالفون ذكره المجلسي في بحاره، ولذا وجود الرواية في البحار لا يجعلها تنال مرتبة الاعتبار، وعليه كيف يصح الاستدلال بها؟ بل كيف تجعل مجرد مؤيّد لما يرمي إليه المؤلف؟ والأنكى من ذلك أنه استرسل في الاستدلال بها وطبّقها على مصداق - هو في حدّ نفسه أهل ومحل - ولكن مؤلّفنا مع قوله «**لم تذكر**

---

(١) ذكرت هذه الرواية عن البحار.

(٢) عصر الظهور للشيخ علي كوراني، ص ١٦٥.

الرواية هذا الرجل المبشّر به وأصحابه» أخذ في تطبيقها ووضع المصداق لها ناسياً أنه قد يكون غير من عيّنه وأشار إليه، ولو تركها وشأنها كان أليق بالعلم والعلماء، ولو أهملها ولم يذكرها كان قد أحسن صنعاً فوفّر عليه وعلينا الوقت والورق والحبر والتعب.

باب من الجنة خاص لأهل قُمّ

من الروايات التي ذكرها بعض المؤلّفين الأجلّاء رواية وردت في بحار الأنوار وهي ما ورد عن صفوان بن يحيى قال: كنت يوماً عند أبي الحسن عليه السلام فجرى ذكر أهل قُمّ وميلهم إلى المهدي عليه السلام فترحّم عليهم وقال: رضي الله عنهم، ثم قال: إنّ للجنّة ثمانية أبواب، واحد منها لأهل قُمّ، وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد خمر الله تعالى ولايتنا في طينتهم.

هذه الرواية على تقدير صحتها فهي خارجة عن الموضوع، موضوع التمهيد للإمام المهدي عليه السلام وإنما هي في مقام الثناء على أهل قُمّ وأنهم مؤمنون طيّبون مفطورون على حُب أهل البيت والولاية لهم فمن عالم النُّطَف والأجنّة جاؤوا إلى الولاية حيث آباؤهم وأمهاتهم يحملونهم في قلوبهم وأرواحهم وعقائدهم وبنيتهم النفسية والروحية - الجينات - إنّ إقحام قُمّ وأهلها في موضوع التمهيد للمهدي عليه السلام خارج عن السياق في الرواية ولا يليق الاستدلال بها على ذلك. نعم يمكن أن تدخل هذه الرواية - إن صحت - في كتاب خاص بقُمّ وأهلها، وأنهم مفضّلون بإيمانهم وولائهم لأهل البيت وبتاريخ قُمّ العريق في هذا الولاء...

الطالقان

من البلدان التي ذكرها المؤلّفون في «**المهدي**» مدينة طالقان شمال غرب طهران تبعد عنها مائة كليومتر وقد اعتمدوا على رواية الفضيل بن يسار التي ينقلها عن الصادق عليه السلام حيث يقول فيها «**له كنز بالطالقان ما هو بذهب ولا فضة**» وراية لم تنشر منذ طويت، ورجال كأنّ قلوبهم زُبُر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله أشدّ من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون برایاتهم بلدة إلا خرّبوها، كأنّ على خيولهم العقبان يتمسّحون بسرج الإمام عليه السلام يطلبون بذلك البركة ويحفون به يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد منهم.

رجال لا ينامون الليل، لهم دويّ في صلاتهم كدويّ النحل، يبيتون قياماً على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأَمَة لسيدها، كالمصابيح كأنّ قلوبهم القناديل وهم من خشية الله مشفقون يدعون بالشهادة ويتمنّون أن يُقتلوا في سبيل الله شعارهم: يا لثارات الحسين. إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى ارسالاً بهم ينصر الله إمام الحق[1].

اعتمد المؤلّفون على هذه الرواية وقالوا إنّ أهل طالقان يمهّدون للمهديّ الظهور ولولا ذكرهم لها ما ذكرتها؛ لأنها رواية تبيّن دور أهل تلك البلاد في نصرة الإمام المهديّ، فهم يملكون قلوباً صلبة قويّة في الحقّ مملوءة بالإيمان، عقائدهم متينة، أقوياء أشداء لو حملوا على الجبال لأزالوها وإلى آخر أوصافهم

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٣٠٧.

الكريمة التي تعطيهم فضلاً كبيراً.

إنّ هؤلاء القوم يوفّرهم الله أيام ظهور المهدي عليه السلام وليس قبل الظهور فهم من جملة جنوده الأوفياء الذين من شدّة حبّهم لقائدهم يتمسّحون - يتبرّكون - بسرج الإمام الذي يركب عليه ويحفّون به حماية له ويكفونه ما يريد منهم.

أهل الطالقان بما يملكون من قدرات إيمانية وروحيّة ومعنويّة وقدرات جسدّية ومادّية وبشريّة سيجعلون ذلك كله في خدمة الإمام عند ظهوره، وهذا يفترق عن التمهيد، إلا أنْ يقال إنّ كل مَنْ تحرّك مع الإمام ولو في زمان الظهور - هذا من التمهيد له - وهو بعيد عن معنى التمهيد المعروف والمعهود.

أصحاب الإمام المهدي عليه السلام

«هم الحكام والقضاة والفقهاء»

- توافد القادة
- عدد الأصحاب
- أصحابه من النساء

توافد القادة

عندما يدخل المهديّ مكّة يدخلها ومعه خمسةٌ وأربعون رجلاً من أصحابه، هؤلاء هم خاصته وموضع سرّه، وبهم تنقطع وحدته وتزول وحشته - وهؤلاء غير الأبدال الذين كانوا معه في غيبته - ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**يقبل المهدي عليه السلام في خمسة وأربعين رجلاً - يقبل إلى مكة - من تسعة أحياء، من حيٍّ رجل ومن حيٍّ رجلان ومن حيٍّ ثلاثة ومن حيٍّ أربعة ومن حيٍّ خمسة ومن حيٍّ ستة ومن حيٍّ سبعة ومن حيٍّ ثمانية ومن حيٍّ تسعة ولا يزال كذلك حتى يجتمع له العدد**»[1].

عدد الأصحاب وخصوصياتهم

أصحاب المهدي قادة الجيوش وأصحاب الألويّة وحكّام الولايات على أيديهم يتحقّق النصر، يأتمرون بأمر سيدهم لا يخالفونه أبداً، أطوع إليه من العبد مع سيده، ومن الخاتم في خنصره، يستمعون كلامه ويلبّون نداءه، وأمّا عددهم فهو ثلاثماية وثلاثة عشر عدد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بدر وقد وردت الروايات من الطرفين - السنة والشيعة - بهذا المعنى.

في الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام وهو يتحدّث عن المهدي عليه السلام يقول: يجتمع إليه أصحابه عدة أهل بدر ثلاثماية وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض...[2]

وفي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: أصحاب القائم ثلاثماية وثلاثة

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٠٩.

(٢) البحار، ج٥٢، ص ٣٨٢.

عشر رجلاً أولاد العجم بعضهم يحمل في السحاب نهاراً يعرف باسمه واسم أبيه[١] ونسبه وحليته، وبعضهم نائم على فراشه فيوافيه في مكّة على غير ميعاد. وفي منتخب الأثر عن الصادق عليه السلام قال: «**قوة القائم والركن الشديد أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً**»[٢].

وفي الحديث عن محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: القائم منّا منصور بالرعب مؤّيد بالنصر فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً[٣].

كيف يأتون إلى المهدي عليه السلام

أصحاب المهدي من جنسيّات مختلفة وموزّعون في شتى بقاع الأرض فكيف يجتمعون بسيِّدهم المهدي عليه السلام وكيف يلتقون به عندما يأذن الله له بالظهور؟! كيف يستطيع البعيد عن مكّة - مركز الظهور - مئات آلاف الكيلومترات، كيف يصل إليها وهو من القادة الذين يجب تواجدهم في اللحظات الأولى للظهور؟

وما هي الطرق والوسائل التي تستخدم لحضور هؤلاء القادة وبأسرع وقت ممكن حتى لا يكون ثمة تأخير؟

كشفت الأحاديث التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام كيف يصل هؤلاء القادة إلى سيّدهم وهي أحاديث تناقلتها الرواة ودونتها الكتب منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وقد حفظتها ذاكرة العلماء وتداولوها في مجالسهم وسهراتهم وأوقات أُنسهم وشوقهم إلى الموعود المنتظر عليه السلام....

عندما رُويت هذه الأحاديث وبعد روايتها إلى زمن قريب كانت أحلاماً ورؤى

---

(١) الغيبة للنعماني، ص ١٧٠.

(٢) منتخب الأثر.

(٣) إعلام الورى، ص ٤٣٣.

يصعب تصديقها - إلا عند المؤمنين - لأنّ مضامينها شيء خارج عن العادة والمألوف وما تعارف عليه الناس، إذ كيف يصل إلى مكة وفي لحظة واحدة، كيف يصل هذا الإنسان إليها وهو في بلاد يفصله عنها آلاف الكيلومترات؟ كيف يجتاز المسافات الطويلة في وقت قصير قد يقدّر برد الطرف وقد يكون في ليلة واحدة بين بداية ليلها ونهايته؟ وقد يكون بوساطة السحاب يركبه القائد ويوجّهه إلى مكّة، وقد يكون في فراش نومه فيفقده أهله فلا يجدونه إلا بمكّة عند القائم المنتظر قد طويت له الأرض وكانت عند إرادته...

إنّ الروايات التي وردت في شأن تجمّع هؤلاء القادة - أنصار المهدي - في وقت واحد في لحظات معدودة من عمر الزمن، إنّ هذه الروايات بلحاظ ما وصلنا إليه من وسائل الاتصالات الحديثة يكشف أنها روايات تجاوزت زمان صدورها واخترقت كل الحواجز والمواقع حتى ما وصلنا إليه اجتازته وتفوّقت عليه وسجّلت أنها متقدّمة يمكن للزمن القادم أن يسير معها ويصل إليها ويمكن أن يبقى قاصراً عن إدراكها عاجزاً عن تفسيرها: لأنها من بركات ظهور المهدي وهدّية إلهيّة إلى منقذ البشرية ومحقّق حلم الأنبياء منذ آدم وإلى محمد صلى الله عليه وآله...

وسائل منظورة

نقلت الروايات في كيفيّة وصول أنصار المهدي إلى مكة - وهم في أقطار شتى متباعدة - نقلت صوراً مختلفة لكيفيّة وصولهم، فبعضهم يسير في الهواء وآخرون يركبون السحاب، وقسم ثالث يمشون على الماء وقسم رابع يكونون في فرش نومهم يُفقدون منها فإذا هم في مكة، وهكذا، وأنا انقل بعض هذه الصورة لما فيها من إعجاز خارق للعادة.

بداية يجب تواجد جميع أصحاب المهدي صبيحة يوم الجمعة العاشر من

المحرم - يوم ظهور المهديّ - في مكّة. ففي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: يجمعهم الله في ليلة جمعة فيوافونه صبيحتها إلى المسجد الحرام ولا يتخلّف منهم رجل واحد.[١]

فهذه الرواية وأمثالها تتحدّث عن أصل حضور الأصحاب وقت ظهور المهديّ ولكن لا تكشف كيف يكون حضورهم وهذا ما ستكشفه الروايات الأخرى على وجه الإجمال أيضاً كما في الحديث الوارد عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾[٢] قال: الخيرات الولاية وقوله تبارك وتعالى ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ يعني أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً، قال: وهم والله[٣] الأُمّة المعدودة قال: يجتمعون والله في ساعة واحدة، قزع كقزع الخريف. وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: بينا شباب الشيعة على ظهور سطوحهم نيام إذا توافوا إلى صاحبهم في ليلة واحدة على غير ميعاد فيصبحون بمكة[٤].

وهناك في الروايات الأخرى تفاصيل واضحة عن كيفيّة وفودهم عليه ولقائهم به وقد يكون الاختلاف في كيفيّة المجيء دليلاً على تفاضل بعضهم على بعض وتقدّمه على أقرانه لشدّة قربه من الله وطاعته له ومعرفته بالمهدي ومهمّته وتكون لياقته بالقيادة أولى وأجدر.

في الحديث عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أذن الإمام دعا الله باسمه العبراني فاتيحت له صحابته الثلاثمائة وثلاثة عشر قزع كقزع الخريف وهم أصحاب الأولويّة منهم من يُرى يسير في السحاب نهاراً، يُعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه.

---

(١) بشارة الإسلام المصطفى الحسين، ص ٢١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص ٣٨٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٧٠.

قلت: جعلت فداك، أيّهم أعظم إيماناً؟

قال: الذي يسير في السحاب نهاراً وهم المفقودون...[١]

وفي الحديث عن علي بن الحسين أو محمد بن علي الباقر أنه قال: «**الفقداء قوم يفقدون من فرشهم فيصبحون بمكة، وهو قول الله عزَّ وجلَّ أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً وهم اصحاب القائم**»[٢].

وهناك أخبار أنّ شيعة المهدي عليه السلام «**تصير إليه من أطراف الدنيا تُطوى لهم الأرض طيَاً حتى يبايعوه**» كما في رواية الطبرسي.

إنّ وصول هؤلاء القادة الأنصار في ساعة واحدة أو ليلة واحدة مع بيان كيفية الوصول المختلفة يدل على أن وصولهم عن طريق الإعجاز إكراماً لسيِّدهم وإكراماً لهم وتحقيقاً لإرادة الله النافذة في الأشياء وبكلمة «**كن**» تكون الأشياء ولسنا بحاجة إلى تسويغ وصولهم السريع بما وصل إليه العلم من وسائل ووسائط سريعة كالطيّارات النفّاثة وغيرها، بل يجب أن نجمِّد الأمور على ما وردت به الأخبار فليس على الله ببعيد أن يسخّر الرياح لبعضهم تنقلهم بأسرع ما يكون أو تُطوى لهم الأرض حتى يصلوا بلحظة واحدة إلى أي نقطة في الكون أو أي بقعة في الكرة الأرضية وإنّ في قضية عفريت سليمان مثلاً قرآنياً نتلوه في كل وقت وحين، فمن أعطى عفريتاً هذه القدرة الفائقة التي بلحظة واحدة يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين هو نفسه الله الذي يعطي أصحاب المهدي القدرة والاقتدار على أن يمتطوا السحاب أو يعطيهم طيّ الأرض فيحضرون عند سيِّدهم في لحظة أو لحظات. إقرأ قوله تعالى ودقِّق فيه وأعطِ للمهدي وأصحابه مثله بعد أن وردت الأحاديث بذلك، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى

---

(١) البحار، ج٥٢، ص٣٦٨.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٣٢٧.

عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[1].

فهذا العفريت بهذا النصّ القطعي الصدور المتسالم عليه عند جميع المسلمين أعطاه الله القدرة على أن يستحضر عرش بلقيس بمقدار لحظات إغماض البصر وفتحه وهذا إعجاز خارق للعادة لا يُعطاه إلا بعضهم ولا يعطيه إلا الله فليس بمستغرب بعد هذا أن نصدّق ما ورد عن المعصوم في مثله لأصحاب القائم المنتظر عليه السلام.

(١) سورة النمل، الآيات: ٣٨ ـ ٤٠.

أصحاب المهدي من النساء

وإن لم تحتل المرأة مكاناً بارزاً في حركة المهدي عليه السلام ولو بحسب ما وصل إلينا من الروايات ولكنها تُهمل بالمرّة أو تغيّب غياباً كليّاً، وقد يعود تفسير هذا الغياب - على الأكثر - إلى أنّ الملحمة التي يقودها المهدي ملحمة قاسية صعبة فيها هجرة وجهاد وقتال وسفك دماء، فيها فقدان الراحة وعدم الاستقرار، في قضية المهدي عليه السلام هجران النوم والخوف والقلق الدائم حتى تتحقّق الأهداف التي يسعى إليها المهدي عليه السلام ومَنْ معه وهذا أمر يجب أن يتحمله الرجال لطبيعتهم الخشنة عكس طبيعة المرأة التي تحمل الرقّة والشفافية والعاطفة القويّة.

هناك روايتان في إحداهما شراكة عالية وغالية للمرأة حيث دخلت في عداد أصحاب المهدي وكانت جزءاً مهمّاً من الثلاثمائة والثلاثة عشر من أصحابه يتولّون القيادة والريادة وإليهم - بأمر من سيدهم - حكم البلاد وإدارتها.

تقول الرواية الأولى: عن الإمام الباقر عليه السلام «**يجيء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسون امرأة يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف يتبع بعضهم بعضاً**»[1].

فهذه الرواية تعطي المرأة دوراً مهمّاً عند قيام القائم حيث تجعلها شريكة في عمليّة تطهير الأرض من الظلم والجور وفي بسط القسط والعدل، وهذا الأمر يتطلّب من المرأة وعياً وثقافة وإيماناً ونزاهة وطهارة حتى تؤهّلها لمثل هذه المهمّة وتكون شريكة في نهضة المهدي المنتظر عليه السلام.

وهناك رواية أخرى عن المفضل بن عمرو عن الإمام الصادق عليه السلام يقول:

---

(١) تفسير العياشي، ج١، ص ٦٥.

يكون مع القائم ثلاث عشرة امرأة.

قلت: ـ الراوي المفضل ـ: وما يصنع بهنّ؟

قال: يداوين الجرحى ويقمن على المرضى[1].

وهذه الرواية واضحة الدلالة وظاهرة الغاية، فالنساء هنا لهنّ مهمّة الممرضات يداوين الجرحى ويسعفن المحتاجين ويسهرن على المرضى حتى يبرأوا ويشفوا، ولا تتنافى هذه الرواية مع السابقة إذ لكل منهنّ مهمّتها، ففي حين يكون في مجلس القيادة مع المهدي خمسون امرأة يكون في الساحات التي تجري فيها المعارك ثلاث عشرة امرأة مسعفات. ولعل ذكر الثلاث عشرة امرأة لكونهن في مراكز المدراء وإليهن يُرجع في تصريف شؤون المؤسسات اللاتي يتولين عليها إذ ساحات المعارك تتطلّب أكثر من هذا العدد - بحسب العادة - من الممرضات والقائمات على رؤوس المرضى...

أسماء أصحاب المهدي عليه السلام

تناولت كتب الأصحاب عدد أصحاب المهدي عليه السلام عند الظهور ووصلت بهم إلى رقم معروف ومعدود وهو ثلاثماية وثلاثة عشر رجلاً هم أصحاب المقامات العالية حكّام البلاد والقضاة بين الناس وأصحاب الألوية، وردت أوصافهم وبيان دورهم في المساعدة على تحقيق النصر العالمي للإمام المهدي عليه السلام هذا ما ذكرته المصادر المعتبرة والمراجع المعتدّ بها. وأمّا ما لم تذكره مصادرنا المعتبرة فهو أسماؤهم وبلدانهم وقد انفرد بذكر الأسماء والبلدان روايتان ذكرتا في بعض الكتب غير المعتمدة، وقد أجمع النقاد على أنهما ضعيفتان سنداً وساقطتان عن الاعتبار، فلا يعتدّ بهما. ومضافاً إلى ذلك أنهما متعارضتان في كثير مما ذكر

---

(١) إثبات الهداة للحر العاملي ٣/٧٥٢.

فيهما؛ ولذا صوناً للفكر وسلامة للعقيدة لن أعرضهما ولن أستعرضهما في هذا المقام، ولا أريد أن أدخل في خصوصياتهما بعد سقوطهما سنداً وتعارضهما في كثير مما ذكر فيهما...

نعم أخذني العجب من بعض المؤلفين الصغار الذين لم يُشيروا إلى ضعف سندهما بل ذكروهما وكأنهما من المسلمات القطعية وأخذوا في ذكر الأسماء والبلدان فأضافوا الشرف إلى من حرم منه وسلبوا الشرف من يستحقه، والأنكى من ذلك أن بعض المؤلفين الكبار الذين قدّموا تحليلات رائعة في قضيّة المهديّ واستوعبوا في كثير من الأحيان حالات هذا المنتظر المهدي وجاءوا متقدّمين في بحوثهم العلميّة في كل قضايا المهدي، هؤلاء الروّاد الكبار في الكتابة عن المهدي استعرضوا الروايتين والكتب التي نقلتهما وبينوا ضعفهما وحكموا بضرس قاطع أنهما ساقطتان عن الاعتبار سنداً، ولا يصحّ التعويل عليهما في بيان أسماء أصحاب المهدي عجل الله فرجه ولا البلدان التي ينتسب الأصحاب إليها، أقول: مع احترامنا لهذه الشخصيّات الكبيرة لكنها بعد إيمانها بسقوط الروايتين أخذت تناقش ضعفهما بتعارض ما فيهما بزيادة واحدة عن الأخرى في الأسماء وقصور الأخرى أو ذكر بعض البلدان وسقوط بلدان أخرى، وهكذا أخذت مناقشاته مجموعة عناوين وأخذت منه جهوداً وأتعاباً وسوّد صفحات أضافها إلى الكتاب لا فائدة فيها ولا ثمرة من ورائها، لأنه في المثل «**أثبت العرش ثم انقش**» فحتى تناقش الرواية أو الروايتين عليك أن تثبت أولاً صحتهما، فإذا أسقطهما فلا داعي لإضاعة الوقت واستهلاك الأوراق وأوقات الآخرين.

نعم قد يكون استعراض الروايتين - مع سقوطهما سنداً واعتباراً - سيراً مع المنهج الذي سلكه المؤلّف لبيان براعة تفكيره وبراعة قلمه، ولكي يعلّمنا كيف ندرس الأمور ونتعقّلها ونفنِّد مفرداتها - على حدّ محاكمة المجرمين - مع علمنا بإجرامهم، ولكنّ محاكمتهم لتأخذ العدالة دورها فتثبت الجرم بالوثائق والشهود

والمستندات وتدين المجرمين أمام أنصارهم وأمام أعدائهم على حدّ سواء...

وبالرغم من ذلك لا يسعنا إلا أن نقدّر جهود هؤلاء العلماء الكبار ونحترم أقلامهم المباركة التي كشفوا بها الحقّ من الباطل والجيد من الرديء وصحيح الأقوال من فاسدها، وقدّموا خدمات جليلة للفكر والثقافة وللدين والمجتمع، فاحترموا العقول وصحّحوا الصحيح من المنقول وأبطلوا الباطل منه...

خصوصيات أصحاب الإمام

علم أصحاب الإمام

أصحاب الإمام المهدي عليه السلام مميّزون في كل خير، فهم النخبة التي اختارها الله وأعدّها وادّخرها لتكون مع المهديّ في طليعة المجاهدين بين يديه تتولّى إدارة البلاد تحت رعايته وبتوجيه مباشر منه ولقربها من الإمام حظيت بمواصفات كشفت عنها الروايات الصادرة عن المعصومين وقد كان مضمون هذه الروايات شيئاً لا يتقبّله المنطق السائد والعرف وما هو قائم بين الناس إلى زمن قريب، ولكن ما كشفت عنه العلوم الحديثة وما وصل إليه العلم من اكتشافات سهّل علينا فهم ما ورد من الروايات وجعلنا نتقبّل مضمونها لأنّ ما نراه هو وليد عقل بشري محدود لم يبلغ في عطائه عطاء الله للمهدي عليه السلام ولأصحابه ليبقى عطاء الله فوق كل عطاء وأعظم من كل عطاء، عطاء فيه يد الغيب ظاهرة واضحة لكي يبقى الإيمان بالله وقدرته المطلقة، في القلوب والأرواح...

في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول عهدك في كفّك فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفّك واعمل بما فيها**»[1].

انظر - رعاك الله - إلى هذا الحديث الذي مرّت عليه مئات السنين وقد احتفظ به رواة الأحاديث كما هو وآمنوا به وإن لم يجدوا له تفسيراً إلا المعجزة الخارقة للعادة التي يعطيها الله لأصحاب الإمام المهدي عليه السلام الذين يتولّون إدارة البلاد

---

(١) البحار، ج٥٢، ص٣٦٥.

وحكمها تحت أنظار الإمام.

إذا أشكل عليك أمر ولم تعرف وجه القضاء فيه فانظر إلى «**كفّك**» فالكفّ نفسها هي التي تضم المعلومات، فهي بنك المعلومات التي تعطيك ما تحتاجه، تقرأ ما فيها وتعمل بمضمون ذلك فتكون بريء الذمة من كل خطيئة أو خطأ. ولتقريب المعنى انظر ما استجد وحدث حيث يتم تخزين ملاين المعلومات في قطعة صغيرة لا تتجاوز مساحتها بضع سنتمترات وانظر إلى وسائل الاتصالات الحديثة التي تحملها في يدك وفيها ما يعجز الوصف عن ذكره وفيها الانترنت الذي ينقل إليك ما تريد في أي لحظة من الليل والنهار... نعم ليس من العجب أن يعطي الله لأصحاب المهدي هذا الإنجاز المختصّ بهم لإدارة البلاد ولكي تقع أحكامهم صائبة مطابقة لما يريد الله، ليس فيها خلل أو خطأ ويدعم هذا ويفسّره ما ورد من أنّ المهدي عليه السلام عندما يبعث هؤلاء الحكّام على الأقاليم - الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً - إلى الآفاق كلها فيمسح بين أكتافهم وعلى صدورهم فلا يتعايون في قضاء...[1]

ويمشون على الماء

وأصحاب المهدي عليه السلام يمشون على الماء - يقرأون على أرجلهم شيئاً ثم يمشون- لا يسبحون كما هو المتعارف عندما يريدون قطع المسافات في الماء - وليس بآلات يضعونها بأرجلهم ثم يتحرّكون بل المعجزة أو الكرامة - بل عطاء الله لهؤلاء الأنصار يتجسَّد في قراءة شيء على أقدامهم ثم يمشون في الماء كما يمشون على الأرض اليابسة - وهذا الإنجاز يوسّع أمامنا دائرة الأسباب فهي كما تكون أسباباً منظورة معهودة مادّية يمكن أن تكون أسباباً محجوبة لم يتوصّل الإنسان إليها وقد

---

(١) البحار. ج ٥٢. ص ٣٤٥.

لا يتوصّل إليها لأنها تخضع لإرادة الله الذي يلغي متى شاء الأسباب وبقوله - كن - فتكون بالأشياء وأيضاً يمكن أن تكون الأسباب مجهولة لدينا وقد علّمها الله للمهدي عليه السلام ولأصحابه، وكما كان حضورهم عند الإمام بساعات معدودة وبعضهم يأتي راكباً السحاب وبعضهم يُفقد من فراشه وإذ به في مكة في حضرة الإمام، كذلك هذه الكرامة - كرامة المشي على الماء - هي من مختصات هؤلاء الأصحاب.

في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام وهو يتحدّث عن المهدي عجل الله فرجه يقول: ويبعث جنداً إلى القسطنطية - بلاد الروم - فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء.

«فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء «قالوا: هؤلاء أصحابه - أصحاب المهدي - يمشون على الماء فكيف هو؟ فعند ذلك يفتحون لهم باب المدينة فيدخلونها فيحكمون فيها بما يريدون»[1].

شجاعة وقوة أصحاب الإمام

يتمتع أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه بقوى خارقة لم يُعهد في الرجال مثلها، وهل هذه القوى حصيلة تدريب طويل وخبرة كانت لديهم نتيجة معرفتهم بما ينمّي الأجساد ويقوّيها ويجعلها صلبة تقدر على مواجهة ما يعترضها من صعوبات وخصوم مهما كان ذلك كبيراً وله شأن وأهميّة؟ أم أنّ هذه القوى منحة ربانية خاصة بهؤلاء الأصحاب إكراماً من الله لقائدهم المنتظر حتى يستطيعوا القيام بواجباتهم في الدفاع عن المهمّة الموكلة إليهم فإنها مهمّة عظيمة جليلة وهي مهمّة تغيير العالم وتحويله عمّا يعيش من ضلال وبعد عن الله إلى ظلال الإسلام وأفياء رحمته؟ نعم كلا الاحتمالين وارد وإن كان الثاني أقوى وأرجح لدخوله في

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٦٥.

ضمن قائمة الغيب التي تحكم أكثر فصول الملحمة المهدويّة وإن كان الأول يجري على مقتضى الطبيعة ويمكن تقبّله بيسر وسهولة وهو معتاد عند أبطال المصارعة ومن يخضع من الرياضيين للتدريب والترويض لفترة طويلة...

حدثتنا الروايات عن قوى معجزة يتمتّع بها أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ففي الرواية عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما كان يقول لوط ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[1] إلاّ تمنياً لقوة القائم عليه السلام ولا ذكر إلا شدّة أصحابه فإنّ الرجل منهم يُعطى قوّة أربعين رجلاً وإنّ قلبه لأشدّ من زُبر الحديد، ولو مرّوا بجبال الحديد لقطعوها لا يكفّون سيوفهم حتى يرضى الله عزّ وجلّ»[2] فالقوّة البدنّية لكل واحد من أصحاب المهدي تعادل قوة أربعين رجلاً أما قلوبهم فهي في الشدّة والصلابة والإيمان والشجاعة كقطع الحديد في الصلابة والمقاومة حتى لا يعجزهم شيء بحيث لو اعترضتهم جبال الحديد أو مرّوا بتلك الجبال لم تقف في وجوههم بل يزيلونها من أمامهم ويكملون مسيرهم إلى هدفهم وغايتهم التي لا تنتهي إلا عند رضى الله عزَّ وجلَّ.

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: فإذا قام قائمنا وظهر مهديّنا كان أجرى من ليث وأمضى من سنان[3].

وفي الحديث عن أبي جعفر قال: فإذا وقع أمرنا وخرج مهديّنا كان أحدهم أجرى من الليث وأمضى من السنان يطأ عدوّنا بقدميه ويقتله بكفيه[4].

وفي وصف رائع لهؤلاء الصفوة المختارة يقول الإمام الصادق عليه السلام: كأني أنظر إلى القائم عليه السلام وصحابه في نجف الكوفة كأن على رؤوسهم الطير قد فنيت أزوادهم وخَلَقت ـ أي بليت ثيابهم ـ قد أثرّ السجود بجباههم، ليوث بالنهار،

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٠.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٧١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٧٢.

رهبان بالليل، كأنّ قلوبهم زُبُر الحديد يُعطى الرجل منهم قوة أربعين رجلاً لا يقتل أحداً منهم إلا كافر أو منافق[١] وقد وصفهم الله تعالى بالتوسّم في كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٢].

بأصحاب المهدي تفتخر الأرض

أيّ أصحاب هؤلاء، أصحاب المهدي عليه السلام الذين لا يستطيع المرء أن يعرف قدرهم لولا ما ورد عن ألسنة الحقّ والصدق، النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين؟! وفي مشهد آخر من مشاهد هؤلاء الأخيار يحدّثنا الإمام الباقر عليه السلام فيقول: كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين، ليس من شيء إلا وهو مطيع لهم، حتى سباع الأرض وسباع الطير تطلب رضاهم في كل شيء، حتى تفخر الأرض على الأرض وتقول: مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم[٣] عليه السلام.

يتولّى أصحاب القائم - تحت إمرة سيدهم - المدن جميعاً فتجمع تحت سلطتهم الكرة الأرضيّة كلّها بكل بقاعها ومناطقها، وهذه حكومة عالمية تغطّي مساحة الأرض كلها ولقدراتهم وعدلهم والأمن المستتب وما تعيشه البشرية من رغد العيش والرفاه والبحبوحة والغنى لأجل ذلك يطيعهم كلُّ شيء ولا يعصي لهم أمراً حتى سباع الأرض وحوشها التي من عادتها الافتراس والاعتداء ولا تؤتمن في لحظة، حتى السباع تطلب رضاهم وتلبي أوامرهم وكذلك سباع الطير - الطيور الكاسرة المفترسة تطلب رضاهم وتلبي أوامرهم. وأما الأرض التي يدوسون عليها ويطؤون ترابها فإنها ترفع عقيرتها وتفتخر على بقاع الارض الاخرى وتقول بلسان الحال - أو المقال - مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم...

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٨٧.

(٢) سورة يس، الآية: ٣٣.

(٣) البحار، ج٥٢، ص٣٢٧.

شيعة المهدي

لا تُعرف قدسية أية معركة الا بمقدار صلتها بالله، وإنّ أقدس المعارك وأشرفها وأكرمها ما كان تحت لواء نبي، ومثل هذه المعركة في القدسّية ما كان تحت لواء ولي من أولياء الله الذين نصبهم النبي صلى الله عليه وآله خلفاء بعده وهم الأئمة الهداة الذين نصّ عليهم واحداً واحداً وكان آخرهم المهدي المنتظر عليه السلام الذي أعدّه الله لإقامة العدل في الأرض...

إنّ أشرف المعارك وأسلمها وأقربها إلى الله والتي يطمئنُّ لها القلب ويرتاح لها الضمير وتكون مضمونة النتائج التي توصل إلى الجنة وإلى مرضاة الله، إنّ أشرف تلك المعارك ما كان بين يدى المهدى عجل الله فرجه.

أولاً: لأنّ قائدها إمام معصوم لا يخطئ، نصبه الله خليفة له على الناس فهو لا يعمل إلا بما أمر الله، ينفّذ المشيئة الإلهية بدون إبطاء أو تأخير، وكل عمل يقوم به يكون خالصاً لوجه الله لا تشوبه شائبة من رياء أو عجب أو مصلحة شخصية أو غيرها من الدواعي التي تفسد العمل أو تلوّث طهره ونقاءه.

إنّ شخصية القيادة لها دور في الطاعة والانقياد بل التسليم المطلق إذا كانت تستمدّ مشروعيتها من الله وبإذن منه.

ثانياً: إنّ الإمام المهديّ يهدف من وراء ثورته المباركة إلى تحقيق أعظم إنجاز بشري حيث يحقّق حلم الأنبياء في إقامة حكم إسلامي يعمّ الأرض كلها ويشمل العالم أجمع فلا يبقى غير التوحيد ورايته في الكون فينتشر العدل والقسط وينتهي دور الجور والظلم ويتذوّق الناس طعم الإيمان في حياتهم حتى يتمنّى الأموات لو عادوا إلى الدنيا ليعيشوا أيام المهدي عجل الله فرجه وفي ظلال حكمه ودولته.

إنّ إقامة حكم الله في الأرض هو ما يريده الله تعالى من كل فرد من الناس، فكيف إذا توفّر القائد المنصوب من قِبَلِ الله، هل يبقى عذر لأحد يعتذر به إذا لم ينضمّ إلى قواعد هذا الإمام ويكون من جنده وأتباعه؟!...

إنّ شيعة الإمام المهدي عليه السلام ومَنْ آمن به وبقيادته يطمئنون إلى أمره ونهيه، ولذا يسلّمون له القيادة ويندفعون بكل طاقاتهم وقدراتهم لتحقيق مراده فإنّ معنويات الفرد تعطيه القدرة المضاعفة ليواجه الأحداث وما يمرّ به من مخاطر وبمقدار المعنويات وجرعات الأمل يكون النشاط ويكون البذل والعطاء وقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قوله: إذا قام قائمنا أذهب الله عزَّ وجلَّ عن شيعتنا العاهة وجعل قلوبهم كزُبُر الحديد وجعل قوّة الرجل منهم أربعين رجلاً ويكونون حكّام الأرض وسنامها..[1]

فهذا الحديث يكشف أنّ كل العاهات، الأمراض النفسية والشكوك والتردد كل ذلك يرتفع من قلوب شيعة المهدي، وتصبح قلوبهم مطمئنّة ساكنة قويّة قد طرد الخوف منها وحلّ محلّه الإقدام والجرأة والثبات ويتحوّل ذلك إلى أن تتضاعف القوّة فتكون قوّة الرجل بقوة أربعين رجلاً ممّن لا يملك رؤيته وعقيدته وإيمانه، وهذا واضح بالوجدان فإنّ من يؤمن بقضيّة إيماناً راسخاً ثابتاً تزداد قوّته ويزداد نشاطه ويستمرّ في جهاده حتى النصر ويتحّول من حالة الاستضعاف التي هو فيها إلى أن يكون الحاكم فيها والمتولّى لشؤون البلاد والعباد قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[2].

وإنّ من يجاهد بين يديْ المهدي وفي صفوف جنده يعطيه الله أجراً عظيماً، إن قتل عدوّاً أو قُتل، وقد ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قوله: «**من أدرك قائمنا**

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣١٧.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥.

فقُتل معه كان له أجر شهيدين، ومن قتل بين يديه عدوّاً لنا كان له أجر عشرين شهيداً»[١].

وفي الحديث عنأ جعفر عليه السلام قال: «**فإذا وقع أمرنا وجاء مهديّنا كان الرجل من شيعتنا أجرى من ليث وأمضى من سنان، يطأ عدوّنا برجليه ويضربه بكفّيه وذلك عند نزول رحمة الله وفرجه على العباد**»[٢].

امتحان وغربلة

جوهر الأشياء لا يُعرف إلا بالاختبار والامتحان فالمعدن بالصهر بالنار فيمتاز الجيد من الرديء مع معرفة نوعية المعدن وصنفه، وبالغربال تمتاز حبّات الحنطة الجيدة من غيرها، والأحجار الكريمة يمتحنها الخبراء فيكشفون صحيحها من سقيمها وهكذا...

وامّا الرجال فتمتحن بثباتها على المبادئ ومقدار تمسكها بها والإصرار على الاستمرار عليها ولا يكون ذلك الامتحان إلا بما يتعرضون له من الشدّة والقسوة والاضطهاد والمطاردة والتشريد، أو بالتكذيب والتشكيك والاتهامات الباطلة. فإن تغلّب أصحاب المبادئ على كل تلك الشدائد ونجحوا أمام هذا التحدّي فعندها تكتب لهم المواقف الصادقة ويستحقّون بجدارة أن ينتسبوا إلى مبادئهم وينتموا إلى مذاهبهم...

وإنّ الإيمان بالمهديّ هو الاختبار الذي سيحدّد هويّة المؤمنين به الصادقين في انتمائهم إليه وبالتالي إلى الدين الذي ينتسبون إليه. الإيمان بالمهديّ وبالتفاصيل الدقيقة لهذه الشخصيّة العظيمة يتعرّض لأخطار كبيرة وعظيمة لا يثبت على الإيمان بها إلا قلّة قليلة، حيث ستتعرّض هذه الشخصيّة إلى استبدالها

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣١٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣١٨.

بغيرها عند غير المسلمين، وأمّا عند المسلمين فبعد الإيمان بالمهديّ كحقيقة إيمانية جاء بها النبي الذي لا ينطق عن الهوى، وهي نبأ عظيم لمستقبل واعد يبشّر به النبي صلى الله عليه وآله بلسانه مباشرة، أو ما أعطاه لأصحابه والأئمة من آله، أقول: بعد هذا الإيمان بالأصل يتنكّر كثيرون لحقيقة هذه الشخصيّة بتفاصيلها، مع ورود ذلك كله بالطرق الصحيحة التي ثبت بها أصلها.

إنّ الامتحان سيكون صعباً جداً لا يثبت أمامه إلا قلّة قليلة حيث ستثار أمام المؤمنين بالمهدي عليه السلام شبهة ولادته وغيبته وعمره المديد وظهوره، وهكذا ستتوالى التشكيكات والتساؤلات والشبهات في غفلة عمّا ورد في لسان الغيب الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله عن هذه الشخصيّة العظيمة التي ستقضي على الظلم وتنشر العدل في مستقبل الأيام حينما يأمر سبحانه بظهور هذا المنقذ المظفر...

إنّ الامتحان بالمهديّ والإيمان بتفاصيل ما ورد فيه سيكون هو الميزان في تحديد هويّة من يؤمن به على وجه الحقيقة ممّن يدّعي ذلك بدون حقّ. وهذا الامتحان أخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله على ألسنة من استودعهم علمه، فهذا الإمام الباقر عليه السلام، يقول: إنّ حديثكم هذا لتشمئز منه قلوب الرجال فانبذوا إليهم نبذاً فمن أقرّ به فزيدوه ومن أنكر فذروه، إنه لا بد من أن تكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليجة حتى يسقط فيها من يشقّ الشعرة شعرتين حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا[1].

فالإمام المهدي باعتباره خارج المألوف وخلاف ما اعتاد عليه الناس سواء كان في مولده أو غيبته أو عمره أو غير ذلك فإن الإمام الباقر عليه السلام يضع قضيّة المهديّ في غاية الصعوبة؛ لأنّ الإيمان بالمهدي يحتاج إلى إيمان بالغيب ووقوف بصدق أمام ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله ولذا يقول الباقر إنّ على الشيعة أن يدفعوا بأخبار المهدي تدريجاً فمَنْ قَبِلَ ما تعطيه أولاً زده ومن أنكر عليك فاتركه، ثم

(١) غيبة النعماني. ص٢١٠.

يبيّن أنه لابُدَّ من اختبار يسقط فيه حتى اللبيب الفهيم الذي يمتلك قدرة فائقة في الأمور وهكذا يتساقط الرجال حتى لا يبقى إلا الأئمة وشيعتهم المخلصون وهذا واضح فإنّ المسلمين غير الشيعة لا يؤمنون بالمهدي كما يؤمن الشيعة وإن آمنوا بأصل القضيّة...

ثم إنّ الشيعة أنفسهم لابُدَّ لهم من امتحان حتى يصفّى خالص المؤمنين بالمهدي ففي الحديث عن أبي بصير يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: واللّه لَتُميَّزُنَّ واللّه لَتُمَحَّصُنَّ واللّه لَتُغَرْبَلُنَّ كما يُغربَل الزؤان من القمح[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لتمحصنّ يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل من العين، وإنّ صاحب العين يدري متى يقع الكحل في عينه ولا يعلم متى يخرج منها، وكذلك يصبح الرجل على شريعة من امرنا ويمسي وقد خرج منها، ويمسي على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها[2].

وقال الرضا عليه السلام: واللّه لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تُمحَّصوا وتميّزوا وحتى لا يبقى منكم إلا الأندر فالأندر[3].

---

(١) شيبة النعماني، ص٢١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٦.

لا مكي مع المهدي

وقفت مكّة في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وحاربته بكل الوسائل المتاحة لديها حتى تآمرت في نهاية المطاف على قتله والتخلّص منه، ولكنّ الله خلّصه من أيديها، فهاجر إلى المدينة واستقرّ فيها وأخذ ينشر دعوته ويبلّغ رسالته فلحقت به قريش وأعلنت عليه الحرب وجيشت الجيوش وجنّدت العساكر وغزته مع حلفائها غير مرّة ولكنها باءت بالفشل الذريع، فردّ الله كيدها وانتصر عليها الرسول وكان فتح مكة التي أذعنت من خلاله أنها هُزمت وقُهرت فأسلمت - بل استسلمت - على مضض وزغل تحمل الغشّ والمكر في نفسها.

مكّة هذه ستواجه المهديّ - ابن رسول الله صلى الله عليه وآله - بما واجهت به جدّه، والإمام يعلم ذلك ويعرف أنها تحمل العداوة له - كما حملتها لجدّه من قبل - ولذا يقول عليه السلام لأصحابه «**يا قوم إنّ أهل مكّة لا يريدونني ولكني مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي أن يُحتج عليهم، فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: امض إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة أنا رسول فلان - يعني المهدي - إليكم وهو يقول لكم: إنّا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذريّة محمد صلى الله عليه وآله وسلالة النبيّين، وإنّا قد ظُلمنا واضطهدنا وقُهرنا وابتزّ منّا حقّنا منذ قُبض نبيّنا إلى يومنا هذا فنحن نستنصركم فانصرونا.**

فاذا تكلّم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام وهو النفس الزكيّة، فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه: ألا أخبرتكم أنّ أهل مكة لا يريدوننا[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٠٧.

ومن غرائب الأمور وعجائبها أن لا تجد من أصحاب المهديّ الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً واحداً من مكّة بالرغم من أنها أطهر بقعة في الكون وحقّ أهلها أن يكونوا في طليعة المناصرين للمهديّ والمنتصرين له، ولكنها مكّة وسوء طالع أهلها حيث يعيشون الغباء والبُعد عن الله وهم في بيت الله ففي الحديث عن أبي عبد الله - الصادق عليه السلام يقول: سيأتي في مسجدكم، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً - يعني مسجد مكة - يعلم أهل مكة أنه لم يلدهم آباؤهم ولا أجدادهم، عليهم السيوف مكتوب على كل سيف كلمة تفتح ألف كلمة...[١]

وفي خبر آخر عن أبان بن تغلب قال: كنت مع جعفر بن محمد عليه السلام في مسجد مكّة وهو آخذ بيدي وقال: يا أبان سيأتي الله بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً في مسجدكم هذا، يعلم أهل مكة أنه لم يُخلق آباؤهم ولا أجدادهم بعد، عليهم السيوف مكتوب على كل سيف اسم الرجل واسم أبيه وحليته ونسبه، ثم يأمر منادياً فينادي: هذا المهديّ يقضي بقضاء داوود وسليمان، لا يسأل على ذلك بينة[٢].

يقوم المهديّ عليه السلام بعمليّة تطهير لمكة ويبتدئ بمن يتولّى البيت الحرام لما له من شأن وأهمية ويحتلّ الزعامة وله الوجاهة فيأخذهم المهدي عجل الله فرجه ويقتصّ منهم ويشهّر بهم حتى يعرف الناس فسقهم وتسقط مكانتهم من قلوبهم تقول الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: «**أما إنّ قائمنا لو قد قام لقد أخذ بني شيبة وقطع أيديهم وطاف بهم وقال: هؤلاء سرّاق الله**»[٣]. وفي رواية أخرى عن الصادق عليه السلام قال: «**وقطع أيدي بني شيبة وعلّقها على باب الكعبة وكتب عليها: هؤلاء سراق الكعبة**[٤] **وهذه العقوبة لبني شيبة لأنهم قوم متمرّدون لم يعرفوا حرمة البيت الحرام ولم يحفظوا كرامته فهم قوم خونة يأكلون ما يأتي إليه ويعتدون**

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٨٦.

(٢) البحار، ج٥٢، ص ٣٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢١٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٣٨.

على المقدّسات ولم يراعوا زواره ومن قصده لقضاء مناسكه ولعلّ هناك أسباباً أخرى يكشفها الإمام ولعلّ أهمّها عدم الإيمان بالمهدي عليه السلام وعدم الوقوف معه كما هو الحال في الغالب من أهل مكّة حتى وردت الروايات أنّ المهدي عليه السلام يضرب أعناق جملة من قريش لأنها تقف في وجهه وتسعى لحربه كما سعت من قبل في حرب جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ففي الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا قام القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات.....[1]

يقيم المهدي عليه السلام في مكّة ما شاء الله حتى يستتبّ الأمن وتصلح الأمور ويطمئنّ إلى سلامة الأوضاع واستقرارها وبعد أن يكتمل العقد - ويصبح جنده عشرة آلاف ويزيدون - ويتمّ الخسف بجيش السفياني في البيداء - عندها يخرج المهدي عليه السلام إلى المدينة ليطهرها من جيش السفياني ويكمل مسيرته التحريرية إلى العراق وغيرها من البلاد...

---

(١) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٣٣٨.

أهل مكة ينقضون عهدهم

لا يخرج المهدي عليه السلام من مكّة إلا بعد أن تدين له بالطاعة ويطمئنّ عنها وقبل خروجه يُعيِّن عليها والياً يدير أمورها ويرعى شوؤنها ويحفظ أمنها واستقرارها. ولكنّ هذه المدينة الطيّبة والبلد الحرام لا تحفظ هذه الحرمة فتُقدم على جريمة كبرى حينما تنقض عهدها الذي أعطته للمهدي بأن تكون على ولائه وطاعته وتحت قيادته وتُقدم على قتل من ولاّه الإمام عليها جرأة على الله ورسوله وتنتهك بذلك حرمة البيت، فما يكون من الإمام المهدي عليه السلام إلا أن يعود إليها ويؤدّب الخارجين على القانون والمعتدين على أصحابه ومن ولاّه من أنصاره. تقول الرواية عن أبي جعفر عليه السلام قال: يبايع القائم بمكة على كتاب الله وسنة رسوله ويستعمل على مكة ثم يسير نحو المدينة فيبلغه أن عامله قُتل فيرجع فيقتل المقاتلة ولا يزيد على ذلك[1].

بعد هذه الحادثة المؤلمة تطمئن مكّة وتستقرّ ويعود إليها أمنها وهدوؤها وينطلق المهدي عجل الله فرجه في مهمّته في إزالة الظلم والجور وفي بسط العدل في الأرض..

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٠٨.

كيف يدخل المهدي عليه السلام الكوفة

تنقل الروايات صورة بديعة عن دخول المهدي عليه السلام إلى الكوفة، يدخلها عليه السلام وتنتقل صورته فوراً بتغطية مباشرة بحيث يراه كل الناس أينما كانوا في بلاد الله.

قال أبو عبد الله عليه السلام - الصادق - كأنني بالقائم على ظهر النجف لابس درع رسول الله صلى الله عليه وآله فتتقلّص عليه، ثم ينتفض بها فتستديرُ عليه، ثم يغشي الدرع بثوب إستبرق ثم يركب فرساً له أبلق بين عينيه شمراخ ينتفض به لا يبقى أهل بلد إلا أتاها نور ذلك الشِّمراخ[1] حتى يكون آية له، ثم ينشر راية رسول الله، إذا نشرها أضاء لها ما بين المشرق والمغرب.

وقد عبّر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن هذا المعنى المتقدّم في قوله «**كأنني به القائم**» قد عبر وادي السلام إلى مسيل السهلة على فرس محجّل له شمراخ يزهر يدعو ويقول في دعائه:

لا إله الا الله حقّاً حقّاً، لا إله الا الله إيماناً وصدقاً، لا إله الا الله تعبّداً ورقّاً، اللهم معزّ كل مؤمن وحيد، ومذلّ كل جبّار عنيد، أنت كنفي حين تعييني المذاهب وتضيق عليّ الأرض بما رحبت.

اللهم خلقتني وكنت غنيّاً عن خلقي ولولا نصرك إياي لكنت من المغلوبين، يا منشر الرحمة من مواضعها، ومخرج البركات من معادنها، ويا من خصّ نفسه بشموخ الرفعة فأولياؤه بعزّه يتعزّزون، يا من وضعتْ له الملوك نير المذلة على أعناقها فهم من سطوته خائفون.

أسألك بإسمك الذي فطرت به خلقك فكلٌّ لك مذعنون، أسألك أن تصلي

---

(١) الشمراخ = غُرّة الفرس إذا دقت وسالت وجللت الخشيوم ولم تبلغ الجحفلة.

على محمد وآل محمد، وأن تنجز لي أمري وتعجّل لي في الفرج وتكفيني وتعافيني وتقضي حوائجي الساعة الليلة الليلة إنك على كل شيء قدير[١].

وفي الحديث تتجلّى لنا كرامة المهديّ على الله حيث يخلع عليه ربه درع رسوله محمد وكيف يتمّ تسويتها حتى تُلائم بدنه المبارك، ثم كيف يركب هذا الفرس الأبلق ذا الشمراخ الذي يراه الناس في كل بلاد الله...ثم بعد ذلك ينشر راية رسول الله - وقد فصّلنا الحديث عن راية رسول الله التي ينشرها المهدي عليه السلام وكشفنا عنها في مكان آخر من الكتاب. وأيضاً هناك صورة أخرى ينقلها العياشي في تفسيره عن الإمام الباقر عليه السلام تظهر عظمة المهدي عليه السلام والكرامات التي منحها الله له، ففي تفسير قوله تعالى ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾[٢]. يقول عليه السلام: ينزل - المهدي - في سبع قباب من نور لا يُعلم في أيّها هو حين ينزل في ظهر الكوفة فهذا حين ينزل. وفي رواية أخرى «**إنه نازل في قباب من نور حين ينزل بظهر الكوفة على الفاروق**».

هذه معجزة للإمام المهدي عليه السلام وكرامة له من الله إذ جعل الله دخوله في قباب من نور يراها العالم ويرى من فيها لتكون عبرة للمعتبرين ووسيلة من وسائل الإقناع والتربية للناس، ولتبقى قباب النور كما هي ولا داعي لتفسيرها أو تأويلها بسرب من الطائرات الحديثة يكون الإمام في إحداها تمويهاً لسلامته إذ مع إمكان حملها على المعنى الأول حيث تكون كرامة من الله لوليه فلماذا نسلبه هذا الشرف وهذه الكرامة لنلحقه بسائر القادة الآخرين الذين لأمنهم تتعدّد مواكب التمويه الناقلة لهم وتتعدّد وسائل النقل في الموكب الواحد حتى لا يعرف المسؤول في أيّها يكون...

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٩١.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٣٣.

المهدي والجيوب البشرية الفاسدة في الكوفة

يتمّ النصر للمهدي عليه السلام في الحجاز والعراق، وعندما يدخل الكوفة يجد فيها ثلاث رايات مضطربة - كما في الرواية - لعلّ هذه المجموعات الثلاث تريد بعض المكتسبات لنفسها ولكنها لا تلبث أن تختفي إما عن طريق القوّة التي تراها عند المهدي عليه السلام وأنه لا طاقة لها في حربه والوقوف في وجهه، وإمّا لأنها اقتنعت بصدق المهدي وصواب طريقته فعادت إلى رشدها.

في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام «**الباقر**» قال: «**يدخل المهدي عليه السلام الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت بينها فتصفو له، فيدخل حتى يأتي المنبر ويخطب ولا يدري الناس ما يقول من البكاء..**»[1].

نعم يبقى أمام المهدي عليه السلام في الكوفة جيب من جيوب الفساد الفكري المتمثّل في شلة تسمّى البتريّة تحمل السلاح في وجهه وتطلب منه العودة من حيث أتى، فيجرد عليها السيف ويتناولها به ويتّم القضاء عليها بيسر وسهولة، ثم يتتبّع المفسدين في عاصمة ملكه حتى يتمّ تنظيفها ولا يبقى فيها ما يعكّر صفوها فكراً وأمناً واستقراراً. تقول الرواية عن أبي جعفر عليه السلام «**الباقر**». إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة فيخرج منها بضعة آلاف أنفس يدعون البتريّة عليهم السلاح فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم ثم يدخل الكوفة فيقتل بها كل منافق مرتاب، ويهدم قصورها ويقتل مقاتليها حتى يرضى الله عز وعلا[2].

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٨.

الكوفة عاصمة حكم المهدي عليه السلام

بعد أن يدخل المهدي عليه السلام العراق يتوجّه إلى مدينة الكوفة - التي كانت في زمن خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عاصمة حكمه - ويتخذها مركزاً لخلافته مجدّداً بذلك عهد جدّه ومعيداً لهذه المدينة تاريخها العريق وأيامها الزاهرة وحركتها ونورها حيث منها سينطلق المهدي عليه السلام إلى تحرير القدس ثم إلى تحرير العالم....

الكوفة الغرّاء ستستقبل المهدي عليه السلام وستكون محور الدنيا ومركز الإشعاع الحضاري تنطلق منها أوامر المهدي تنظيماً للجيوش ونشراً للعلم والمعرفة ومنها تصدر الأمور وإليها تعود وكل نبأ مهمّ سيمرّ عبرها ومن خلالها، وإذا كانت إقامة المهدي عليه السلام فيها فلابُدَّ وأن تتحوّل إلى مزار ومقصد لكل البشرية فضلاً عن المؤمنين بالمهدي والمعتقدين بولايته. ومن هنا يقول الإمام الباقر عليه السلام: إذا دخل القائم الكوفة لم يبق مؤمن إلا وهو بها أو يجيء إليها وهو قول أمير المؤمنين.

يقول لأصحابه: سيروا بنا إلى هذا الطاغية[1]... وفي الرواية الأخرى عن الباقر أيضاً يقول: كأني بالقائم على نجف الكوفة وقد سار إليها من مكّة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، والمؤمنون بين يديه، وهو يفرّق الجنود في البلاد.

المهدي يبني أكبر مساجد العالم

بعد أن يستقرّ المهدي عليه السلام في الكوفة ستصبح مطمح أنظار المؤمنين في العالم

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٠.

حيث يولّون وجوههم شطر المنقذ المنتظر ليسعدوا برؤيته وينعموا في ظلّ حكمه ولذا ستزدحم الكوفة وتضيق بأهلها وبالوافدين عليها وعندما يقيم الإمام أول صلاة للجمعة سوف لا يتسع المكان للمصلّين فمن هنا سيسأل الناس الإمام أن يرتاد موقعاً يتسع للمصلّين فيخرج الإمام ويخطّ مسجداً له ألف باب لكي يسهل الأمر للداخلين والخارجين، تقول الرواية:

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: فإذا كانت الجمعة الثانية - بعد أن يقيم الإمام الجمعة الأولى في الكوفة بعد قدومه إليها - قال الناس: يا ابن رسول الله، الصلاة خلفك تضاهي الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله والمسجد لا يسعنا، فيخطّ مسجداً له ألف باب يسع الناس عليه أصيص[1]... والأصيص هو البناء المحكم.

أكبر المساجد

ثم إنّ ازدهار الحياة الاقتصادية والسياسة والاجتماعية سيساعد كل ذلك في إقبال الناس على الصلاة كمظهر من مظاهر الإيمان وتعبيراً صادقاً عن عقيدة صالحة، ولذا لا يكفي هذا المسجد الكبير لاستيعاب المصلّين من جهة ولامتداد رقعة الكوفة حيث يتصل العمران ويترابط البنيان حتى يبلغ الحيرة ونهر البصريّين والغريّين ففي الحديث عن حبة العرني قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحيرة فقال: ليتصلن هذه بهذه - وأومأ بيده إلى الكوفة والحيرة - حتى يباع الذراع فيما بينهما بدنانير وليبنين بالحيرة مسجداً له خمسمائة باب يصلي فيه خليفة القائم عليه السلام لأنّ مسجد الكوفة ليضيق عليهم وليصلّين فيه اثنا عشر إماماً عدلاً.

قلت: يا أمير المؤمنين، ويسع مسجد الكوفة هذا الذي تصف الناس يومئذ؟

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٧.

قال: تبنى له أربعة مساجد مسجد الكوفة أصغرها ومسجدان في طرفي الكوفة من هذا الجانب وهذا الجانب - وأومأ بيده نحو البصريّن والغريّين...[١]

هذه الرواية تكشف

١- مدى أهميّة الكوفة وكيف ستصبح ملاذاً لكل الأحرار والأخيار والمؤمنين بخطّ أهل البيت.

٢- كيف تتوسّع رقعة الكوفة حتى تتمدّد لتتصل بالحيرة وبنهر البصريّن والغريّن.

٣- إنّ ازدحام الناس وكثرتهم وتعدادهم الكبير وإقبالهم على الصلاة هذا سوف يستدعي تعدّد المساجد فالإمام يصلي في أكبر المساجد وأهمّها، وأما المساجد الآخرى فيصلي فيها نوابه.

مسجد السهلة - سكنى المهدي عليه السلام

بالقرب من الكوفة وعلى بعد بضعة كيلومترات يقع مسجد السهلة وهو مسجد مبارك اتخذه بعض الأنبياء منزلاً لهم ولعوائلهم فكان الترتيب الإداري يقتضي أن يكون مركز الخلافة في الكوفة بينما السكنى تكون في السهلة، وعلى هذه الطريقة والسُنّة الشريفة ستكون سيرة المهدي وسنته حيث سيتخذ من السهلة محلّ سكناه وسكنى عائلته وستبقى هذه البقعة المباركة محلّاً لسكنى من يأتي بعده ففي الحديث عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا أبا محمد كأني أرى نزول القائم في مسجد السهلة بأهله وعياله.

قلت: يكون منزله جعلت فداك؟

قال: نعم، كان فيه منزل إدريس وكان منزل إبراهيم خليل الرحمن، وما بعث

(١) بحار الأنوار. ج٥٢. ص ٣٧٤.

الله نبيّاً إلا وقد صلّى فيه، وفيه مسكن الخضر والمقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله صلى الله عليه وآله. وما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وقلبه يحنّ إليه.

قال: نعم.

قلت: فمن بعده؟

قال: هكذا من بعده إلى انقضاء الخلق...[١]

وقال أبو عبد الله عليه السلام وقد ذكر مسجد السهلة «**أما إنه منزل صاحبنا إذا قام بأهله**[٢].

المهدي يهدم مساجد ضرار

سيرة المهدي عليه السلام مشتقّة من سيرة رسول الله تأخذ شرعيتها ومشروعيتها منها، فكما أن رسول الله صلى الله عليه وآله بنى المساجد ودعا إلى بنائها، بل أول دخوله المدينة كانت همّته ومهمّته أن يبني مسجده المبارك، وقد تمّ ذلك وأصبح مسجده ملتقى المسلمين ومحلّ اجتماعهم. ففي الوقت نفسه الذي دعا النبي صلى الله عليه وآله إلى عمارة المساجد قام بهدم مسجد ضرار الذي اتخذه المنافقون وكراً للكفر وتفريق المؤمنين وزرع الفتن والشقاق في صفوف المسلمين.

إنّ المسجد المقدّس الطاهر محل العبادة والدعاء إلى الله إذا انحرف في غايته وأهدافه عمّا وُضع له كان الصلاح والخير في هدمه وإزالة وجوده لأنه يتحوّل إلى مركز للضلال والكفر والانحراف. وهذا أمر لا أظنّ أحداً ينكره أو يتنكّر له أو يتردد فيه أو يستشكل في صحة القرار بهدمه. كيف وقد فعل ذلك رسول الله ونزلت في ذلك آيات الوحي في القرآن[٣]؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٨١.

(٢) الإرشاد/التهذيب/الغيبة للطوسي.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى «والذين إتخذوا مسجداً ضراراً».

وإن الإمام المهدي عليه السلام الذي على يديه سيكون خلاص العالم، لن يتردد في هدم كل مسجد ينحرف عن الهدف الذي وُضع له والغاية التي تُرجى منه. ولذا عندما يستقرّ في عاصمة حكمه في الكوفة، ستبقى بعض النفوس المريضة الحاقدة على الحقّ تكيد للإسلام وتحيك المؤامرات، وإنّ أفضل الأماكن التي تغطّي عليها أعمالها القبيحة وتستطيع فيها أن تنفذ إلى مرامها هي بعض المساجد التي تُتخذ لهذا الأمر الخطير. ومن هنا يأمر الإمام بهدمها لما تشكلّه من خطر على الإسلام وعلى وحدة المسلمين.

وفي الحديث عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام **«إذا قام القائم دخل الكوفة وأمر بهدم المساجد الأربعة حتى يبلغ أساسها ويصيّرها عريشاً كعريش موسى**[1].

وهذه المساجد عرفت بالمساجد الملعونة، وطبعاً لعنت لأنها كانت مصدراً للشرّ والفتنة، ولعلها المساجد التي أشار إليها الإمام الباقر عليه السلام في قوله **«جُدّدت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً بقتل الحسين عليه السلام: مسجد الأشعث، ومسجد جرير، ومسجد سماك، ومسجد بني ربعي، لعنهم الله**[2].

إنّ مسجداً يُجدَّد ويرمَّم فرحاً بقتل الحسين عليه السلام لهو مسجد سوء يجب إزالته لأنّ الحسين هو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الثائر من أجل الله، الرافض للظلم والطغيان، الذي جسّد الإسلام قولاً وعملاً وقدّم أعظم التضحيات في سبيل الله وفي سبيل الإسلام والإنسان.

إنّ مسجداً يبنى أو يجدّد فرحاً بقتل الحسين لا يجب ان يبقى له أثر أو خبر؛ لأنه يخرج عن الأهداف الإسلامية التي تُبنى المساجد من أجلها، ووجوده يشكّل ضرراً فادحاً لما يحمله من خلفيّات في منتهى الانحراف والعصيان والتمرّد على الله ورسوله...

---

(١) غيبة النعماني، ص ٢١٧/ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٦٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٨٩.

والإمـام المهدي عليه السلام يقوم أيضاً بهدم البدع التي استُحدثت في المساجد كالمقاصير التي بناها الخلفاء والأمـراء في مقدّمات المساجد ليصلّوا بها ويأمنوا الاعتداءات عليهم. وأيضاً يأمر المهدي بهدم ما استجد من بدع محدثة في المساجد.

مفردات من العدل والإصلاح عند دخول المهدي الكوفة

لا يغيب عن ذهننا أنّ العالم عندما يظهر المهدي عليه السلام يكون غارقاً في الظلم والاعتداء على الضعفاء وعلى من لا قوّة لهم تحميهم أو تدفع عنهم عذاب الظالمين وسياطهم. إنّ المجتمع، يومذاك، يعيش حالة في غاية الانحطاط حيث القويّ يأكل الضعيف، والكبير لا يرحم الصغير، ولا يعود للقيم معنى أو نصيب. في أجواء الظلم يأتي المهدي عليه السلام ليقدّم الإسلام في أروع تجاربه وأنصع صفحات حركته. يأتي المهدي ليحرّر من وقع في نير العبودية فيفك أسره ويعطيه حرّيته. وأمّا الغارم المديون الذي وقع في عجز عن سداد ديونه فراح في همّ وغمّ فإنّ المهدي سيكون له نعم المعين حيث يقضي دينه ويريحه من كابوس ثقيل يؤرق عليه منامه، أمّا المظالم الواقعة على الناس والتي تحيق بهم فإنّ المهدي عليه السلام هو وحده الذي سيتولّى رفعها، وسيعود كل مظلوم إلى رحاب العدل ببركة هذا القائد المظفر. ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام «**ثم يقبل «المهدي»** إلى الكوفة فيكون منزله بها، فلا يترك عبداً مسلماً إلا اشتراه وأعتقه، ولا غارماً «**مديوناً**» إلا قضى دينه، ولا مظلمة لأحد من الناس إلا ردّها، ولا يُقتل عبد إلا أدّى ثمنه «**فدية مسلمة إلى أهله**» ولا قتيل إلاّ قضى عنه دينه وألحق عياله في العطاء حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئتْ ظلماً وجوراً وعدواناً[1].

---

(١) تفسير العياشي، ج ١، ص ٦٦ / بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٢٢٥.

كيف ينتصر الإمام المهدي عليه السلام

إستفهام قد يبدو له ما يسوِّغه أمام الخريطة العسكرية المدجَّجة بالسلاح وأنواع المواد التدميرية التي تمتلكها الجيوش والدول المستكبرة، إذ كيف سيواجه الإمام هذه القوى؟ وكيف يقدر على دحرها وإلحاق الهزيمة بمن يحرّكها؟ وكيف يبسط سلطته على الكرة الأرضية فتخضع له الرقاب وتنقاد بملء إرادتها واختيارها أو بالاضطرار؟

والجواب: إنّ انتصار المهدي عليه السلام في معركته أمر محتوم لا مجال للشك فيه، إذ هو مدّخر لهذه المهمّة منذ عهد النبّوة المحمدية، وهو من الغيب الذي بشّر به رسول الله صلى الله عليه وآله وهيّأ الأمة لاستقباله في كل عصر وفي كل وقت، وأما أسلحة المواجهة التي بيد المهدي عليه السلام فهي لا تقلّ عن أسلحة خصومه، ومن يذهب إلى أن المهدي سينتصر بالدعاء فحسب فيقضي على أعدائه برفع يديه إلى السماء، فهذا وإن كان ممكناً ولكن المهدي لم تذكر الروايات أنه يستعمل ذلك ولن يكون الدعاء وحده هو السلاح. نعم يجب أن نقف أمام عوامل كثيرة ومتعددّة وأسلحة منظورة وغير منظورة وأجواء مؤاتية في عملية الانتصار ومن هنا يجب أن نتوقف أمام أمور:

الأول: العقيدة الصادقة

يجب أن نلتفت وبانتباه شديد إلى أن المهدي عليه السلام ومَنْ معه من المؤمنين يقاتلون بعقيدة لا يقف في وجهها أي سلاح في الكون فإن المعنويّات التي يتمتّع بها المقاتلون من أهمّ عناصر الانتصار. فمن يقاتل من أجل هدف يؤمن به

ويرى من خلاله السعادة الأبدية الكاملة التي تؤهّله لبلوغ الفوز فيما أعدّه الله للمؤمنين المجاهدين، مثل هذا المجاهد بدون شك ستكون قوتّه مضاعفة أضعافاً كثيرة وسيكون تخطيطه للمعركة وإحاطته بقوّات العدوّ وما يجب أن يواجهه به، هي واجبات عليه يجب القيام بها، ولذا وردت الروايات «**إن الرجل منهم - من أصحاب المهدي - يعطى قوة أربعين رجلاً وإن قلبه لأشدّ من زُبُر الحديد، ولو مرّوا بجبال الحديد لقطعوها لا يكفّون سيوفهم حتى يرضى الله عزّ وجلّ....**

إن الحكومات اليوم تعبِّئ جيوشها وتربيّها على المعاني التي تستبسل في الدفاع عنها كالوطنية والقومية وغيرهما من المعاني - وهي معان صغيرة - فكيف بمن يملك عقيدة إيمانية راسخة قويّة فينظر إلى الآخرة وما فيها وهو في عالم الدنيا؟ كيف سيواجه مثل هذا الشخص أعداءه وكيف سيقاتلهم؟ لا شك أن سلاح العقيدة أمضى سلاح في أي معركة ولنا في معارك المسلمين في بداية الإسلام مع النبي، صُوَرٌ رائعة تتجسّد فيها عقيدة الإيمان بأروع ما تكون حيث كانت أمنية المسلم أن يستشهد في سبيل الله لا ينظر إلى الدنيا إلا معبراً للآخرة وطريقنا إلى رضوان الله والسعادة الأبدية.

إنّ رجلاً يرى سعادته في شهادته لهو إنسان لا يُقَاوَمْ ولا يمكن هزيمته أبداً والنتيجة في النهاية مضمونة لصالحه وصالح أهدافه....

إنّ أصحاب المهدي عجل الله فرجه خلاصة الجيل البشري وصفوة الناس في كل الخصال والصفات، فلذا كانت عقائدهم في أرقى درجات الإيمان، وبهم يقاتل المهدي ولا تُردُّ له راية.

الثانية «القيادة الربانية»:

الإمام المهدي عجل الله فرجه قيادة ربانّية اصطفاها الله وانتدبها لمهمّة إنقاذ العالم، وهذه القيادة تتميّز من القيادات المعهودة والمعروفة في عالمنا الأرضي سواء

كانت هذه القيادات نتيجة انقلابات عسكريّة أو تسلّط بالقهر والغلبة، أو نتيجة انتخابات واختيار للناسن إذ كل هذه القيادات وهذه الأنماط من الحكّام يحملون القصور والنقص والمحدوديّة في الرؤية والنظرة ومن هنا تسقط أمام أي امتحان صعب أو أمام أي متغلّب شرس قاهر. ومن أنماط قصورها وضعفها ما تعانيه المجتمعات من مظلوميّة دائمة، ومن قهر وإضطهاد وظلم، ومن تصنيف للمجتمعات إلى طبقات، وهكذا.. بينما الإمام المهدي بحكم إختيار الله له فهو إمام معصوم لا يحتمل في حقّه الخطأ، فضلاً عن الخطيئة، إنه الإنسان الكامل الذي تصفّى من كل شوائب القصور، ولذا تكون كل أفعاله وأقواله وسلوكياته وسيرته ومسيرته مسددة بتوفيق الله لا يعتور طريقه خطأ.

إنّ الإنسان إذا نظر إلى هذه القيادة المهدويّة يطمئنّ إلى سلامة مسيرته وبراءة ذمته، ويقوم على تنفيذ أوامرها بدون تردّد، بل ينتظر أمرها ليقوم بأداء ما يطلب منه برغبة وشوق حيث يشعر بأجر الطاعة وثوابها وما تعطيه من فوائد وعوائد وثمرات.

تتميّز قيادة الإمام المهدي عليه السلام عن القيادات الأخرى بأنها قيادة أعطيت تأييّداً من قبل السماء وتمثّل ذلك في أمور:

أ- إنها قيادة صُنِعَتَ على عين الله فجاءت في أروع درجات الكمال وأرقاها بحيث تقاس الأمور من خلالها وفي ضوئها فلذا تكتسب شرعيّة تتقبلها العقول والقلوب وتنقاد إليها الأجساد والأجسام بملء إرادتها وحريتها عن قناعة كاملة بقيادتها، وإنها القيادة التي يتمّ على يديها تحرير العالم من براثن الظلم والقهر.

إن قيادة تطمئن إليها الناس لهي قيادة ناجحة تستطيع أن تقهر أعظم القوى وأكبر الدول والسلطات.

ب- هذه القيادة أعطيت قدرات علميّة وماديّة فهي قيادة ذُلّلتْ لها الطاقات

والكائنات حتى الجبال والهضاب ولم يعد يخفى عليها شيء في العالم، بل كل الدنيا تحت يديها، ترى صغير الأمور وكبيرها، حقيرها وجليلها، ففي الرواية: إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع له الله تبارك وتعالى كل منخفض من الأرض وخفض له كل مرتفع حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيّكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها[1]؟

إنّ قيادة تمتلك هذه القدرة الفائقة جديرة بالانتصار.

وأما عن العلم والمعرفة ففي زمن المهدي يرتقي هذا العلم ليكتمل ببركة هذا الإمام، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً[2].

وفي حديث آخر عن أبي جعفر قال: إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم[3].

الإمام المهدي عندما يمتلك هذه الطاقات الفكريّة والقدرات الماديّة فإن الناس ستنقاد له بملء إرادتها لأنها ترى الحقائق أمام بصرها، وسيدفعها ذلك إلى السير بركاب المنقذ العظيم.

ج- أُعطي الإمام المهدي عجل الله فرجه معجزات خارقة تكون ملزمة لكل الناس فكما وأنّ الأنبياء جاؤوا بالمعجزات وكانت الحجج الواضحة دليلاً على صدق دعواهم فيما أُرسلوا به فالإمام المهديّ يعطيه الله من المعجزات والكرامات ما يحمل الناس على الإيمان به وبدعوته وبالتالي ستدفعهم تلك المعجزات إلى معاضدته والانخراط تحت لوائه والاجتهاد في الجهاد بين يديه. فقد وردت الروايات «**تُطوى له ولأصحابه الأرض**» وأنه عليه السلام «**يرفع الله له كل**

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٢٩.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٣٣٦.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص ٣٢٨.

منخفض من الأرض ويخفض له كل مرتفع حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته». وأنّ عنده عصا موسى وقميص إبراهيم الذي أنزله الله ليحميه من النار ولا يكون له ظل، وينادي مناد من السماء باسمه يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه يقول: ألا إنّ حجّة الله قد ظهر عند بيت الله فاتّبعوه فإن الحقّ معه وفيه كما أن الملائكة تنزل لتكون إلى جانبه تسانده وتقوّيه وتلقي الرعب في قلوب أعدائه وهكذا...

د- يأس الأمم والشعوب من تجارب الحكم والسلطات الحاكمة: إنّ البشرية، خلال مسيرتها الطويلة تداولت فيها السلطة أنظمة مختلفة ومتنوعة، ولم يبق حلم يخطر بالبال في نوع من أنواع الحكم إلا ومرّ بتجربة وقد عانت البشرية من هذه الأنظمة الظالمة وقاست الآلام وتجرّعت الغصص ولم يفلح نظام حكم واحد في جلب السعادة إلى هذا الإنسان. ومن هنا عندما يأتي المهدي عليه السلام يأتي بحكم إسلامي كما أراد الله وكما نزل على قلب محمد صلى الله عليه وآله فترى البشرية فيه سفينة نجاة ومركب خلاص وهذا ما يفسّره قول الصادق عليه السلام **«ما يكون هذا الأمر - ظهور المهدي وحكمه - حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد وُلُّوا على الناس حتى لا يقول قائل: إنّا لو ولّينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحقّ والعدل»**.

وأيضاً هو ما يفسره قول أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: **«دولتنا آخر الدول، ولن يبقى أهل البيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا مَلَكنا سرْنا مثل سيرة هؤلاء وهو قول الله عز وجل ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[1].

فالإمام المهدي عليه السلام يأتي بطرح إسلامي يحكم البلاد والعباد بعد يأس الناس وتجاربهم المختلفة في الحكم، فتستجيب له الشعوب والأمم ويكون الخلاص على يديه...

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

هـ - فناء ثلثي الناس أو أكثر

يظهر المهدي عليه السلام بعد حرب طاحنة تقضي على ثلثي البشرية، وهذه الحرب على الأبواب إن لم نقل إنها قائمة، فإن الدول المستكبرة تريد السيطرة على الدول الضعيفة وتسخّر شعوبها في خدمتها وتريد أن تجعل تلك البلاد أسواقاً لتصريف إنتاجها وبضاعتها، وهذا بنفسه يستدعي من كل دولة كبرى أن تنافس مثلها وهنا تقع الواقعة لتضارب المصالح وتكون الحرب التي ادخرت لها تلك الدول أمضى الأسلحة وأقواها تدميراً، فإنّ مخزون المواد الكيماوية والأسلحة النووية والترسانة العسكرية يكفي لتدمير الأرض كلها ومثلها معها، ويكفي أن تأتي لحظة تهوُّرٍ أو استعلاء أو سيطرة أو غرور أو أي نوع من أنواع السقوط لتضغط أصابع الشر والإجرام على أزرار الموت والدمار فتكون الكارثة التي تأتي على الأخضر واليابس وتقضي على الناس....

وبعد هذه الحرب التي يذهب فيها ثلثا البشرية تعود الناس إلى عقولها فيأتيها نداء المهدي عليه السلام فتستجيب الناس لندائه لأنّ به الخلاص مما تعانيه، وهو الدواء الناجع لمآسيها ومصائبها وما تمرّ فيه...

إنّ ظهور المهديّ ونداءه يأتيان استجابة لشعور عام عند الناس بأنهم بحاجة إلى مخلّص صادق يرفع عنهم القهر والظلم ويعيد إليهم العزّة والكرامة والسعادة، فيأتي المهدي استجابة لذلك الشعور وترقباً منها لذلك الحدث المأمول.

ففي الحديث عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: لا يكون هذا الأمر - قيام المهدي - حتى يذهب تسعة أعشار الناس «وفي خبر آخر «ثلثا الناس»[1].

---

(١) غيبة النعماني، ص٢٨٣.

و- آيات كونيّة

تحدث قبل ظهور القائم علامات كونيّة تشكّل إرهاصات لحدث في غاية الأهميّة تجعل الناس في حالة استنفار وحديث دائم عمّا يجري ولماذا يجري وما وراءه وماذا يجب على الناس فعله؟ إنّ هذه الأحداث تحدث في نفوس الناس نوعاً من الإنتباه إلى ربهم وتجعلهم ينفضون غبار النسيان الذي استولى على الفطرة.

فالإمام أبو جعفر عليه السلام قال لمن سأله عن القائم: إنه لا يكون حتى ينادي مناد من السماء يسمع أهل المشرق والمغرب حتى تسمعه الفتاة في خدرها[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا رأيتم علامة في السماء ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالي فعندها فرج الناس، وهي قدّام القائم بقليل[٢].

ومن العلامات الكونيّة انكساف القمر لخمس تبقى والشمس لخمس عشرة وذلك في شهر رمضان وعنده يسقط حساب المنجّمين.

وأيضاً في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهردي - وهو المصبوع بالكركم - العظيم تطلع ثلاثة أيام أو سبعة فتوقّعوا فرج آل محمد..[٣]

٦- نزول المسيح:

عندما أراد اليهود أن يقتلوا المسيح ألقى الله شبهه على أحد المتآمرين عليه فألقوا القبض عليه ظناً منهم أنه المسيح وقتلوه صلْباً، أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إليه وجعله وديعة عنده إدخرها لمهمّة كبرى عندما يظهر المهدي عجل الله فرجه ليكون تحت رايته وداعية له يساعده ويعاونه في معركته، من هنا عندما يستقرّ المقام بالمهدي عجل الله فرجه يُنزل الله عيسى بن مريم فيلتقيان في القدس، وعندما يحين وقت الصلاة يدعو المهديّ للمسيح أن يصلي فيمتنع فيتقدم المهدي عجل الله فرجه ويصلي ويأتم

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

(٣) غيبة النعماني، ص ٢٦٢.

به المسيح، وهذا المعنى وردت به الروايات من طرق الفريقين السُنّة والشيعة ولم يختلف فيه أحد.

ينزل المسيح ليكون عوناً للمهدي عليه السلام حيث يكشف لمن يدّعي أنه من دينه وعلى شريعته أن عليهم أن يؤمنوا بالمهدي عليه السلام وبما يدعوهم إليه من الإيمان بالإسلام واتباع شرعه، فالمسيح له يد مباركة في حركة المهدي عليه السلام حيث يساهم في هداية الناس ودعوتهم إلى الله، فإنّ المسيحيّين عندما يرون المسيح يدعوهم فلابُدَّ وأن يحصل تغيير وانقلاب في الفكر والسلوك والحركات، وهذا من العوامل المهمّة التي تهيّئ الأجواء لانتصار المهدي في معركته التاريخية الحاسمة...

٧- بالحب منصور وبالرعب:

ألقى الله الرعب في قلوب أعداء جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فنصره الله في معاركه، وكذلك سينصر الله مهديَّه بالرعب نفسه، فإنّ هذا الإمام عندما ينطلق في فتوحاته فلا تُرَدُّ له راية - كناية عن تتابع إنتصاراته - وعندما يرى الناس سيرته يأخذون في الحديث عن عدله وكرمه وجوده وأهداف دعوته، ويتحدّثون بما كان قد وصلهم عن نبيّهم من أخبار المهديّ، عندها يتداعى المؤمنون إلى لقائه وبتشّوق وحبّ، ففي الحديث عن علي عليه السلام قال: إذا نادى مناد من السماء أنّ الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس - يعني يصبح المهدي وأخباره حديث الناس عامة وحديث الساعة - ويشربون حبّه ولا يكون لهم ذكْرُ غيره[1].

هذا حال عامة الناس ومقتضى طبيعتهم وعلى سجيتهم الفطريّة، وأما المرضى وأعداء الحقّ والعدل فترتعدُ فرائصهم ويسقط ما في أيديهم فلا يقدرون على مقاومته أو مواجهته، ولذا يصدمون بالنبأ العظيم وتنهار قواهم وينهزمون من

(١) منتخب الأثر للصافي، ج ٢، ص ١٢١.

داخلهم. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله «**إنّ القائم منّا منصور بالرعب مؤيّد بالنصر**»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: إذا قام القائم نزلت ملائكة بدر وهم خمسة آلاف[٢]. وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: لو خرج قائم آل محمد لنصره الله بالملائكة المسوّمين والمردفين والمنزلين والكروبين يكون جبرائيل أمامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن يساره والرعب يسير مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله والملائكة المقرّبون حذاه[٣].

نعم إنّ انهيار معنويّات الدول والشعوب والأمم يسقطها من داخلها ويهزمها في نفسها وهذه أولى خطوات الانهيار، وإذا تمّ ذلك - وكما هو المشاهد - فكيف إذا كانت الأمور على نحو الحقيقة وأنّ المهدي فعلاً يمتلك القدرات العظيمة التي بها يستطيع أن يحقّق الانتصارات ويلحق الهزائم بالأعداء؟! كيف إذا كانت الملائكة الكرام معه وفي خدمة أهدافه وغاياته وما ينشره ويتطلّع إليه؟!....

٨- وجود الأنصار

والإمام المهدي عجل الله فرجه ينتصر بأصحابه الذين ادّخرهم الله لهذه المهمّة العظيمة فعندما يتوفّر العدد المطلوب الذي على يديه يتمّ النصر تكون النتيجة حتميّة قطعيّة. وقد وصفت الأحاديث أصحابه - قادة الجيوش وأصحاب الألويّة وحكّام الولايات بأوصاف في غاية الأهمّية من كل الجهات المعنويّة والمادّية فهم أصحاب قوّة لا يقف في وجهها شيء إذا توجّهوا لأمرٍ تمّ إنجازه مهما كان ذلك الأمر صعباً وشاقّاً، ومهما كانت العقبات كبيرة وأما مستواهم العلمي والثقافي وما أُعطوا من قدرات فكريّة فهم في أعلى درجات القدرة العلمية بحيث إذا أراد أحدهم أن يعرف أمراً فتح كفّه وقرأ ما فيه فيأتيه الجواب سواء فُسّر ذلك عن طريق الإعجاز

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢١.
(٢) الغيبة للنعماني.
(٣) المصدر نفسه.

والكرامة أم عن طريق ما توصّلت إليه البشريّة من وسائل الكشف والاتصالات أو غير ذلك فإن هذا الأمر من مختصّات هذه الثلّة، وبطبيعة الحال فإن ما ينضم إلى المهدي عليه السلام من عديد وعدد - عندما يرون صدق ما يدّعيه - فإن ذلك يكون كافياً لتسجيل الانتصارات للمهدي عليه السلام ولجيشه ويشكّل هذا العدد القوّة التي تفتح البلاد ولا يقف في وجهها أي قوّة أخرى مهما كانت كبيرة وعظيمة...

٩- نضج الأمة فكرَياً وثقافياً:

إنّ من العوامل المهمّة لانتصار الإمام المهدي عليه السلام بلوغ الأُمّة في زمانه درجة عليا من النضج الفكريّ والثقافي بحيث عندما يعرض المهديّ الإسلام بصيغته التي أُنزل بها وكما هي في واقعها ستستجيب لها الأُمّة لأنّ هذا الإسلام عقيدة وشريعة تقبله الفطرة ويرتضيه العقل ويُشبع العاطفة ويروي من كل حاجة، إنّ إسلاماً صافياً نقياً طاهراً لابُدَّ من الإيمان به، إذا صادفه عقل يحمل الوعي والثقافة والإنصاف، فكيف بأمّة تؤمن بهذا الإسلام ولديها خميرة منه؟ فلابُدَّ وأن تستجيب للمهدي عليه السلام بمجرد أن يطرح هذا الإسلام وما يدعو إليه من جهاد وكفاح ومن حمل للسلاح في سبيل نشر الدين وإعلاء رايته وتحقيق أهدافه وما يصبو إليه من إقامة العدل والقضاء على الظلم.

حروب المهدي عليه السلام

بعد هزيمة جيوش السفياني التي وجّهها إلى المدينة وإلى العراق على يدي المهديّ عليه السلام يتوجه المهدي عليه السلام إلى الكوفة «**فيطيل بها المكث ما شاء الله أن يمكث حتى يظهر عليها**»[1] ولعلّ هذه الإطالة في مدّة البقاء في الكوفة كانت من أجل تطهيرها من الجيوب المتبقية من الأعداء والخوارج والبتريّة وغيرهم ومن أجل تثبيت الأمن وإرساء قواعد الدولة.

بعد استقرار الوضع في الكوفة يتحرّك المهدي عليه السلام بجيشه قاصداً السفياني فيدخل «**مرج عذراء**» وهي بلدة فيها قبر الشهيد حجر بن عدي الكندي الذي قتله معاوية بن أبي سفيان لولائه لعلي بن أبي طالب ووفائه له.

أما السفياني فيكون بوادي الرملة في فلسطين وهنا يكمل المهديّ مسيرته حتى إذا إلتقى الجمعان - جمع المهدي عليه السلام وجمع السفياني. ههنا تختلط الأوراق ويتمّ الفصل بين أصحاب الإيمان الصادقين في إيمانهم وبين المنافقين، ففي هذا الاجتماع سيتمّ الفرز الحقيقي والنهائي لأصحاب المهدي عليه السلام من جهة ولأصحاب السفياني من جهة أخرى.

إنه اللقاء الاخير في تمييز الصالحين من الخبيثين، ولذا سيخرج أناس كانوا مع المهدي عليه السلام ويلتحقون بالسفياني ويخرج أناس كانوا مع السفياني ويلتحقون بالمهدي عليه السلام ويُسمّى هذا اليوم - يوم الإبدال - لتبدّل الأشخاص والمواقع فشيعة

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٢٤.

آل محمد يحسمون أمرهم وشيعة السفياني يحسمون أمرهم وينضوي كل قوم تحت راية لها معالمها وقائدها وغاياتها وأهدافها...

وتدور المعركة بين المعسكرين «**معسكر المهدي عليه السلام ومعسكر السفياني**» ولا تنتهي المعركة إلا بالقضاء على السفياني ومن معه حتى لا ينجو منهم مُخبر[1].

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢٢٤.

الفتوحات الكبرى

تغيب التفاصيل في الفتوحات الكبرى في مصادرنا كما تغيب في مصادر العامة ولعله لأسرار وحِكَم مطويّة عنّا، وإن كنّا كما نحتمل اختفاءها لظروف مرّت بها الأُمّة، صعب على الرواة نقلها، أو لعدم اهتمامهم بها، أو لأنّ الكشف عنها بالتفصيل يضرّ بحركة المهدي عليه السلام وخططه والخريطة العسكرية التي ينتهجها ويسير عليها، وعلى كل حال فمع ذلك كله لم تخل الأحاديث والروايات من إشارات إلى ذلك وعناوين عريضة نستفيد منها فتوحات كبرى تتمّ وبيسر وسهولة حيث تُوطَّأ للمهدي عليه السلام كلُّ سبل الانتصار سواء كانت ماديّة أو معنويّة. وأنا سأنقل بعض الروايات بصيغتها التي صدرت عن أهلها وأعتمد في ذلك على مصادرنا.

في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام **«إذا قام القائم... إلى قوله: ويفتتح قسطنطينية والصين وجبال الديلم...»**[1].

وأيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثم يعقد بها القائم ثلاث رايات: لواء إلى القسطنطينية يفتح الله له، ولواء إلى الصين فيفتح له، ولواء إلى جبال الديلم فيفتح له[2].

وفي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: **«إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلا يقول عهدك في كفك فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيه»**.

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٣٨٨.

قال: ويبعث جنداً إلى القسطنطينية فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء فكيف هو؟ فعند ذلك يفتحون لهم باب المدينة فيدخلونها فيحكمون فيها بما يريدون[١].

ومن حديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**والله لكأني أنظر إليه - إلى القائم - وإلى أصحابه يقتسمون الدنانير على الجحفة، ثم تسلم الروم على يده فيبني فيهم مسجداً ويستخلف عليهم رجلاً من أصحابه ثم ينصرف**»[٢].

والمراد بقوله «**مسجداً**» جنس المسجد ويكون ذلك بحسب الحاجة للمناطق المفتوحة.

هذه الخريطة التي رسمتها الأحاديث يمكن أن تشير إلى بلدان العالم كلها، فإذا فتحت بلاد الروم - وهي رمز وإشارة إلى كل بلاد النصارى المسيحيّين - كما أن الصين رمز وإشارة إلى كل البلاد التي لا تدين بدين وايضاً بلاد الديلم التي يمكن أن تشير إلى البلاد الروسية ومنظومتها من البلدان التي تدور بفلكها، فإذا فُتحتْ هذه البلاد وبالطريقة التي فيها رعب وخوف نتيجة ما يرون من آيات يمتلكها المهديّ ومَنْ يوجهه من قادته لفتحها، أو نتيجة لقناعة تلك الشعوب حيث في الحديث - «**وتسلم الروم على يده - يد المهديّ - فيبني فيهم مسجداً ويستخلف عليهم رجلاً من أصحابه ثم ينصرف**»[٣].

كما أننا نلمح من خلال قوله «**وتسلم الروم على يده**» أنّ المسيحيين يستجيبون لدعوته إمّا مباشرة أو بوساطة المسيح الذي إدّخره الله في السماء حتى إذا خرج المهدي أنزله الله فكان المساعد له في حمل الدعوة إلى الله، وكان له الدور المهمّ في أسلمة أمته من المسيحيين خصوصاً عندما يرون

(١) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٣٦٥.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٨٩.
(٣) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٨٩.

نبيّهم - المخلّص - قد آمن بالمهديّ واتبعه وصلى خلفه وهو يدعوهم إلى الإيمان به وبما يدعوهم إليه، فإن استجابتهم ستكون سريعة وسهلة وبدون كثير عناء أو قتل أو قتال، ثم بطبيعة الحال إذا آمنت هذه الدول ودخلت الإسلام كان دخول غيرها من دول العالم الصغرى أيسر وأسهل حيث تحصل لها القناعة بصحة ما يدعو إليه المهدي....

رؤية الإمام

غياب الإمام عن الأنظار لا يعني أنه بعيد عن الناس وخصوصاً شيعته والمؤمنين به الذين ينتظرون خروجه ويتوقّعون ذلك في كل لحظة، بل هو يحوط شيعته برعايته وبركاته ويسدّد خطاهم وينقذهم في الأزمات المستحكمة التي يستعصي فيها الحلّ، نعم الإشكال في رؤية الناس له، وهل رؤيتهم له واقعة أم لا؟

ورد في التوقيع الصادر عنه إلى آخر سفرائه علي بن محمد السمري وقبل وفاة هذا السفير بستة أيام يقول في هذا التوقيع «**فلا ظهور إلا بعد إذن الله عزّ وجلَ وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وأمتلاء الأرض جوراً وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن إدّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفترٍ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»[1]. وهذا التوقيع أخرجه الشيخ الطوسي في كتاب «**الغيبة**».

وروى النعماني في كتاب «**الغيبة**» عن الصادق عليه السلام قوله: «**لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره.**

وروى الكليني في أصول الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم مكانه إلا خاصة مواليه».

والمقصود - بالمولى الذي يلي أمره - أو مواليه هم الذين يتولّون خدمته وشؤونه وقد وردت الرواية - الصحيحة كما في الكافي للكليني [2]وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**لابُدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبة**

(١) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، ص ٤٨٠.

(٢) الكافي، ج١، ص ٣٤٠.

ولابُدَّ له في غيبته من عزلة وما بثلاثين من وحشة».

وقد ذكر صاحب البحار ما نصه: «**وهذه الثلاثون الذين يستأنس بهم الإمام عليه السلام في غيبته لابُدَّ أن يتبادلوا في كل قرن إذ لم يُقدَّر لهم من العمر ما قُدَر لسيدهم ففي كل عصر يوجد ثلاثون مؤمناً وليّاً يتشرّفون بلقائه**»[١].

وهؤلاء الموالي هم الذين يقومون بخدمته ويتولّون شؤونه وينفّذون أوامره ويمكن - كما استفاد بعضهم - أن يكونوا الأبدال الذين لا تخلو الأرض منهم وأنه إذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر. أيضاً قد يقصد بهم النجباء كما في الأحاديث[٢].

ومن العجب أنّ بعض من ذكر هذه الروايات المانعة للناس من رؤية الإمام ذكر قصصاً وحكايات لأشخاص رأوا الإمام وتحدّثوا معه واستفادوا من بركاته وحلّوا مشاكل مهمّة عامة وخاصة.

وأيضاً من العجب من بعضهم كيف أجازوا رؤيته ولكن بشروط حيث قالوا:

١- يُكذّب كل من إدّعى السفارة عنه وأنه يحمل معه قضيّة يبلّغها للناس عن الإمام.

٢- يكذب كل من إدّعى معرفته بالإمام حين رؤيته له، بل يجب أن يعرفه بعد رؤيته له وغيابه عنه.

٣- يجب أن يكون الرائي للإمام من مواليه المؤمنين به، فمن إدّعى رؤيته من المبتدعين ومن لا يؤمن به فلا يصدّق في دعواه.

٤- يجب أن تكون رؤيته لحاجة مهمّة في غاية الأهمية سواء كانت خاصة أو عامة...

وهكذا يتخبط أصحاب هذا الرأي ولا يعودون إلى رأي واحد خصوصاً أنّ رؤيته هل تكون ببدنه الآدمي وفي اليقظة أو تكون برؤية البدن المثالي؟ أو أنها رؤية

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٢٢٠.

(٢) نعم وردت الرواية أن الخضر عليه السلام يجتمع بالقائم ففي الرواية عن الصادق عليه السلام يقول عن الخضر، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته (كمال الدين).

بالمنام؟ أو رؤية نورانية تقذف في القلب فيشعر صاحبها بالاثر والبركة وتحقيق المراد؟ إنها أقوال لا تعتمد إلى حجّة قطعية أو دليل يعتدّ به...

نعم يمكن أن نقول: إن ما يصدر في عصر الغيبة من معاجز وكرامات وحلول لبعض القضايا المستعصية والمهمّة وقضاء حاجات المؤمنين الصعبة وعلى يدي من لا نعرفهم ولم نر أشخاصهم من قبل، يكشف أنّ بركات الإمام صاحب الزمان وعنايته هي وراء ذلك، ولكن هل كان ذلك بالمباشرة منه وحضوره أو حضور مواليه؟ فهذا ما لا يمكن القطع به - وان وصلت بركاته إلينا وخيراته للفقراء منّا - لأننا لا نعرف شخص الإمام من قبل - وإن عرفنا أوصافه التقريبية - ولأنّ من ذهب إلى رؤيته اشترط عدم معرفته أثناء مقابلته، وهذا المعنى الذي نذهب اليه يقبله العقل ويرضاه ونخرج به عن إشكالات كثيرة تعترض من يذهب إلى رؤيته مباشرة. وأيضاً هذا المذهب ينسجم مع التوقيع المانع من رؤيته والمكذّب لمن ادّعى ذلك، في الغيبة الكبرى حيث لا قطع على أنه الإمام بل أمر محتمل على حدّ احتمال أن يكون غيره من أصحابه الأبدال أو النجباء، وبهذا تحلّ دعاوى من ادّعى رؤيته فلا يُكذّب في ذلك بالمطلق ولا يُصدَّق بالمطلق بل نقول له - طالما أنك لم تعرف الإمام من قبل ولم تعرفه ساعة مشاهدتك له لذهولك في ذلك الموقف - نقول - فكما يمكن ان يكون مَنْ رأيته هو الإمام أمكن ان يكون غيره من أعوانه ومواليه أو الأبدال الذين يقيمون معه...

الإمام معنا

إذا كنّا لم نر الإمام بشخصه أو نعرفه عن قرب معرفتنا لبعضنا، فليس معنى ذلك أنه بعيد عنّا ومعزول عن مجتمعنا لم يرَنا ولم يقف على مسيرتنا وسيرتنا.

بل إنه عليه السلام يعيش بيننا ويتنقّل في بلادنا وهي محاطة ببركاته وعطفه وعنايته

يتفقّد شيعته ويحضر مواسم الحج ويقف على كل شؤون الأمة وما تعانيه، ففي الحديث عن محمد بن عثمان العمري قال: والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة - موسم الحج - يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه، ومن أروع ما قدّمه الإمام الصادق عليه السلام مثلاً لغيبة المنتظر وشبهاً له ما قال: «**إنّ في صاحب هذا الأمر لَشَبَهاً من يوسف، فقلت - الراوي سدير الصيرفي -: فكأنك تخبرنا بغيبة أو حيرة.**

فقال: ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير من ذلك؟ إنّ إخوة يوسف كانوا عقلاء ألبّاء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلّموه وخاطبوه وتاجروه وراوده وكانوا إخوته وهو أخوهم لم يعرفوه حتى عرّفهم نفسه وقال لهم: أنا يوسف فعرفوه حينئذ فما تنكر هذه الأمة المتحيّرة أن يكون الله جلّ وعزّ يريد في وقت أن يستر حجّته عنهم؟ لقد كان يوسف إليه ملك مصر وكان بينه وبين أبيه مسيرة ثمانية عشر يوماً فلو أراد أن يعلمه مكانه لقدر على ذلك...فما تنكر هذه الأُمة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف، أن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقّه صاحب هذا الأمر يتردّد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه، حتى يأذن الله له أن يعرّفهم نفسه كما أذن ليوسف حتى قال له إخوته: إنك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف...[1]

الإمام الحجّة يحضر موسم الحج - ويحج مع الناس ويشاهد الحشود في تلك المناسك ويراقب بدقّة ما يجري وما يحدث ويحيط به علماً، يتفقّد من يستحقّ أن ينظر إليه ويكون محلّ عنايته فالخلق تحت نظره، وأما الخلق فلا يعرفونه وإن رأوه، وكذلك الإمام يمشي في أسواق المسلمين ويتجوّل فيها ويرى الصفقات الحلال والأخرى الحرام ويرى كيف يتعامل المجتمع، ويقف على نقاط الضعف ونقاط القوّة وتكون كل تجارب الحياة حاضرة عنده.

---

(١) الكافي، ج١، ص ٣٣٧؛ الغيبة للنعماني؛ البحار، ج٥٢، ص ١٥٤.

الإمام صاحب الزمان يدخل إلى منازلنا ويطأ فرشنا عندما نقيم مجالس العزاء لسيد الشهداء، أو نعقد مؤتمراً نتدارس فيه شؤون الأمة، فهو صلوات الله قد يحضر تلك المجالس ليسدّدها ويأخذ بأيدي أصحابها لما فيه خيرها، وقد ورد الحديث عن زرارة قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: يفتقد الناس إماما يشهد المواسم يراهم ولا يرونه[1].

وعن الصادق عليه السلام قال: إنّ للقائم غيبتين يرجع في إحداهما والأخرى لا يُدرَى أين هو؟ يشهد المواسم يرى الناس ولا يرونه.[2]

الإمام المهدي عجل الله فرجه من خلال اتصاله بالناس بالصورة التي تقدّمت يحقّق غرضين مهمّين

الأول أنه يبدّد غربته - وإن كان له من يستأنس به من الأبدال - ويؤنس وحشته بهذا الاختلاط بين الناس، وأيضاً يقضي حاجاته الشخصية التي لا تقضى إلا على يديه.

الثاني: يطّلع على مشاكل المجتمع وما يعيشه الناس في حياتهم وما يقومون به فيسدّد المستقيم ويصحّح السقيم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلّ المشاكل المستعصيّة خصوصاً تلك المشاكل المفصلية التي تهمّ الأمة باعتباره المسؤول الأول عنها وهو إمامها وإليه ترجع بأمورها كما هو اعتقادنا...

---

(١) الغيبة للنعماني، ص ١٨٠.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ١٥٦.

يصلح الله أمر المهدي في ليلة واحدة:

في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: المهديّ عليه السلام يصلحه الله في ليلة واحدة[١].

من عنايات الله بالإمام المهدي عجل الله فرجه أن يتولّى سبحانه بنفسه إصلاح أمره فقد وردت الروايات عن الصادق عليه السلام والباقر عليه السلام تقول: ويصلح الله تعالى أمره في ليلة واحدة.

إنّ هذا الإمام العظيم بعد أن احتجب هذه المدّة الطويلة من عمر الزمن، أمره الله الآن بالظهور فظهوره أول إصلاح أمره ثم ما يرافق هذا الظهور من إعلان عالمي عنه بحيث تصل أخباره إلى كل أطراف الأرض فتسمعه الفتاة في خدرها وكل إنسان بلغته. ومن إصلاح أمره أن يتوافد إليه أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر في الليلة نفسها، أو صبيحتها عندما يعلن الظهور في مكة، فإنهم يأتون إليه، منهم من يأتي إليه في الهواء ومنهم من يأتي إليه في السحاب ومنهم من يأتي إليه بوسائل أخرى ومن إصلاح أمر المهدي أن يتوفّر له في مكّة مجالٌ لإعلان الظهور وكشف أمره وهكذا....

وفي بعض الأحاديث تشبيه أمره بموسى عليه السلام الذي ذهب ليقتبس شعلة من النار، فإذا به يعود نبيّاً مرسلاً، ففي الرواية عن محمد بن علي الجواد قال: المهدي...من ولدي وإن الله يصلح أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمه موسى عليه السلام حيث ذهب ليقتبس لأهله ناراً... فعاد نبيّاً.

---

(١) الملاحم والفتن لإبن طاووس، ص ٦٥.

إنّ إصلاح أمر المهدي عجل الله فرجه يعني يأمره بالظهور وإعلان هذا الظهور أمام العالم لكي يتوجّهوا إليه ويقفوا معه ويتداعوا إلى نصرته، وهذا المعنى هو الذي يجب أن يُفهم من إصلاح الأمر.

يظهر في سنّ الشباب

الليالي والأيام تفعل فعلها في الكون كله وما يحويه من جماد ونبات فضلاً عن هذا الإنسان حيث تنقله من طور إلى طور حتى تأتي عليه وتنهي وجوده، وهذا شيء واقع أمامنا نراه ونشهده ونمرّ به باستمرار. ولكنّ هذا الزمن يتوقف أمام شخصية المهدي عليه السلام فلا يعود له تأثير أو أثر حيث تبطل مفاعيله وتتعطّل حركته، فإنّ الزمن يتوقف وآثاره تتعطل ويتحوّل المهدي عليه السلام إلى معجزة في استمرار عمره الطويل وبدون أن تؤثّر فيه عوامل الزمان.

إنّ المهديّ عندما يأذن الله له بالظهور يخرج وهو في سنّ الشباب، يراه الرائي فلا يحسبه إلا ابن أربعين سنة بالرغم من مرور مئات السنين على ولادته ووجوده في الحياة.

يبدو المهدي لمن رآه عند خروجه كأنه في سنّ الشباب؛ لأنّ الله أعطاه قدرة وطاقة للتكيّف مع الزمان والمكان وزوّده بقدرة فائقة يختصر فيها السنين والأيام.

وظهور المهدي بصورة الشباب سيثير تشكيكاً عند بعض الناس، إذ كيف يبقى شاباً؟! ففي الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو قد قام القائم لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شاباً موفقاً لا يثبت عليه إلا مؤمن قد أخذ الله ميثاقه في الذرّ الأول[1].

ويقول في حديث آخر عن الصادق عليه السلام: «**وإنّ من أعظم البليّة أن يخرج إليهم صاحبهم - المهديّ - شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً**»[2].

وفي الحديث عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام ما علامات القائم

---

(١) الغيبة للنعماني، ص٢١٩.

(٢) الغيبة للنعماني، ص ١٩٤.

عليه السلام منكم إذا خرج؟ قال: «**علامته أن يكون شيخ السنّ شابّ المنظر حتى إنّ الناظر ليحسبه ابن اربعين سنة أو دونها، وإنّ من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتى يأتيه أجله**»[١].

وعن الحسن بن علي وهو يتحدّث عن المهديّ: ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب ذي أربعين سنة، ذلك ليعلم أنّ الله على كل شيء قدير[٢].

خروج المهدي شابّاً يعطي الشباب دفعاً للالتحاق به وبمن معه، فإنّ الشباب هم العمدة في كل حقول الحياة وعليهم تقع مسؤولية التغيير والتبديل، فيكون خروج المهدي شابّاً داعياً من دواعي الالتفاف حوله ومساندته مع ما للشباب من تطلّعات وقدرات وعزيمة قوية وجرأة وإقدام وقد وردت بعض الأحاديث التي تنقل أنّ أصحاب المهدي من الشباب، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أصحاب المهدي شباب لا كهول فيهم إلا مثل كحل العين والملح في الزاد، وأقل الزاد الملح[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧٩.

(٣) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٣٢٢.

المهدي يكلم الناس ويسمعونه عن بُعْد

من دلائل صدق الحديث أن ترى مضمونه في واقعك ومعك، وهناك مجموعة من الأحاديث التي اخترقت جدار الزمن حيث كان صدورها قبل أكثر من ألف عام، ويومها كانت أحلاماً بعضهم صدّقها وآمن بها لأنها صدرت عن الصادقين الذين يصدرون عن الله ويوقعون عنه بإرادته وأمره وإن بقي معناها مجهولاً لديهم لا يجدون تفسيراً لها لأنها خارج سياق الزمان والمكان، وخارج ما اعتاده الناس وألفوه فتركوا تفسير ذلك إلى مَنْ صدرت عنهم، وبعض الناس كانت تستنكر ذلك وتشنّع به على المؤمنين الذين صدقوا ذلك وآمنوا به.

إنّ أيامنا التي نعيشها حملت إلينا صدق ما أخبر به الصادقون حيث كشفت الصناعات الحديثة وما وصل إليه العقل البشري من إبداعات وتقنيّات إلى صدق ما صدر عن الصادقين قبل ألف عام، بل وجدوا مصداق ذلك في حياتهم وتعاملوا معه بواقعية وتداولوه في بيوتهم وأسواقهم ومدارسهم ومراكز عملهم. فاسمع إلى ما رواه الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «**إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلّمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه**»[1].

وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وهو يتحدّث عن المهديّ عليه السلام يقول: ثم نودي بنداء يسمعه من البُعْد كما يسمعه من القرب يكون رحمة للمؤمنين وعذابا على المنافقين[2]. انظر رعاك الله: هل تجد مصداق هذا الحديث في الواقع أم أنه خيال؟ إنه واقع نتداوله جميعاً؛ البث المباشر ينقل إليك الحدث وأنت في بيتك

---

(١) البحار. ج ٥٢. ص ٣٣٦.

(٢) منتخب الأثر. ج٣. ص٩٠٢.

نقلاً حيّاً بالصوت والصورة، وإذا رأى الشيعة ذلك رآه الناس جميعاً. والخطاب وإن تناول الشيعة فلأنهم المخاطبون مباشرة والمقصودون بالخطاب، وتترقّى الروايات لتقول إنّ الناس يرون بعضهم البعض ولو كان بعضهم في شرق الأرض وبعضهم الآخر في غربها، يقول الصادق عليه السلام **«إنّ المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق»**[1].

إنّ الهاتف التلفازي الذي جرى تداوله اليوم ينقل الصوت والصورة ويتمّ الحديث بين المتحاورين وكأنهم في مجلس واحد.

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٩١.

الدنيا في كفّ المهديّ عليه السلام

أعطى الله سبحانه للمهدي عليه السلام قدرات عظيمة جداً سيطر من خلالها على الأرض بمساحاتها الواسعة بحيث لا تغيب عن ناظره بقعة من بقاعها لئلا يحدث شيء من الخلل أو عدم الأمن أو الفساد أو أي أمر يسيء إلى العدالة والحقّ.

في الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى له كل منخفض من الأرض، وخفض له كل مرتفع حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها[1]؟

هذا الحديث في ضوء ما وصل إلينا من وسائل تنقل الصوت والصورة أضحى مقبولاً ويمكن تصديقه خصوصاً ما وضع من برامج - على الأقمار الصناعية - بحيث تكشف مساحة واسعة تستطيع أن تكتشف أصغر الأشياء وتعرف موقعها وحركتها، فإذا كان العقل البشري وصل إلى هذه المرحلة الراقية من الإطّلاع على صغير الأمور فضلاً عن كبيرها في مساحات من الأرض شاسعة، فكيف بمن خلق العقل وهو القادر المطلق والعالم بكل شيء؟ فإن من مظاهر علمه وقدرته أن يعطي لوليّه المهدي هذه القدرة العظيمة بحيث يرى الدنيا كلها وتكون بكل مساحاتها تحت نظره لا يحجب رؤيته مرتفع من جبال وغيرها ولا يحجب تلك الرؤية منخفض من أودية وغيرها بل لتقريب المعنى تصبح الدنيا في نظرة كمن ينظر إلى كفه، فإذا كان في كفّ أحدنا شعرة - برقتها ودقتها - وهي لا تخفي عليه، فكذلك الدنيا كلها تحت نظر المهدي عجل الله فرجه يراها ويرى ما فيها لا تغيب عن نظره ذرّة منها، وهذه كرامة له ومن أجل إقامة عدالة السماء على الأرض وإنّ جعل الأرض كلها تحت نظر الإمام

---

(١) البحار، ج٥٢، ص ٣٢٩.

وفي مرمى بصره كما يمكن أن تكون بوسائل متطورة وقدرات بشرية منتشرة في أرجاء الأرض تنقل إليه الصوت والصورة مباشرة بشاشات متفرقة إلى الشاشة الأم المتواجدة تحت نظر الإمام، كما يمكن ذلك يمكن أن يكون ذلك بإعجاز إلهي - وهو الأقرب - يقرّب إلى المهديّ البعيد حتى يكون تحت نظره....

الخيرات ببركات المهدي عليه السلام

عندما نستعرض أيام الإمام المهدي عليه السلام ومعالم دولته وزمانه الذي يعيش فيه نكاد نستشرف الجنّة ونستحضر ما فيها من خير وسعادة وما يتوّفر فيها من أنواع الملذّات ومختلف أنواع الراحة المعنويّة والماديّة...

إنّ تباشير تلك الخيرات تبتدئ كعلامة على ظهوره وإيذاناً بهذا الحدث العالمي الذي سيقرر ظهوره مصير العالم ويغير وجه الدنيا ويحقّق حلم الأنبياء في إقامة العدل والحقّ..

إنّ تباشير تلك الطلعة الكريمة تبتدئ بنزول المطر وبصورة غير معتادة ولا عهد للناس بها بحيث تشمل الأرض كلها فتزدهر المواسم ويزداد عطاء الأرض وتكثر الغلال والزرع والثمار ويدخل الإنسان عالماً جديداً من الازدهار ينعكس على المجتمع والأفراد ويستشعر الجميع أنهم أمام أمر جديد يستحقّ التوقف عنده والتفكير فيه. تقول الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام **«إذا آن قيامه - يعني قيام المهدي عليه السلام - مُطِرَ الناس في جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم يُرَ مثله»**[1].

ويقول الشيخ المفيد في إرشاده **«ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل فتحيا بها الأرض بعد موتها، وتعرف بركاتها وتزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحقّ من شيعة المهديّ عليه السلام فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكّة ويتوجّهون نحوه لنصرته كما جاءت بذلك الأخبار..»**..

فنزول المطر وبهذه الكميّات الكبيرة يعني إزدهار الحياة الإقتصادية وزيادة الخيرات.

---

(١)

بعد ظهوره

تتجلّى الخيرات بعد ظهوره بما تعطيه الأرض حيث تُخرج ماءها وينابيعها وعيونها، وتتدفّق الأنهار لتروي هذه الأرض، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**وتمدّ الأنهار وتفيض العيون وتنبت الأرض ضعف أكلها.**»[١]. وفي رواية أخرى عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**وتخرج الأرض نبتها وتنزل السماء بركتها..**»[٢].

وفي الحديث عن علي عليه السلام قال: «**ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها ولذهبت الشحناء من قلوب العباد وإصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات وعلى رأسها زبيلها لا يهيبها سبع ولا تخافه**»[٣].

هذا الحديث الشريف يكشف مدى العطاء الإلهي وكيف تنزل السماء قطرها، بما لهذا القطر من كثرة وكذلك تخرج الأرض نباتها بحيث لا يبقى نبت إلا خرج حتى تكتسي الصحراء حلّة خضراء وتصل الأمور إلى أنّ المرأة لا تضع قدميها إلا على النبات فيرتفع التصحرّ وتصبح الدنيا مملوءة بالخيرات....

أموال الدنيا

وإذا أردنا أن نصنف أصحاب رؤوس الأموال ونعدّد الدول الغنيّة فإن دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه أغنى الدول على الإطلاق منذ أن خلق الله العالم وأصبح في الدنيا دولٌ وحكومات فمع العدل والصدق هناك ثراء بلغ الدرجة الأولى.

في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**يجتمع إليه - إلى المهدي - أموال أهل الدنيا كلها من بطن الأرض وظهرها**»[٤].

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣١٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٩٠.

وفي رواية آخرى عن الباقر عليه السلام يقول: «**تُطوى له الأرض وتظهر له الكنوز**».[١]

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**ويُظهر الله له كنوز الأرض ومعادنها**»[٢].

وفي رواية المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: «**وتظهر الأرض كنوزها حتى تراها الناس على وجهها**»[٣].

مضاعفة الخيرات

ببركات الإمام المهدي عليه السلام تزداد الخيرات وتتضاعف الغلال والثمرات حتى تبلغ سبعمائة ضعف وفي الحديث عن أمير المؤمنين وهو يصف الازدهار في ذلك العصر المبارك الكريم فيقول:

«**فيبعث المهدي عليه السلام إلى أمرائه بسائر الأمصار بالعدل بين الناس وترعى الشاة والذئب في مكان واحد وتلعب الصبيان بالحيّات والعقارب لا يضرّهم شيء ويبقى الخير، ويزرع الانسان مدّاً يخرج له سبعمائة مدّ كما قال الله تعالى ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾[٤]. ويذهب الربا والزنا وشرب الخمر والرياء وتُقْبل الناس على العبادة والشريعة والديانة والصلاة في الجماعات وتطول الأعمار وتؤدّى الأمانة وتحمل الأشجار وتتضاعف البركات وتهلك الأشرار ويبقى الأخيار ولا يبقى من يبغض أهل البيت عليهم السلام**»[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص١٩١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٣٢٣.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص٣٣٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٥) منتخب الأثر ج٣. ص ١٤٥.

الرواتب والعطاء

بعد أن تصبح أموال الدنيا بيد المهدي عجل الله فرجه يقوم بإعطاء الناس ما يكتفون به بحيث ترتفع الحاجة ولا يبقى محروم أو محتاج، ففي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: كأنني بدينكم هذا لا يزال مولياً يفحص بدمه ثم لا يردّه عليكم إلا رجل منّا أهل البيت، فيعطيكم في السنة عطاءين ويرزقكم في الشهر رزقين[1].

ففي الحديث يكشف الإمام الباقر عليه السلام أنّ هذا الإسلام سيبقى جريحاً في أحكامه من حيث عدم تنفيذها والقيام بها حتى يقوم المهدي، عندها يسترجع الإسلام أحكامه ويصبح نافذ المفعول والإرادة.

كما تدل الرواية على أنّ هناك رواتب نصف شهريّة يأخذها كل شخص بحيث لا يفقد المال من بين يديه ولا يقع في حاجة أو عوز في آخر الشهر، وهذا تدبير يكون في زمانه صلوات الله عليه حيث يرى من المصلحة ذلك.

وأيضاً علاوة على ذلك هناك توزيع نصف سنوي يعطيه للناس، ففي كل ستة أشهر يمدّ المهدي الناس بالمال، وعلى كل حال فالحديث يريد أن يبيّن مدى اهتمام المهدي بالناس وأنهم في زمانه يكتفون بما يعطيهم فلا يتعرّضون لفقر أو حاجة...

المهدي ينادي الناس

في زمن المهدي عجل الله فرجه حينما تُجمع إليه أموال الدنيا سواء كانت في بطن الأرض أو ظهرها، يومها ينادي بالناس من أراد مالاً فليأتِ وليأخذ ما يريد. يقول الإمام أبو جعفر عليه السلام: **«وتُجمع إليه - إلى المهدي عجل الله فرجه - أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه**

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٣٥٢.

الدماء الحرام وركبتم فيه ما حرّم الله عزّ وجلّ فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله»[١]...

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وهو يتحدّث عن المهدي عليه السلام قال: آخرهم إسمه إسمي... يأتيه الرجل والمال كدس فيقول: يا مهدي أعطني فيقول: خذ[٢].

فالمال مجموع بعضه فوق بعض لكثرته، والإمام يطلق له يده أن يأخذ ما يريد وبدون عدّ أو تحديد لرقم معيّن.....

أجشع أمة محمد صلى الله عليه وآله

ومن لطائف ما قرأتُ ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أبشّركم بالمهديّ، رجل من عترتي يبعث في أمتي على إختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال صحاحاً، فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسويّة بين الناس ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى إنه يأمر منادياً فينادي: من له حاجة إليّ؟ فما يأتيه أحد إلا رجل واحد فيسأله، فيقول: إئت السادن حتى يعطيك، فيأتيه فيقول أنا رسول المهدي إليك لتعطيني مالاً فيقول: إحث فيحثي ولا يستطيع أن يحمله فيلقي حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمله فيخرج به فيندم فيقول: أنا كنت أجشع أمة محمد نفساً، كلهم دُعي إلى هذا المال فتركه غيري، فيردّه عليه فيقول: إنّا لا نقبل شيئا أعطيناه....**[٣]

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٣٥١.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص٣٧٩.

(٣) العرف الوردي للسيوطي، الحديث /٨.

ولا يجد الرجل مكاناً لزكاته

وفي زمن المهدي عليه السلام يصل الغنى غايته بحيث لا يجد الرجل مكاناً لزكاته يحمل الزكاة ويدور على من يقبلها منه فلا يجد، إنها صورة لا تتأتّى في الحلم والرؤيا تعيشها أمّة القائم في زمانه، فالنفس غنيّة والغنى يعمّ الناس كافة. تقول الرواية عن الصادق عليه السلام «**ويطلب الرجل منكم من يصله بماله ويأخذ من زكاته. لا يوجد أحد يقبل منه ذلك. إستغنى الناس بما رزقهم الله من فضله**»(١).

وفي كتاب الغيبة للنعماني عن الصادق عليه السلام وهو يوصي شيعته «**تواصلوا وتبارّوا فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليأتين عليكم وقت لا يجد أحدكم لديناره ودرهمه موضعاً - يعني لا يجد له عند ظهور القائم عليه السلام موضعاً يصرفه فيه لإستغناء الناس جميعاً بفضل الله وفضل وليّه**»(٢). وفي الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وهو يتحدّث عن زمن المهدى عجل الله فرجه: «**فيفيض المال حتى لا يقبله أحد**»(٣).

فرح الأموات بظهور المهدي عجل الله فرجه

عرفنا أن الأحياء في زمن المنتظرين للظهور تكون أعيادهم وأيام سرورهم عندما يُعلن النبأ السعيد بظهور المهدي عجل الله فرجه لأنهم كانوا ينتظرون بشوق تلك الطلّة الشريفة ويترقّبون في كل لحظة أن يطرق سمعهم هذا الخبر الكريم، وأمّا الأموات فلا عهد لنا بأنهم يتباشرون بنبأ الظهور ويعلنون السرور، ولكن الحقيقة هي ذلك لأنهم وهم في الدنيا كانوا يحملون فكر الظهور ويترقبون ذلك ويتوقعون خروج المهدي في كل لحظة وقد جاءتهم المنيّة وأنهى الموت وجودهم من الدنيا،

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٣٣٧.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني، ص ١٥٢.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص٣٨٢.

ولكنهم حملوا معهم أفكارهم واعتقاداتهم وبقوا على أمل الظهور. تقول الرواية عن الصادق عليه السلام وهي تتحدّث عن زمن ظهوره: «**ولا يبقى مؤمن ميت إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره وذلك حيث يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم**»[١].

وتفرح الطيور والحيتان

ولا يقتصر الفرح على الناس من الأموات والأحياء بل هذا الفرح يعمّ ويشمل حتى الطيور في السماء والحيتان في بطون البحار، فإن الله أعطاها حسّاً تشعر به عظمة المهدي عجل الله فرجه ودوره وما ينعكس ظهوره عليها من الإستقرار والأمان والعدل العامّ. تقول الرواية عن الحسن بن علي وهو يصف المهدي وخروجه «**فعند ذلك تفرح الطيور في أوكارها والحيتان في بحارها**»[٢].

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٣٠٤.

أتعاب الإمام المهدي عليه السلام

قد تذهب ببعض الناس المذاهب إلى أن الإمام المهديّ يأتي من الغياب الطويل وقد توطّأت له الأكناف وذُللتْ له الرقاب وخضعت له الأعناق، يأتي ليجلس في موقعه كحاكم يدير العالم وينظّم أمور الناس... قد يذهب بعضهم إلى القول إنّ الإمام المهدي يأتي وتأتي معه المعجزات القاهرة التي تلجئ الناس إلى الإيمان وتضطرهم إلى السير في دعوته وركاب مسيرته. كلاّ الأمر ليس كذلك، بل أمر الإمام المهدي صعب جداً وجهاده ونضاله وكفاحه سيكون مريراً ومتعباً وشاقّاً يكاد يكون أصعب من جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جاء والناس تعبد الأصنام من أحجار وخشب أو تمر...

إنّ حركة الإمام الحجّة ستكون في وقت تفتّحت فيه العقول ونضجت الأفكار وانتشرت المذاهب وتعددت النظريات، وطرح كل صاحب رأي رأيه يريد جرّ الناس إليه وحملهم على الإيمان به فيأتي الإمام المهدي حاملاً رسالة الإسلام الأصيل ليصدم به كلّ العقول والأفكار ويردّ الناس إلى هذا الدين. ولصعوبة الظروف الفكريّة والثقافيّة والعلميّة يكشف الإمام الصادق عليه السلام هذا المقام فيقول: «**إن قائمنا إذا قام إستقبل من جهل الناس أشدّ مما إستقبله رسول الله صلى الله عليه وآله من جهّال الجاهلية.**

قلت: (الراوي) وكيف ذاك؟

قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان - أي الأصنام المنحوتة منها - وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب

الله يحتجّ عليه به[١].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن صاحب هذا الأمر لو قد ظهر لقي من الناس ما لقي رسول الله وأكثر[٢].

فعندما جاء رسول الله صلى الله عليه وآله كان الناس يعيشون السذاجة في التفكير والبساطة في الإدراك ولم يكونوا على المستويات العليا في التفكير - وإن تمتّع بعضهم بذلك - ومع عبادتهم للأصنام كانوا في بعض الأحيان يزدرونها ويحتقرونها ويعمدون إلى أكل المصنوع منها من التمر إذا جاعوا. بينما الآن تغيّرت الأفكار وتعدّدت وارتقت وأخذ . حتى المسلمون - كل فرقة ومذهب وطائفة يحتجّ لرؤياه وعقيدته بكتاب الله وآياته ويدّعي أنه على الصواب والحق، بينما غيره على الباطل، ولذا إذا قام القائم يواجهونه بتأويل الكتاب - كتاب الله - وتفسيره على مزاجهم الذي يخدم رؤيتهم وما يذهبون إليه...

أمّا مواجهة الإمام الكفر والإنحراف فهذا حدّث عنه ولا حرج، حيث يبتدئ مواجهته بعدم الترحيب به، بل رفضه ورفض دعوته....

---

(١) الغيبة للنعماني، ص ٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

علم الواقع عند المهدي عليه السلام

من خصائص المهدي عليه السلام أنه لا يحتاج إلى بيّنة من شهود وإيمان لإثبات حق أو نفيه، وإنما أعطاه الله علم الواقع فهو يحكم بمقتضاه، إنه يعرف القضايا والأحكام كما هي قد أطلعه الله عليها ونفذت بصيرته وعلمه إلى عمقها فأدرك السليم من السقيم والصحيح من الخطأ، وهذا الأمر لم يعهد لأحد إلا للعبد الصالح - الخضر - صاحب موسى ومعلّمه؛ فإنّ قصة ذلك العبد الصالح تلقي بنورها على المهدي عليه السلام وتسهلّ القول بأنّ المهدي يعلم الأمور كما هي في واقعها ويكشفها ويقضي بها....

العبد الصالح - كما نعرف من قصته في القرآن وهو أصدق الكلام وأصوبه - ينطلق مع موسى ويشترط عليه أن لا يسأله عن شيء يفعله حتى يكون هو الذي يبادره من نفسه إلى إعلانه.. ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾.. ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾... ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾[1]...

فالعبد الصالح قضى بعلمه وتصرّف في هذه القضايا التي قام بها بمقتضى ما عنده مما لم يكن عند موسى، ولذا كان استغراب موسى من هذا التصرف الذي قام به العبد الصالح، ولما كشف أسرار ذلك وحكمته أدرك موسى صحة عمل العبد الصالح ومطابقته للحق والعدل.

الإمام المهدي عليه السلام يتمتّع بهذه الخاصة، وعندما يظهر تكون الأمور له مكشوفة في واقعها يحكم فيها بحكم الله ويقضي بقضائه.

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٧١ - ٧٧.

في الكافي بسنده الصحيح عن أبان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «**لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجل مني يحكم بحكومة آل داوود ولا يُسأل بينّة يعطي كل نفس حقّها**»(١).

وفي كمال الدين عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**سيأتي في مسجدكم - يعني مسجد مكة - ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً يعلم أهل مكة أنه لم يلدهم آباؤهم ولا أجدادهم، عليهم سيوف مكتوب على كل سيف كلمة تفتح ألف كلمة فيبعث الله تبارك وتعالى ريحاً فتنادي بكل وادٍ: هذا المهدي يقضي بقضاء داوود وسليمان عليهما السلام ولا يريد عليه بيّنة**»(٢).

وفي البحار عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنما سمّي المهدي لأنه يهدي إلى أمر خفيّ حتى إنه يبعث إلى رجل لا يعلم له ذنباً فيقتله حتى إن أحدهم يتكلم في بيته فيخاف أن يشهد عليه الجدار**»(٣).

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داوود وسليمان لا يسأل الناس بيّنة**»(٤).

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم آل داوود لا يحتاج إلى بيّنة يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه ويخبر كل قوم بما استبطنوه ويعرف وليَّه من عدوّه بالتوسم، قال الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾(٥).

فهذه الروايات تكشف عن أسرار علم الإمام المهدي وما أعطاه الله له من الفضل فلا يستعصي عليه قضاء ولا يُغلق عليه حكم ولا يخطئ فيما يقضي به أو

---

(١) أصول الكافي، ج٢. ص ٣٩٧.

(٢) كمال الدين، ج٢، ص ٦٧١.

(٣) البحار، ج٥٢، ص ٣٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٣٢٠.

(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٧٥ ـ ٧٦.

يقوله، بل يعرف أسرار الناس وخفاياهم وما تنطوي عليه قلوبهم من ولاء أو عداء، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا قام القائم عليه السلام لم يقم بين يديه أحد من خلق الرحمن إلا عرفه صالح هو أم طالح وذكر آية المتوسمين المتقدمة**»[1].

إن حكم الإمام المهدي بالواقع يحقق أعلى درجات العدل الموعود في الدنيا كلها وعلى امتداد مساحاتها الجغرافية والزمانية، إنه يردّ الحقوق إلى أهلها ويمنع من استمرار الخطأ فضلاً عن الخطيئة، ويعطي لكل ذي حق حقه ويقضي بالحق الذي لا يحتمل الخطأ فإذا عرف الناس ذلك اطمأنوا وهدأوا إلى أحكامه وتقبلوا ذلك براحة نفس وعن قناعة كاملة بتلك الأحكام وأيضاً إذا عرف الناس أنّ الإمام محيط بأحوالهم وما يتقلّبون به كفّوا عن ممارسة الانحراف والحرام وحاولوا جهدهم أن يصحّحوا مسيرهم ويتوجهوا بصدق إلى الأهداف والغايات التي يريدها الإسلام ويدعو إليها الإمام. فكان ذلك من باب اللطف الذي يقرّب الناس من الله ويدفعهم إلى طاعته....

والمهدي يعرف الصالح من الطالح

من خصوصيات الإمام المهدي عليه السلام ومن فضل الله عليه أنه أعطاه فراسة يستطيع من خلالها معرفة الناس وما تنطوي عليه قلوبهم من خير أو شرّ ومن صلاح أو فساد. إنها فراسة تخترق حواجب المادة وحواجزها وتدخل إلى عمق القلب حيث تكتشف ما فيها وما تنطوي عليه.

المهديّ يخبر عن الإنسان الصالح أنه صالح وعن الطالح بأنه طالح وليس خبره عن واحد فقط أو عن عدد من الأفراد أو في مناسبة أو حالة خاصة بل هو يعرف كل

---

(١) البحار، ج٥٢، ص ٣٩٠.

واحد بحقيقة ما يحمله من صفات الصلاح أو الفساد، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام القائم عليه السلام لم يقم بين يديه أحد من خلق الرحمن إلا عرفه صالح هو أم طالح، ألا إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين وهي لبسبيل مقيم[١].

والحديث يتكئ على آية الحجر وهي قوله تعالى إن في ذلك لآيات للمتوسّمين وإنها لبسبيل مقيم، فقد أُعطي المهدي عليه السلام هذا الفضل وكان أظهر مصاديق الآية وأجلى معانيها، وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام وهو يتحدّث عن المهدي عليه السلام يقول عنه «**ويخبر كل قوم بما استبطنوه ويعرف وليَّه من عدوه بالتوسّم، قال الله سبحانه «إنّ في ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم»**[٢].

الأمن زمن المهدي عليه السلام

من خصوصيات زمن المهدي عليه السلام ومن العلامات الفارقة لذلك الزمان أن يعمّ الأمن ويستتبّ السلام في كل أرجاء العالم ونواحي الدنيا، ونحن وكل الناس يدرك قيمة الأمن وأهميّته وما يقوم به على كل الصعد ومختلف الميادين، ونقرأ في دعاء إبراهيم عليه السلام الذي صدع به لربه قبل آلاف السنين حينما قال في ندائه لمكّة ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[٣] فإن إبراهيم أول ما تناول في دعائه لمكّة أن يجعلها الله آمنة لأنّ الأمن أهمّ عامل من عوامل الإستقرار والإزدهار فإنّ من لم يأمن على نفسه ووجوده لا يقرّ له قرار ولا يطيب له عيش ولا يرتاح له بال، لأنه مهدد في أصل وجوده فإذا اطمأنّ الإنسان إلى حياته وأنها في أمان إنصرف بعدها إلى قضاياه الأخرى تجارية وزراعية وصناعية ويحاول جهده أن يستثمر الطاقات وينمّيها فتزدهر الحياة ويعمّ الرفاه ويعيش الناس في أرقى المجتمعات

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٣٢٥.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

حيث يتحقّق لهم كل ما يتطلّعون إليه وما تحبّه أنفسهم ويرغبون فيه سواء كان ذلك ماديّاً أو معنويّاً، ثقافيّاً أو روحيّاً أو إجتماعيّاً...

وفي زمن المهدي عليه السلام يتحقّق هذا الحلم الغالي - الذي لم يتحقّق بعد إلى الآن ولم تنعم البشرية به حتى يومنا الحاضر - حيث يعمّ الأمن المجتمع بكل شرائحه ولم يعد ما يهدد الحياة أو يوجب لها عدم الإستقرار، إذ بركات المهدي تنتشر بين الناس حيث لا حروب ولا قتال ويكون الغنى عاماً وترتفع الحاجة من بين الناس وتترقّى العقول لتبلغ من الوعي أرفع ما يكون، وأما التديّن والالتزام بطاعة الله فهو قرّة العين ومراد المريدين والمطلب الأسمى الذي ينشده كل فرد في ذلك المجتمع. وقد ورد عن أمير المؤمنين وهو في حديثه عن زمن المهدي يقول: حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات وعلى رأسها زبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه[1].

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر عليه السلام يقول: «**وكأني بالعجوز وعلى رأسها مكتل فيه بُرّ حتى تطحنه في كربلاء**»[2].

إنّ إطمئنان الناس إلى أنفسهم والأمن الذي يعيشون فيه زمن المهدي يجعل المرأة العجوز الضعيفة التي لا تمتلك قدرة الدفاع عن نفسها هذا الأمن المستتبّ يجعلها تمشي بإطمئنان من المدينة إلى كربلاء أو من العراق إلى الشام وهي آمنة على نفسها من أذى الناس، بل وأيضاً من أذى الوحوش الكاسرة التي تحمل طبيعة الإعتداء والإفتراس... وإذا أردت الأمن في أرقى درجاته فأبحث عنه حتى بين الحيوانات المفترسة فإنها تأمن على نفسها ممّن هو أقوى منها وأقدر على الفتك، هذه الحيوانات التي كان القويّ منها يتربّص بالضعيف ليأخذه ويقضي عليه، هذه الحيوانات تطمئنّ عن حياتها وتأمن جانب

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٣١٦.

(٢) البحار، ج٥٢، ص ٣٣١.

القويّ وتعيش معه جنباً إلى جنب لا تخاف منه ولا تحترز من أذاه...

في الحديث عن علي عليه السلام وهو يتحدّث عن ظهور المهدي عليه السلام يقول: «**وتصطلح في ملكه السباع**»[١]. وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين وبلسان قريب من هذا اللسان «**واصطلحت السباع والبهائم**»[٢]. وفي كتاب منتخب الأثر للشيخ لطف الله الصافي عن الصادق عليه السلام يقول وهو يتحدّث عن المهدي عليه السلام: «**تُخرج الأرض بذرها وتأمن وحوشها وسباعها**»[٣] أنظر رعاك الله كيف ينتشر الأمن زمن المهدي عليه السلام فهل هذه أحلام أم حقائق؟ قد تكون اليوم أحلاماً - لفقدان الأمن وخوف الناس الدائم على مصيرهم - ولكنها الحقيقة في زمن المهدي عليه السلام ستحملها الأيام ويعيشها الناس كما تعيشها الحيوانات الكاسرة والبهائم الوادعة الضعيفة وجنباً إلى جنب لا يهمّها القويّ ولا يجعلها تخاف من بطشه وإعتدائه...

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف أيام المهدي عليه السلام: وترعى الشاة والذئب في مكان واحد، وتلعب الصبيان بالحيّات والعقارب لا يضرّهم شيء، ويذهب الشرّ ويبقى الخير[٤].

وللإمام أمير المؤمنين كلام آخر يقول فيه «**وأُلقي في ذلك الزمان الأمان على الأرض فلا يضرّ شيء شيئاً ولا يخاف شيء من شيء ثم تكون الهوامّ والمواشي بين الناس فلا يؤذي بعضهم بعضاً....**»[٥]

صورة راقية منتهى الرقي لمجتمع عصر المهدي عليه السلام صورة عامة لكلّ الأحياء، فالسلام يعود طبيعة الأحياء كلهم بما فيهم الحيوانات وحتى التي من طبعها الإيذاء والاعتداء تعود وادعة مسالمة لا تحمل إلا الخير....

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٢٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٣١٦.

(٣) منتخب الأثر، ج٢، ص ١١٧.

(٤) النجم الثاقب.

(٥) المصدر نفسه.

وعن أمير المؤمنين وهو يصف حركة الإمام المهدي عليه السلام بين الأقطار يقول «**فيخطب - المهدي - الناس فتستبشر الأرض بالعدل وتعطي السماء قطرها والشجر ثمرها والأرض نباتها وتتزيّن لأهلها وتأمن الوحوش حتى ترتع في طرق الأرض كأنعامهم**»[1].

العدل المهدوي

نستطيع القول - إنّ الخط العريض لحركة الإمام المهدي عليه السلام يتجسّد في إقامة العدل في الأرض - هذا العدل الذي تحقّق في عصور الأنبياء بدرجات متفاوتة، ولكنه في زمن المهدي يبلغ الذروة ويضرب الرقم القياسي في هذا المجال، ولو ألقينا نظرة سريعة على ما ورد من روايات وما جاء من الأحاديث وهي تبشّر بالمهدي عليه السلام لوجدت اقتران العدل بالمهدي، فعشرات الأحاديث بل مئاتها عندما تذكر المهدي عليه السلام تذكر مهمّته «**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئتْ ظلماً وجوراً**» فهذه الأنشودة الراقية التي تحنّ إليها القلوب المعذّبة بنار الظلم والمكتوية بجمر القهر تجد في المهدي عليه السلام منقذاً لها ومخلّصاً، ومن هنا يمكننا أن نقول إنّ خلاصة دعوة المهديّ تتجسّد في عدالة عامة شاملة لكلّ الناس وفي كل الحقول والميادين بحيث يرتفع الظلم من الأرض ليحلّ محلّه العدل....

لا بأس باستعراض بعض الصور التي وصلت إلينا عن عدل المهدي عليه السلام ففيها إطلالة مضيئة على حركته المباركة.

في الحديث: «**فإذا خرج - المهدي عليه السلام - أشرقت الأرض بنور ربها ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحد أحداً**»[2]، فخروج المهدي وظهوره يكون السبب والعلّة لإشراق الأرض بنور الله - كناية عن ظهور الحقّ ووضوحه ثم يرتفع

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٨٥.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص٣٢٢.

الظلم والجور ويحل محلّهما القسط والعدل....

ويسأل السائل الإمام الباقر عليه السلام عن القائم إذا قام بأي سيرة يسير في الناس؟

فقال: بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يظهر الإسلام. قلت - الراوي - وما كانت سيرة رسول الله؟ قال: أبطل ما كان في الجاهلية واستقبل الناس بالعدل، وكذلك القائم عليه السلام إذا قام يبطل ما كان في الهدنة ممّا كان في أيدي الناس، ويستقبل بهم العدل[1].

أول عدل المهدي عجل الله فرجه

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أول ما يُظهر القائم من العدل أن ينادي مناديه أن يسلّم صاحب النافلة لصاحب الفريضة الحجر الأسود والطواف[2].

باعتبار أنّ صاحب الفريضة - الواجب - لم يؤد فريضته بعد فهو مقدّم لاستلام الحجر والطواف على من أدّاهما - وهو يقوم بالمستحب - فمَنْ وجب عليه الحج أو العمرة له أولويّة فيجب أن يقدّم، وهذه اللفتة الكريمة المباركة تُقدم لنا صورة ناصعة عن مدى متابعة المهدي عجل الله فرجه لدقائق الأمور وصغير القضايا بحيث لا يغيب عن ناظريه حتى الطائف في بيت الله والمؤدي لعبادة ربه....

وباعتبار أنّ المهدي عجل الله فرجه رائد العدالة الإلهية ورافع الظلم عن المجتمع، فإن من مهمّاته الأولى في هذا المجال أن لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد، بل واجبه أن يردع الظالم فإنّ تقادم الزمن لا يشرعن الحرام ولا يرفع مالكيّة صاحب الحقّ عن حقّه، ولذا في الحديث:

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٣٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٣٨٠.

«يبلغ من ردّ المهديّ عليه السلام المظالم حتى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتى يردّه»[١].

عدل المهدي عجل الله فرجه يدخل البيوت

لا يقتصر عدل المهديّ على الحكم بالحقّ ولا على التسوية في توزيع الثروة، ولا على إتاحة الفرص لنموّ القابليات والقدرات، ولا على ما يعيش في المجتمع المكشوف، بل إن عدل المهديّ يعمّ وينتشر حتى يدخل البيوت فتعيش الأسر في أجواء العدل؛ فالزوج والزوجة والأولاد والآباء والأبناء والأخوة والأخوات كلهم يعيشون العدل ويتحوّل هذا العدل إلى مناخ عام لا يُستثنى منه أُسرة أو فرد في الأُسرة وإنّ أصدق ما يكشف هذه الصورة ويوضحها ويبين معالمها ما ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام حيث يقول: أما والله ليدخلنّ عليهم - على الناس - عدله - عدل المهدي - جوف بيوتهم كما يدخل الحرّ والقرّ - والقرّ البرد[٢].

إن هذا الحديث يوضّح أن عدل المهديّ يدخل البيوت بدون استئذان، ولا يحتاج إلى رخصة كما لا يستطيع أحد أن يمنع المناخ أو يدفعه لأنّ المناخ إذا كان حاراً في منطقة وكذلك البرد إذا كان مناخاً لمنطقة، فإن هذا الحرّ والبرد سيشملان الجميع وسيدخلان البيوت وهكذا يكون عدل المهدي عجل الله فرجه.

---

(١) منتخب الأثر، ج٢، ص ٣٢٢. للصافي.

(٢) الغيبة للنعماني، ص ٣٠٧.

المهدي عليه السلام يوصي الأمراء بالعدل

وإذا تجسّدت العدالة في المهديّ عملاً وسلوكاً فضلاً عنها قولاً، فإنه صلوات الله عليه، يعيش هاجس هذا العدل ويبقى ساهراً على تنفيذه حتى إذا بعث رسله وأمراءه إلى الولايات أوصاهم أن يقيموا هذا العدل ولا يتهاونوا فيه، يقول أمير المؤمنين في قصة المهديّ وفتحه لمدينة القاطع: فيبعث المهديّ عليه السلام إلى أمرائه بسائر الأمصار بالعدل بين الناس.[1]

---

(١) منتخب الأثر، ج٣، ص١٤٤.

المهدي عليه السلام يأتي بأمر جديد

وردت الروايات بالطرق المتعدِّدة وباختلاف الأسانيد أنّ الإمام المهديّ يأتي بأمر جديد وسُنّة جديدة وقضاء جديد.

ففي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام يقول: «**يقوم بأمر جديد وسُنَة جديدة وقضاء جديد**»[١].

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال، وهو يتحدّث عن المهدي عليه السلام: لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد على العرب شديد»[٢].

وقد وقع في خاطر بعضهم أنه كيف يأتي المهديّ بأمر جديد وقضاء جديد وهكذا..؟

وقبل الإجابة عن هذه الخاطرة العارضة ينبغي أن نتوقّف عند أمر مهمّ، يجب التنبيه إليه وهو: أنّ المجمع عليه بين أهل الإسلام، ومنهم الشيعة الإمامية لإثنا عشرية - بحيث لم يشذ منهم أحد أو يخالف هذا الإجماع فرد - من المجمع عليه أنه لا نبي بعد رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله فقد خُتمتْ الرسالات والنبوّات برسالة رسول الله ونبوّته، وكلّ من ادعى ذلك بعد النبي صلى الله عليه وآله فهو كاذب في دعواه مرتدّ في عقيدته خارج عن ملة الإسلام وعقيدة المسلمين، وأيضاً من المجمع عليه والمتسالم عليه أنّ القرآن هو آخر وحي السماء أنزله الله على قلب محمد صلى الله عليه وآله فلا كتاب بعده ومن ادعى غير ذلك فهو كاذب منافق فالقرآن ما بين الدفتين المعهود عند المسلمين الذي يبتدئ بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الناس بدون زيادة حرف أو نقصان حرف...

---

(١) البحار. ج ٥٢، ص٣٤٩.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني. ص ١٢٩.

أقول: إذا عرفنا هذه المقدمة وفهمنا مضمونها ينبغي عندها أن نعود إلى أصل موضوعنا ومحلّ حديثنا وأنه ما هو جديد الإمام المهدي عليه السلام؟!

إنّ أمر المهديّ عليه السلام من الأمور العجيبة التي تخرج عن المعروف والمألوف وبخروجه يغيّر العالم ويقلب الموازين وسيقف الناس في زمانه على أمور لم يعهدوها أو يعرفوها وقد يكونون على غير علم بها أو لم يسمعوها..

إنّ الإسلام اليوم معزول عن الحياة، تعطّلت أحكامه وأُبطلتْ حدوده، أين هو الحكم الإسلامي في إدارة البلاد وسياسة العباد؟ كيف تُوزّع ثروات المسلمين وخيرات بلادهم؟ كيف يتمّ اختيار الحاكم؟ وما هي الطرق والوسائل؟ وهكذا إلى غير ذلك، وهل يؤتى بالكُفَء المتمتّع بصفات الحاكم الذي يريده الإسلام؟ هل هذا الحاكم يحكم بشرع الله وسُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ هل أحكام الإسلام تقام وتنفّذ؟

إنّ نظرة سريعة وبدون حاجة إلى تضييع الوقت وهدر الزمن وبمجرد أن تلقي النظر على واقع العالم الإسلامي ستجد وبلفتة واحدة أنه لا إسلام يحكم الحياة لا في الحكم ولا في الإدارة ولا في الأحكام الأخرى، وبالتالي فلا إسلام إلا على الورق - إن بقي حبر وورق ولم يجر التحريف والتبديل والتغيير - نعم هذا هو واقع المسلمين، تحكمنا القوانين الوضعية التي صاغتها عقول بشرية قاصرة محدودة وقد تبنّتها الحكومات القائمة باختيارها أو باضطرار منها تحت عناوين وحجج تخالف أمر الله وأمر رسوله.

وإذا كان الأمر كذلك فعندما يظهر المهدي عليه السلام يعيد للإسلام الحكم فيبسط هذا الإسلام سلطانه من أعلى السلطات فيه حكماً وإدارة إلى أصغر الوظائف وأقلّها شأناً، فضلاً عن إقامة العبادات وإعادة الروح الدينّية في كل الطبقات وعلى مختلف مستويات الحياة...

إن ما نعيشه اليوم من بُعْد عن الإسلام وما يعيشه الإسلام من غربة، هذا

سوف يغيّره المهدي ويعيد الإسلام المحمديّ حاكماً مطلقاً في كل شؤون الحياة وميادينها المختلفة. وهذا هو ما يفسره قول الصادق عليه السلام وقد سئل عن سيرة المهدي عليه السلام وكيف تكون؟ فقال: «**يصنع ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديداً**»[1].

فهذا الحديث الشريف يلقي أضواءً على أنّ المهدي عليه السلام لا يخرج عن سيرة رسول الله ومسيرته، بل يقتفي أثره ويقتدي به، فإن الجاهلية تحكُمُ البشريّة اليوم، ونحن نرى الظلم والاضطهاد والقهر للشعوب والأفراد ونرى الإسلام كيف ينزوي في المساجد وتُختصر أحكامه في عبادات أُفرغت من مضمونها وأصبحت تقليداً متّبعاً ليس في القائمين بها شيءٌ من مضمونها وحقيقتها وما يجب أن يتمتّع به من يقوم بها....

إنّ من أهمّ مهامّ المهديّ عليه السلام أن يهدم الجاهلية الحديثة، كما هدم جدّه الرسول الجاهلية القديمة، ثم يعيد للإسلام حياته في حياة الأمّة وحركتها وفي كل الحقول والمياين. وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله في بدو الإسلام إلى أمر جديد**»[2]. فالمهدي هنا يحذو حذو رسول الله في الدعوة إلى الإسلام، وهذا ما فسّره الإمام الصادق عليه السلام لأبي بصير حينما سأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام «**إنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء. فأجابه الصادق عليه السلام بقوله «يا أبا محمد إذا قام القائم عليه السلام إستأنف دعاءً جديداً كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله**»[3]... **إنَ الإسلام اليوم في غربة، عقائده في غربة، أحكامه في غربة - يعيش كله غربة، وإذا أردت أن تقف على جمال ما يحمله قوله صلوات الله عليه في قوله: وسيعود - الإسلام - في غربة، فانظر إلى ما كشفه الرضي في مجازاته النبويَة حيث**

(١) البحار، ج ٥٢، ص٣٥٢.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص٣٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٣٦٧.

يقول: «هذا الكلام من محاسن الاستعارات وبديع المجازات؛ لأنه عليه السلام جعل الإسلام غريباً في أول أمره تشبيهاً بالرجل الغريب الذي قلّ أنصاره وبعدت دياره، لأنّ الإسلام كان على هذه الصفة في أول ظهوره، ثم استقرّت قواعده واشتدّت معاقده وكثرت أعوانه وضرب جرانه».

وقوله عليه السلام «وسيعود غريباً، أي يعود إلى مثل الحالة الأولى في العاملين بشرائعه والقائمين بوظائفه، لا أنه - والعياذ بالله - تنمحي سماته وتدرس آياته.

ومن هنا تنفتح أمامنا الأخبار التي تدل على مدى معاناة المهديّ عليه السلام ممّن يواجههم بحيث تكون المواجهة له أشدّ من مواجهة جفاة الجاهلية لجدّه، ففي الحديث عن الفضيل قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ قائمنا إذا قام استقبل من جهلة الناس أشدّ مما استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله من جهّال الجاهلية، فقلت: وكيف ذلك؟

قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشبة المنحوتة، وإنّ قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأوّل عليه كتاب الله ويحتجُّ عليه به[1]...

إنّ ما يذكره الصادق عليه السلام يكشف بوضوح مدى معاناة المهدي عجل الله فرجه من الناس الذين يتوزّعون مذاهب مختلفة، وكل أهل مذهب يدعم ما يذهب إليه بحجج وأدلّة ويسند معتقده وما يذهب إليه إلى كتاب الله وسُنّة رسول الله مع براءة الكتاب والسنة من كثير ممّا يذهبون إليه، إذ الحقّ واحد لا يتعدّد وسبيل الله واحد وطرق الانحراف كثيرة...

نعم ستكون المواجهة بين هؤلاء الجهّال وبين المهدي وسيتذرّعون لمواقفهم بما يظنون أنها حجج شرعية وسينتصرون لآرائهم بأدلّة أوهى من بيت العنكبوت،

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٣٦٢.

وهذا يستدعي منهم إعلان حرب عليه ومواجهته بكل ما يملكون من عدّة وعدد....

الإمام المهدي عليه السلام يأتي بالإسلام الذي جاء به جدّه رسول الله، وهذا هو الشيء الجديد الذي تغيّب عن ساحة الحياة فأعاد المهدي عليه السلام إليه الحياة وبعثه من جديد ليحكم المجتمع البشريّ بأسره ويعمّ عدله الكون كله، وهذا هو أهمّ جديد يأتي به المهديّ عليه السلام....

المهدي الزاهد

لا إشكال في إباحة الطيبات وحليّتها فإن الله سبحانه لم يخلقها إلا ليتمتّع بها الناس ويستفيدوا منها، فقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[1] وقال تعالى في مدح نبيّه محمد ومبيّناً بعض ما جاء به، فقال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[2]، بل نصّ سبحانه مبيحاً لرسله وبصيغة الأمر قائلاً لهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾[3] وعاب سبحانه على من حرّم هذه الطيّبات ومنع نفسه منها فقال تعالى﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾[4] وهذا كله يجري حقّ الناس فالتشريع مع تناول هذه الطيبات، ولكن ما يجري في حقّ الناس قاطبة قد يُستثنى منه بعض الأفراد الذين يشكّلون القيادة وبأيديهم إدارة البلاد وسياسة العباد لما يشكّله موقعهم من أهميّة وما لهذا الموقع من أثر في نفوس الناس. وإن الإمام المهدي عليه السلام باعتباره يشكّل رأس الهرم في التسلسل البشري في عالم الكمال، وهو القدوة والأسوة من هنا كان عليه - وقد أخذ على نفسه، كما بيّنت الأحاديث - أن يكون أزهد الناس في مأكله وفي ملبسه وفي طريقة حياته، وهذه الطريقة في السلوك ليس المقصود بها التحريم، وإنما كان الامتناع عن الرفاه والتمتّع بالخيرات لأغراض إنسانية راقية فيها الكثير من المعاني التربوية للأمة، فإنّ هذا المجتمع بأفراده لا يخلو من فاقة أو حاجة مهما بلغت القدرات الإقتصادية للبلاد ومهما عمّ الغنى وإنتشر الثراء، إذ لعل هناك في بعض نواحي الأرض من يكابد ألم الحاجة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

فإذا نظر هذا الإنسان إلى أعلى القيادات وأكملها وأكثرها سداداً واحتياطاً فرأى سلوكها وسيرتها وطريقة حياتها في مأكلها وملبسها، فإن هذا يهوّن عليه ما هو فيه ويجعله يتقبّل ما هو فيه إلى أن يتخلّص منه وهذا المعنى هو ما ضربه الإمام أمير المؤمنين عملياً وسلوكياً وكشف عنه لبعض أصحابه، وجميل أن ننقل هذه الحادثة التي وقعت لما فيها من المعاني العالية والحِكَم الرفيعة وما تحتوي من دروس وعِبَر وفيها أعظم القيم التي يجب أن يتّصف بها الحاكم والمتولّي لشؤون الناس فيها...

دخل أمير المؤمنين عليه السلام على العلاء بن زياد الحارثي - وهو من أصحابه - يعوده فلما رأى سعة داره قال:

ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج؟

وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة: تُقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة.

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين: أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.

قال: وماله؟

قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا.

قال: عليّ به، فلما جاء، قال: يا عدوَّ نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك! أترى الله أحلّ لك الطيّبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك!

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، قال: ويحك، إني لستُ كأنت، إنّ الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيْلا يتبيّغ بالفقير فقره..[1]

ففي هذا النصّ العلويّ بيان لواجب الحاكم الذي يتولّى إدارة البلاد، فإنّ من الواجب أن يعيش مع أضعف الناس وأكثرهم فقراً، بحيث يلبس أخشن الثياب وأقلّها

(١) نهج البلاغة/من كلامه ٢٠٩.

ثمناً وأبسط ما يلبسه الفقراء، وكذلك طعامه يجب أن يكون أبسط الطعام الذي يتناوله الفقراء وأهل المسكنة وهذا كله ليحفظ على هؤلاء الفقراء نفوسهم الطيبة فلا تعيش غصص الفقر وآلام الجوع، فإن نفوس الفقراء تستقرّ عندما ترى رأس الدولة والحاكم فيها مثلها في حياته ومعيشته، وهذا يساعدهم ليتخطّوا ما هم فيه إلى الأحسن والأفضل....

إنّ الإمام المهدي عليه السلام الذي يتولّى قيادة الأمة ويكون على رأس السلطة والذي تحت سلطته الأرض كلّها ببرّها وبحرها وجوّها وبجميع أقطارها، هذا الإمام ينبغي أن يشكّل الضمانة الصحيحة لحفظ نفوس الناس الماديّة والمعنويّة. وإنّ أكبر تلك الضمانات هي نفسه الشريفة باعتباره القدوة والأسوة للجميع. وهذا يتطلّب منه - وكما وردت الأحاديث - أن يكون مع أضعف الفقراء والمساكين، ليحفظ عليهم دينهم وعقيدتهم فلا يشعر أحد بالغبن يلحقه في مجتمع المعصوم وإدارة حكمه. وقد وردت الأحاديث في ذلك، ففي عهد الإمام الصادق عليه السلام - كما في كل العهود والأزمنة حتى يومنا هذا - يعيش المؤمنون حالة الانتصار والترقّب ويتوقّعون ظهور المهدي في كل لحظة بل في بعض الأحيان يستعجلون خروجه ويريدون هذا الخروج بأسرع ما يكون لحبّهم لهذا الإمام من جهة ولأنه يرفع سياط الجلادين عن ظهورهم والسيوف عن رقابهم ولذا يقول الصادق لهؤلاء المستعجلين «**ما تستعجلون بخروج القائم؟ فوالله ما لباسه إلا الغليظ ولا طعامه الا الجشب**»[1]. وفي بعض الروايات «**ما يستعجلون بخروج القائم؟ والله ما طعامه إلا الشعير الجشب ولا لباسه إلا الغليظ وما هو إلا السيف والموت تحت ظل السيف**»[2].

ويروي المفضّل يقول: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بالطواف فنظر إليّ وقال

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٣٥٥.

لي: يا مفضّل ما لي أراك مهموماً متغيّر اللون؟

قال: فقلت له: جعلت فداك، نظري إلى بني العباس وما في أيديهم من هذا الملك والسلطان والجبروت، فلو كان ذلك لكم لكنّا فيه معكم.

فقال: يا مفضّل أما لو كان ذلك لم يكن إلا سياسة الليل وسياحة النهار وأكل الجشب ولبس الخشن شبه أمير المؤمنين وإلا فالنار[1].

فالإمام الصادق عليه السلام يلقي بهذه المهامّ الكبيرة على عاتق الحاكم ويحمّله مسؤوليّة إدارة البلاد وحفظ العباد ويجعله قدوة في مأكله وملبسه كما كان أمير المؤمنين عليه السلام وقد مرّ معنا قوله للعلاء بن زياد - وإلا إذا تخطّى الحاكم ما كان عليه أمير المؤمنين فسيكون مصيره إلى النار، لأنه لم يقم بواجبه ولم يؤد المطلوب منه فيكون عاصياً مقصّراً، وهذا عاقبته إلى النار... وإنّ الإمام المهديّ عليه السلام زاهد من الطراز الأول وزهده عن اقتدار وليس عن عجز، إذ الدنيا كلها تحت يديه، وخيراتها فيض جوده وعطائه، ويستطيع أن يدرك ما يريد ويصل إلى ما يتمنّى، ولكنه يترك ذلك رفقاً بالفقراء والضعفاء ومواساة لهم لئلّا تتحرّك أحزانهم عليهم ويكون ذلك سبب شقائهم وعذاباتهم التي قد تؤدّي بهم إلى موت مفجع تنتهي به حياتهم.....

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٣٥٩.

المنع من ذكر إسم المهدي عليه السلام

عقد علماء الحديث عندنا أبواباً في حرمة ذكر إسم المهدي عليه السلام فالكلينيُّ في الكافي يعقد فصلاً تحت عنوان «**باب في النهي عن الاسم**» والصدوق في كمال الدين يعقد فصلاً تحت عنوان «**النهي عن تسمية القائم**» وصاحب بحار الأنوار العلامة المجلسي يعقد فصلاً تحت عنوان «**النهي عن التسمية**» وهكذا يتوالى المؤلّفون بعد هؤلاء الاقطاب الكبار على أخذ هذا العنوان وذكر ما ورد فيه من أحاديث حتى وصل الأمر إلى درجة الشياع أنه يحرم تسمية المهدي عليه السلام بإسمه فلذا كنّوا عنه بذكر بعض صفاته أو خصوصياته كقولهم «**القائم**» و «**الحُجّة**» و «**صاحب الزمان**» وقد إستقوا ذلك من الأئمة وأصحابهم ممّن عاصرهم وعاشوا معهم، وحديثنا هنا يبتدئ بذكر هذه الأحاديث:

١-عن الريان بن الصلت قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول - وسئل عن القائم - فقال: لا يُرى جسمه ولا يُسمّى بإسمه[١].

٢- عن ابن رئاب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: صاحب هذا الأمر لا يسمّيه بإسمه إلا كافر[٢].

٣-عن عبد العظيم الحسني عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه قال في القائم عليه السلام: لا يحلّ ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظلماً وجوراً[٣].

٤- عن صفوان بن مهران عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: المهديّ

---

(١) الكافي، ج١، ص ٣٣٣. باب النهي عن الاسم.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص٣٣٣، باب في النهي عن الاسم.

(٣) البحار، ج ٥١، ص٣٢.

من ولدي الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته[١].

٥- عن الإمام الباقر - محمد بن علي قال: القائم هو الذي يخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته، وهو سمّي رسول الله وكنيّه[٢].

٦- عن علي بن عاصم الكوفي قال: خرج في توقيعات صاحب الزمان «**ملعون ملعون من سمّاني في محفل من الناس**[٣].

٧- عن أبي عبد الله الصالحي قال: سألني أصحابنا بعد مضي أبي محمد عليه السلام أن أسأل عن الإسم والمكان فخرج الجواب: إن دللتم على الإسم أذاعوه وإن عرفوا المكان دلّوا عليه[٤].

هذه الأحاديث واضحة الدلالة في المنع عن ذكر اسم المهديّ عليه السلام ولكن الكلام يقع في أن هذا المنع هل يعمّ الأزمنة كلها - أيام ولادة المهدي وبعده في الغيبة الصغرى ثم في الغيبة الكبرى، حتى يومنا هذا وما بعده إلى الظهور المبارك؟ أم أنّ هذا المنع يختصّ بالأيام التي تشكّل خطراً على المهدي وتهديداً لحياته كأيام ولادته وحياته مع أبيه وفي الغيبة الصغرى فحسب، أمّا في الغيبة الكبرى فلا نهي ولا منع ولا حظر عن ذكر اسم المهدي لأنّ إسمه لا يشكّل خطراً عليه؟.....

ذهب شيخنا الصدوق إلى المنع عن ذكر إسمه قال صاحب البحار ما نصّه أقول: «**قد مرّ في بعض أخبار اللوح التصريح بإسمه عليه السلام فقال الصدوق رحمه الله: جاء هذا الحديث هكذا بتسمية القائم عليه السلام والذي أذهب إليه**

---

(١) البحار، ج ٥١، ص٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥١، ص٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥١، ص٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ج ٥١، ص٣٢.

النهيّ عن تسمية القائم عليه السلام»[1].

وذكر المجلسي في بحاره بعد ذكره لحديث موسى بن جعفر عند ذكر القائم وأنه قال: يخفى على الناس ولادته ولا يحلّ لهم تسميته حتى يظهره الله عزَّ وجلَّ[2].

قال المجلسي: بيان هذه التحديدات مصرّحة في نفي من خصّ ذلك بزمان الغيبة الصغرى تعويلاً على بعض العلل المستنبطة والاستبعادات الوهمية، انتهى.

أقول: لا يمكن أن نذهب إلى هذا الرأي الذي ذهب إليه هذان العلمان – مع إحترامنا وتقديرنا لشخصها وما لهما من منزلة كبيرة عندنا؛ وذلك لأمور ينبغي الوقوف عندها والتأمّل في مضمونها وأبعادها وما ترمي إليه.

١- أن المهدي عليه السلام معروف لدى المسلمين – فقد بشّر به النبي صلى الله عليه وآله وأعلن بشكل صريح واضح عن إسمه وكنيته وإسم أبيه وتسلسله في قائمة الأئمة ووردت عنه صفاته ومواصفاته وحركته ودوره وحروبه وإنتصاراته والمهمّة الموكلة إليه في تحرير العالم ورفع الظلم والجور وإرساء القسط والعدل. ثم بعد النبي صلى الله عليه وآله تولّى المعصومون من أهل البيت حمل هذه المهمّة فأبلوا بها بلاء حسناً حيث بشّروا جميعاً به وصل إلينا منهم وعن طريقهم تفاصيل مذهلة عن تحركاته وما يجري في أيامه وما يمرّ من أحداث وهكذا...

٢- ينبغي أن نعرف أنّ الاسم بنفسه ليس هو المقصود بالذات وإنما هو طريق للوصول إلى الشخص المسمّى به، فعندما نحجب الاسم نريد أن نحجب من سُمّي به لكي نحفظه ولا نعرّضه للخطر وإلا فالاسم بنفسه ليس هو المقصود بالذات، ومن هنا ينبغي أن نعرف أنّ المقصود حفظ المهدى وهو الهدف والغاية...

٣- أن النهي عن تسمية المهدي عليه السلام باسمه ليس أمراً تعبديّاً صرفاً أو أمراً توقيفياً

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥١، ص٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥١، ص٣٢.

مثل الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات لا يجوز الزيادة فيها أو النقصان منها، فصلاة الصبح ركعتان والظهر أربع ركعات والمغرب ثلاث والعشاء أربع فإن اختلافها في الركعات أمر تعبدي توقيفي لا نعلم وجهه وحكمته إلا أنّ علينا أن نتعبّد بذلك ونقوم به، وهذا الأمر تخلو منه قضيّة التسمية للمهدي فإن أسرار التسمية يمكن أن يصل إليها الإنسان بفكره إذا أمكننا حمل النهي عن التسمية على محمل مقبول ومعقول.

٤- إن ما ذهب إليه شيخنا الصدوق من المنع عن التسمية لا وجه له؛ لأنه قدس سره يقول: «**جاء هذا الحديث «حديث اللوح»** وهو ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام في حديث اللوح: يخرج في آخر الزمان على رأسه غمامة بيضاء تظلّه من الشمس تنادي بلسان فصيح يسمعه الثقلان والخافقان: هو المهدي من آل محمد يملأ الأرض عدلاً كما مُلئتْ جوراً[1]. هكذا بتسمية القائم عليه السلام والذي أذهب إليه النهي عن تسميته» فهو رحمه الله بيّن رأيه في التسمية وأنها لا تجوز ولم يبيّن بطلان ما ذكر في اللوح المحفوظ من ذكر التسمية، وهنا على تقدير صحّة أحاديث المنع تصبح الأحاديث المجوّزة والمانعة للتسمية متعارضة، وفي التعارض تتساقط الأحاديث إن لم يكن في أحدها مرجح، فنرجع إلى الأصل والأصل يقتضي الإباحة والجواز....

وأمّا ما ذهب إليه المجلسي، وإن خرج الحديث مخرج العموم، فإنّه يمكن تقييده وتخصيصه بزمن الغيبة الصغرى، فإن العلماء الذين استفادوا ذلك جمعوا بين الأحاديث بهذا الوجه وهو مقبول، خصوصاً إذا ضممنا إليه بيان أسرار التسمية وفوائدها وعدم المحذور في ذكر اسمه الشريف في الغيبة الكبرى....

٥- إننا نعلم أنّ السلطة الحاكمة في أيام ولادة المهدي عجل الله فرجه وخلال أيام أبيه كانت تراقب بدقّة الخلف للعسكري - والد المهدي - وكيف تولّى العسكري مهمّة

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٣٧٨.

الحفاظ على المولود الموعود في ظروف غايةً في الحرج والمراقبة، ثم كيف كانت السلطة تتابع مجريات الأمور بعد وفاة الوالد لترى الوريث له. إن تلك الظروف الصعبة القاسية التي أحاطت مولد المهدي عليه السلام وما بعد الميلاد أثناء الغيبة الصغرى هذا كله أوجب على الأئمة أن يعلنوا بياناتهم التي لا تبيح لأحد ذكر اسم المهدي عليه السلام لئلا تعرفه السلطة بشخصه وتهتدي إليه عبر الاسم فكان النهي صادراً لهذا الأمر المهمّ، وهذا أمر متعارف عليه عند العقلاء يسلكه كل من كان له أدنى معرفة أو دراية في حفظ المهديّ في تلك الأثناء، ولذا ورد في الحديث الصادر عنهم عليهم السلام **«إن دللتم على الاسم أذاعوه وإن عرفوا المكان دلّوا عليه»**[1].

إنّ ما صدر من الأئمة من المنع عن ذكر المهدي عليه السلام وتسميته بالاسم إنما كان من أجل المحافظة عليه وطلباً لسلامته، وهذا الأمر يجري مفعوله في وقت يمكن أن تكون حياة المهديّ مهدّدة بالخطر فيمنع من ذكر اسمه من أجل الحفاظ عليه. أمّا بعد أن أصبح في أمان من الأخطار ولا يمكن لأحد أن يصيبه بأذى - كما هو الحال في الغيبة الكبرى - فإن العقل والمنطق وما ذهب إليه الأكثر من العلماء. إباحة التصريح بإسمه وجواز تسميته، بل إنّ هذا الاسم لحن جميل ونغم ينعش القلوب ويعيد البسمة للشفاه الذابلة ويروي الأرواح الظمأى المتعطّشة إلى العدل والحقّ والسلام...

إننا - وفي زماننا الذي نعيش فيه - يجب أن نحمل اسم المهدي عليه السلام على كل راية ونرفعه فوق كل مئذنة ومنارة ونردّده في كل مكان وزمان، نبشّر به البشريّة ونعدها بمستقبل زاهر تحت رايته.... كيف لا يصحّ ذكر اسمه عليه السلام وهو البلسم لشفاء المرضى والمعذّبين في الأرض؟ كيف نخفي اسم المهدي وهو القائد المدّخر لتحقيق العدل الذي تفتقده البشريّة وتتطلّع إليه مع كل فجر وفي كل لحظة علّها

(١) البحار، ج ٥١، ص ٢٣.

تسمع صوت المنادي ينادي: إنّ المهدي قد خرج فأتوا إليه ولو حبواً على الثلج؟

إنّ مهمّتنا في هذه الأيام أن نهيّئ الظروف المناسبة لظهور المهدي عليه السلام ومن الأمور الممهّدة لظهوره أن نعمّم ذكره وننشر إسمه ويأخذ الإعلام نصيباً كبيراً في ذكر هذا المنقذ وتفاصيل كثيرة من بركاته وعطاياه وما يكون في أيامه من خيرات حتى تصبح الأُمّة مهيّأة لاستقباله عند الظهور ترحب به وتفرح للقائه والانتصار له....

العلم والمعرفة زمن المهدي عليه السلام

من مميّزات عصر الإمام المهدي عليه السلام أنه عصر العلم والمعرفة، فهو عصر تبلغ فيه البشرية رشدها العقلي وكمالها المعرفي بحيث تضرب الرقم القياسي في هذه الحقول الرائعة، ففي حين كانت تنتقل بشكل بطيء عبر آلاف السنين ولا تنتقل من مرحلة إلى أخرى إلا بعد أن تستهلك الجهود المضنية والأتعاب الشاقّة والآلام والدموع والعرق. ففي حين تكون هذه حالة البشريّة يأتي المهدي عليه السلام ليقفز بالعلم – في زمنه – قفزة نوعيّة لم تعهدها البشرية من قبل، إن البشريّة سترى في عهد الإمام المهدي عليه السلام ما يذهل العقول ويدعها تعيش الحيرة مما يحدث ولا تكاد تصدّق ما يحدث.

كشفت الأحاديث والروايات ما تبلغه البشريّة من العلم والمعرفة في زمانه، فالعقول تكتمل في زمانه فإذا كان العقل البشري يعطي جزءاً محدوداً من طاقاته وأبدع ما أبدع ووصل إلى ما وصل إليه، فإنّ هذا العقل سيعطي كل طاقاته وسيتفجر الإبداع وستكون المنجزات المعجزة زمن المهدي.

في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس وضمّ إليها الحرفين حتى يبثَّها سبعة وعشرين حرفاً[1].

الإمام المهدي لا يتخلّى عمّا وصلت إليه البشرية من العلوم والمعارف، ولذا يضمّ ما تقدّم إلى ما سوف يستجدّ، وإنّ ما تقدّم ما هو إلا جزء يسير – رغم

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٣٣٦.

التطور والتقدم - حرفان من سبعة وعشرين، ومعنى ذلك أنّ العلم في زمن المهديّ يبلغ غايته ومنتهاه، وأيضاً هذا العلم لا يخصّ الشريعة والدين بل هو عام لكل العلوم، قد يُسأل: وهل هناك من شيء قد بقي ولم يصل إليه العقل البشري والمعرفة البشرية حتى الآن؟ والجواب: أنّ ما عندنا وما وصلنا إليه كان أحلام الماضي، ولأيامنا أحلامها ستتحقّق زمن المهدي وما أكثر أحلام الإنسانية ورؤيتها المستقبلية..

وفي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم[1].

فحوى هذا الحديث - كما هو مبلغ علمنا وفهمنا - أنّ الله أودع الإمام المهديّ العلوم كلّها، والمعرفة كلّها فعندما يظهر الإمام يعلّم الناس ما عنده - وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم - فإذا كملت العقول تفجّرت الطاقات وبرزت العلوم كحقائق واقعية، فيكون وضع اليد على الرؤوس كناية عمّا ينشره الإمام ويعلّمه للناس، ويمكن أنّ وضع يده الشريفة على رؤوس العباد معجزة يعطيها الله للمهدي عليه السلام وكرامة له لتخرج الأمور عن طبيعتها البشريّة المعتادة وتدخل في عالم آخر غيبي لا يُدرَك إلا في وقته....

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام من حديث قال: «**وتؤتون الحكمة في زمانه حتى إنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسُنَة رسول الله**»[2].

في هذا الحديث يبلغ الرشد العقلي والمعرفة أعلى الدرجات ببركة المهدي عجل الله فرجه فالناس تُمنح الحكمة - إصابة الحق والواقع فيما تقول وتفعل - والمرأة التي تتولّى إدارة بيتها ومهمّة تربية أولادها وعليها مسؤولية صياغة الإنسان الرسالي،

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٣٢٨.

(٢) الغيبة للنعماني، ص ٢٤٥ /البحار، ج٥٢، ص ١٢٢.

ولها مهامّ جليلة وكثيرة، هذه المرأة تُعطى ببركة المهدي عليه السلام علم القضاء وفصل الخصومات - وهي في بيتها - وعلى موازين القضاء حيث تقضي بكتاب الله وسُنّة رسوله...

إنّ المعرفة في زمن المهدي عليه السلام تكون سِمَة المجتمع، إمّا بحملة تثقيف وتوعية عامة كما هو متعارف، وإما بإعجاز إلهي ومعجزة ربانية حيث تكتمل العقول وتبلغ رشدها فتتدرّج إلى أن يبلغ الفرد سنّ الرشد، والإعجاز أبلغ وأروع، وهو ما يفسّره الحديث الوارد عن أمير المؤمنين وهو يتكلّم عن عصر المهدي فيقول: «**ويقذف في قلوب المؤمنين العلم فلا يحتاج مؤمن إلى ما عند أخيه من العلم**[1]...

(١) البحار، ج ٥٢، ص٨٦.

عصر المهدي عليه السلام - عصر القرآن

تزدهر الثقافة في زمن المهدي عليه السلام حتى تبلغ الذروة وينتشر العلم حتى يبلغ منتهاه؛ لأنّ العقول تكتمل عندما يضع المهدي عليه السلام يده على رؤوس العباد، ويستخرج صلوات الله وسلامه عليه ما كان قد إختفى من علم - وهو شيء كثير...

إنّ أرقى الأزمنة علمياً وثقافياً وفكرياً هو زمان الإمام المهدي عليه السلام ولا شك أنّ من أوائل إهتمامات الإمام إهتمامه بالقرآن لأنه كتاب الله وخطابه إلى الناس وحبله الممدود من السماء إلى الأرض، وبهذا القرآن يكون الخلاص والنجاة...

يولي المهدي هذا القرآن عناية خاصة لأنّ المسلمين هجروه وضيّعوه خلال مسيرتهم الحياتية الماضية فقد جانبوا أحكامه وعطّلوا حدوده وأفقدوه فاعليَّته في آيات الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم والسلطة وغيرها، ولذا كان على المهدي عليه السلام أن يعيد للقرآن دوره وفاعليته وأثره ولا يكون ذلك إلا بتعليمه كما أُنزل تفسيراً وشرحاً وبياناً حتى تقف الأمة على حقائق القرآن كما هي صافية نقيّة طاهرة لم تعمل فيها الأهواء والمذاهب والآراء... كان على المهدي وهو على رأس القيادة في قيادة الأمة ورأس السلطة أن يعطي اهتمامه للقرآن كي تصل معانيه الصحيحة إلى عقول الناس وقلوبهم فيصنع جيلاً قرآنياً يكون قادراً على تحمّل هذا الميراث الكبير في نقله إلى العالم وترغيب الناس في العمل به... زمن المهدي هو زمن القرآن حيث تتكوّن حلقات خاصة - إختصاصية بالقرآن - لتعليمه قراءة وتفسيراً وتبياناً لمفرداته وما يحمل من المعاني والمضامين وما فيه من كنوز ثمينة لم تتوصّل إليها العقول من قبل.

في الحديث عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إذا قام قائم آل محمد

ضرب فساطيط لمن يعلّم الناس القرآن على ما أنزل الله جلّ جلاله....[١]

وفي الحديث عن حبة العرني قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كأني أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة وقد ضربوا الفساطيط يعلّمون الناس القرآن كما أنزل...[٢]

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: كأني بشيعة علي عليه السلام في أيديهم المثاني يعلّمون الناس[٣].

هذه الأحاديث تكشف عن صورة رائعة سيكون عليها المجتمع زمن المهدي عجل الله فرجه حيث ستتولّى طائفة من شيعة المهدي مهمّة تعليم القرآن للناس وتثقيفهم، بل ستكون الصورة أكثر غرابة عندما نرى العجم - غير العرب - يتولّون تعليم القرآن للناس مع عُجمتهم وعدم قدرتهم على الإلمام بالعربية - بحسب العادة - يقول إبن نباتة: سمعت علياً عليه السلام يقول: كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلّمون الناس القرآن كما أُنزل...[٤]

وهذا الحديث يكشف لنا أنّ أنصار المهدي عجل الله فرجه فيهم شريحة مثقّفة إسلامياً من غير العرب قد استوعبوا اللغة وأجادوها بحيث امتلكوا القدرة على تعليم غيرهم، وخصوصاً في زمن المهدي عجل الله فرجه ويكون لهم مقاعد مخصوصة للتدريس في أعظم المساجد وهو مسجد الكوفة حيث مكان إقامة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وأيضاً في الحديث نص على تعليم القرآن - كما أُنزل - وفيه دلالة واضحة على رفع الاختلاف في تفسيره فلا تعدُّد في الآراء ولا إختلاف في الإفهام وذلك ببركة المهدي عجل الله فرجه الذي يكون المرجعيّة العليا التي بقولها تحسم الأمور وعند فهمها تقف الأفهام والعقول....

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٢، ص ٣٦٤.

(٤) البحار، ج ٥٢، ص٣٦٤.

الإسلام يحكم العالم

ما يقوم به المهدي عليه السلام ويحققه من إنجازات هو خلاصة جهاد الأنبياء جميعاً من لدن آدم إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين، فإن هؤلاء الأنبياء كافحوا وناضلوا وبذلوا قصارى جهدهم حتى ذهب بعضهم شهداء وسفكت دماء أصحابهم وأتباعهم ومن سار بسيرتهم وإقتدى بهديهم..

كان همّ هؤلاء الأنبياء - وأتباعهم - تحقيق إرادة الله ونفوذ أمره بحيث يُطاع فلا يُعصى ليحقّق هذا الإنسان سعادته في الدنيا والفوز في الآخرة بالجنة وما فيها. ولكن أهداف الأنبياء لم تتحققّ بالكامل بل في جزء كبير منها بقيت عناوينَ وأحكاما وتشريعات لم يكتب لها أن تمارس وتعيش في حركة الناس وسلوكهم، فمن هنا كان على عاتق المهدي عليه السلام أن يقوم بهذه المهمة العظمى لتكون حركته تتويجاً لحركات الأنبياء جميعاً، فيبسط الإسلام سلطانه على الكرة الأرضية ولا يعود في الأرض إلا هذا الدين.

إنّ توحيد الله والتديّن بالإسلام عقيدة وشريعة لكل الناس وفي كل شبر فوق هذه الأرض، هذه المهمّة هي المهمّة الكبرى الملقاة على عاتق المهدي عليه السلام وقد إدّخره الله لها وأعدّه إعداداً كاملاً للقيام بهذه المهمّة العظمى...

إنّ نشر الإسلام وتعميمه ليكون الدين الوحيد في الأرض سيكون بعد أن يتبلّغ الناس هذا الدين ويقفوا على عقائده وشرائعه وأحكامه ومفاهيمه وقيمه وما يحمله من سعادة لهذا الإنسان في الدنيا وفي الآخرة. وفي الوقت نفسه يقف كل الناس وبأنفسهم على أعظم قيادة تاريخية يفتح الله على يديها كل صعب وعسير وتصاب الجبابرة بهزائم ساحقة لم يعهدوها في تاريخهم، وأكثر من ذلك، فإنّ المجتمع

يبلغ رشده العلمي والثقافي بحيث يميز الطيب من الخبيث والحق من الباطل وما يجب أن يفعله وما يجب أن يتركه من طرق الخير أو طرق الشرّ...

في هذه الأجواء الواضحة التي ليس فيها غبار يحجب الرؤية أو يشوّش الفكر، يكون على كل إنسان أن يختار الإسلام لأنّ به الخلاص والإنقاذ وهو الطريق إلى رضا الله وإلى الجنة فمن آمن فقد اهتدى ومن كفر فقد ضل وليس أمامه إلا السيف؛ لأنه بوجوده يشكّل العضو الفاسد الذي لا يقتصر فساده على نفسه بل يتعدّى إلى غيره فيحتاج إلى بتر وقطع لئلا ينشر الفساد والرذيلة....

إنّ الإسلام هو الدواء الذي به تشفى الإنسانية فمن لم يأخذ به عقيدة وعملاً كان نصيبه الموت المحتّم، ومن هنا في زمن المهدي عجل الله فرجه يعمّم الإسلام على الناس قاطبة بحيث يغطي الكرة الأرضية كلها فلا تبقى بقعة إلا ويحكمها الإسلام.

في الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام قال في قوله تعالى ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾. قال: إذا قام القائم عليه السلام لا يبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله[1].

وفي حديث آخر يكشف أنّ المهدي يعرض الإسلام على الناس، فمن أبى قتله وعرض الإسلام هو كشفه وبيانه وتوضيح عقائده وأحكامه، والإمام هو الذي يتولّى هذا العرض بحيث يقطع حججهم وأعذارهم ويسكت أصواتهم، فإن قبلوا كانوا مسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وإلا فالسيف هو الذي يحسم الأمور ويقضي على الفساد. في الحديث عن أبن بكير قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾. قال أنزلت في القائم عليه السلام إذا خرج باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الردَّة والكفّار في شرق الأرض وغربها، فعرض عليهم الإسلام فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويجب لله عليه، ومن لم يسلم ضرب عنقه حتى لا

(١) منتخب الأثر، ج٢، ص ١٢٦.

يبقى في المشارق والمغارب أحد إلّا وحدّ الله.

قلت له: جعلت فداك، إنّ الخلق أكثر من ذلك.

فقال: إن الله إذا أراد أمراً قلّل الكثير وكثّر القليل..[١]

وفي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ القائم يملك ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أهل الكهف في كهفهم يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئتْ ظلماً وجوراً، ويفتح الله له شرق الأرض وغربها، ويقتل الناس حتى لا يبقى إلا دين محمد صلى الله عليه وآله يسير بسيرة سليمان بن داوود....

وفي الحديث عن أبي جعفر قال: القائم منصور بالرعب مؤيّد بالنصر تُطوى له الأرض وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب ويُظهر الله عزَّ وجلَّ به دينه ولو كره المشركون[٢].

وعن القندوزي في ينابيع المودّة، عن زرارة قال: سئل الباقر رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[٣] ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[٤].

قال لم يجئ تأويل هذه الآية، وإذا قام قائمنا بعدُ يرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلِّغَنّ دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل والنهار حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض كما قال الله عزَّ وجلَّ..

وعن عباية بن ربعي قال: قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في هذه الآية: والذي نفسي بيده لا تبقى قرية إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله بكرة وعشيّاً...

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص١٩١.

(٣)

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٦؛ سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

ولزيادة الإيضاح يضرب النبي صلى الله عليه وآله للقائم مثلاً بذي القرنين ويشبّهه به لجهة تملُّكه للعالم أجمع وإمتداد ملكه إلى شرق الأرض وغربها، يقول النبي صلى الله عليه وآله وهو يخاطب المسلمين - ويبشّر بالمهديّ - «**وفيكم من هو على سُنّته - على طريقته وسيرته - وأن الله مكّن لذي القرنين في الأرض وجعل له من كل شيء سبباً وبلغ المغرب والمشرق وأن الله تبارك وتعالى سيجري سُنّته في القائم من ولدي فيبلغه شرق الأرض وغربها حتى لا يبقى منهلٌ ولا موضعٌ من سهل ولا جبل وطئه ذو القرنين إلا وطئه، ويُظهر الله عزَّ وجلَّ له كنوز الأرض ومعادنها، وينصره بالرعب فيملأ الأرض به عدلاً وقسطاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً**»[1].

الإمام المهدي عليه السلام هو الذي يحقق أحلام الأنبياء ويكلّل جهودهم وجهادهم بنصر مؤزّر يعمّ العالم حيث يبسط الإسلام سلطانه على الدنيا كلها ولا يعود لغيره دور أو فاعليّة وأثر.....

ويؤكد معنى شمولية الحكم الإسلامي للعالم كله شرقه وغربه وكل أقطاره وبقاعه ما ورد في كتاب الله، ومنه قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[2] فإن ظهور دين الله - الإسلام - أي غلبته على الأديان كلها سواء كانت هذه الغلبة ثقافية أو فكريّة أو عسكريّة، إنّ ظهوره على الأديان كلها بمعنى سيطرته العمليّة عليها كلها حتى تصبح تحت جناحيه لا تنازعه ولا تقاومه ولا تقف في وجهه. ومن المعلوم أنّ هذا المعنى لم يتحققّ حتى الآن، فإن الأديان الأخرى كانت تقابل الإسلام وكان لها وجودها المعتدّ به على امتداد التاريخ، ولذا ورد تفسير الآية بأن مضمونها سوف يتحقق في زمن حكم المهدي عليه السلام حيث يتحققّ العدل العالمي في طول الأرض وعرضها وعلى إمتداد وسعة هذه الأرض، وعندها يبسط الإسلام سلطانه ولا يعود

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص ٢٧٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

للأديان الأخرى أي دور أو أثر بل الإسلام وحده هو الذي يحكم العالم كله.

روى العياشي بإسناده عن عمران بن ميثم عن عباية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام حين تلا الآية «**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق**» سأل أصحابه: أظهر ذلك؟

قالوا: بلى.

قال: كلا، فوالذي نفسي بيده حتى لا يبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله بكرة وعشيّاً.

وفي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إنّ ذلك عند خروج المهديّ من آل محمد فلا يبقى أحد إلا أقرّ بمحمد!

أقول: أُحصيتْ الروايات الخاصة التي تقول إنّ الإسلام يحكم العالم فبلغت سبعتً وأربعين رواية مختلفة الطرق والأسانيد، وفي جملة متعددة من المصادر والمراجع مما يقطع معه صحة هذا المعنى وهذا يعضد الأدلة الواردة في الكتاب العزيز والسُنّة المطهرة من أن الإسلام سيكون الدين الحاكم الذي يظهره الله على الدين كله ببركة المهدي وظهوره المبارك

زواج المهدي عليه السلام

سؤال يطرح نفسه: هل الإمام المهدي عليه السلام متزوج وله أولاد؟ وقبل البدء بالجواب يجب أن نستحضر أمرَيْن:

الأول: أنّ الإمام المهدي عليه السلام شخص له كيان مستقل فهو شخصيّة - وإن كانت إستثنائية - ولكنه يحمل إنتماء فهو مولود ابن العسكري، وقد غاب غيبة صغرى وهو الآن في أيام الغيبة الكبرى، فهو بالتالي شخصية يعيش في المجتمع - كما قلنا - يخالط الناس ويحضر مجالسهم ومواسم الحج ويطأ فرش الناس ويتنقل بينهم ويقضي حاجاتهم وله كلمة الفصل في الأمور المفصلية التي تحفظ كيان الأمة، وهذا من عقيدتنا وإن كنّا لم نتشرف بمعرفة الشخصية ولم نكحل أنظارنا برؤيته التفصيلية.

الثاني: وهذا الإمام بشخصيته الإيمانية لا يمكن أن يترك مستحباً أو يفعل مكروهاً لأنه الانسان الكامل الذي لا يخالف السُنّة، ومن السُنّة الزواج فلابُدَّ أن يقوم بهذا المستحب خصوصاً إذا لم يعرّضه للإنكشاف وظهور الأمر، وهذا يمكن الاحتياط بما يراه وهو أدرى بذلك.

إذاً، الإمام المهدي عليه السلام متزوج، ويمكن أن يكشف أمره إلى زوجته إذا كانت في غاية الإيمان ومنهى التديّن وكتمان السرّ فلا تكشف ذلك لأحد مهما إشتدت الرغبة في الكشف أو إشتد الضغط. ويمكن أن يعيش مكتوماً لا يكشف حقيقته لها ولا يظهر نفسه على حقيقتها كما هي حفظاً لنفسه أن تبوح زوجته بالسرّ فينكشف ويتعرّض للخطر.

وطبعاً زوجة المهدي عليه السلام ليست واحدة طيلة فترة الغيبة التي امتدت مئات

السنين بل تجاوزت ذلك بكثير، بل كلما ماتت زوجة تزوّج غيرها إذ لم يرد أن زوجته تعمرّ معه طيلة غيبته وحتى ظهوره. نعم يبقى سؤال متفرّع عمّا تقدّم وهو: هل للإمام المهدي أولاد أم لا؟

والجواب سلباً أو إيجاباً في غاية الصعوبة، والقطع بأيهما يكون في منتهى الجرأة، وإن كان القول إنّ له أولاداً أقرب وأصوب، فكم في العالم من أشخاص يأتون إلى الدنيا ويخرجون منها دون أن يشعر بهم أحد خصوصاً في هذه الأيام التي بلغ تعداد السكان مليارات من الناس في توزيع يشمل الكرة الأرضية على امتدادها وسعتها، ولا يمكن التواصل بين الجميع فرداً فرداً، وإن تقدّمت وسائل الإتصالات، بل ومهما ستتقدّم سيبقى العجز حاكماً لها عن التواصل إذ ستبقى شعوب خارج خارطة هذه الإتصالات خصوصاً إذا اتخذ قرار عدم الاتصال من نفسها. فمن منا يعرف كل أسماء أبناء وطنه؟ ومن منّا وقف على كل واحد، أين يسكن؟ وفي أي بقعة يقيم؟ حتى الدولة تعجز عن ذلك، إذ هناك مئات من مكتومي القيد لم يسجّلوا في دوائر النفوس ولا تعرف الدولة عنهم شيئاً، فيمكن أن يكون أولاد الإمام من تلك الفئة التي لم تكشف هويّتها على حقيقتها فانتموا لأسماء مستعارة وعاشوا بها وقضوا حياتهم حتى خرجوا من الدنيا، ويمكن أن يؤيّد ذلك ويسنده ما ورد عن يونس بن عبدالرحمن عن الرضا أنه كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر عليه السلام: اللهم إدفع عن وليك وخليفتك وحجتك على خلقك ولسانك المعبر عنك....إلى قوله «**اللهم أعطه - لصاحب الأمر المهدي عجل الله فرجه الشريف - في نفسه وأهله وولده وذريته وأمته وجميع رعيّته ما تقرّ به عينه وتسرّ به نفسه....إلخ**»[1].

فإنّ الدعاء «**وولده وذريته**» يكشف أنه متزوج وله أولاد، فلذا ندعو لهم أن يكونوا قرّة عين للإمام المهدي وموضع مسرة له.

---

(١) مفاتيح الجنان، ص٥٤٦، طبعة دار الأضواء -بيروت/مصباح الشيخ الطوسي.

سيف المهدي عليه السلام

هناك أمر شائع بين المؤمنين بالمهدي عليه السلام بأنه يخرج ومعه السيف يضرب به أعناق من خالفه ونَصَبَ له العداوة ووقف في طريقه لتحقيق الأهداف التي يريدها، وقد تعمّق هذا المفهوم بمعناه الحرفي وأن السيف هو الأداة التي يستعملها المهديّ في حروبه وهي وسيلة الانتصار والسلاح المعتمد في معاركه.

وهذا الفهم الشائع والمتداول على ألسنة المؤمنين لم يأت من فراغ بل له رصيد من الأحاديث والروايات تكفي لتثبيت وإثبات ما عند العامة من الناس والشائع بينهم، وهذا أمر واضح.

ففي الحديث عن أبي جعفر - الباقر - يقول في حديث له «**أما أنه لا يبدأ إلا بقريش، فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف**».

وفي الحديث وعن أبي جعفر - الباقر - «**إذا قام القائم سار إلى الكوفة فيخرج منها بضعة عشر ألف نفس...فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم**».

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال «**إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب والفرس إلا السيف.. لا يأخذها الا بالسيف ولا يعطيها إلا به**».

وفي الحديث عن الباقر عليه السلام: في صاحب هذا الأمر سُنن من أربعة أنبياء... وأما سُنّته من محمد فالسيف.

وعن الإمام الصادق عليه السلام في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أن الأدنى بالقحط والجدب والأكبر: خروج القائم المهدي بالسيف في آخر الزمان(غيبة النعماني).

نعم الكلام الجدير بالبحث في موضوع - سيف المهدي - هو: هل إنّ السيف

في هذه الأحاديث مأخوذ على نحو الموضوعية؟ أي أنه الوسيلة والعدّة القتالية التي يستعملها المهدي عليه السلام في حروبه مع عدوه؟ أي أنّ المهدي عليه السلام يستعمل السيف سلاحاً يقتل به أعداء الله؟ أو أن السيف كان عنواناً ورمزاً للقوّة وليس السيف هو المقصود بالذات وإنما أستعمل السيف مجازاً أريد به كل وسيلة تحقق النصر على العدوّ؟ فقد يكون السلاح هو الطائرات والقنابل والمواد المتفجّرة وغيرها من الأسلحة المتداولة في عصرنا أو غيرها مما لم يعهد في تاريخ الأمم والشعوب.

وقبل بيان المقصود بالسيف هنا ينبغي أن نلفت إلى أمرٍ ينفعنا في هذا المقام وهو في خلاصته: أن سيف المهدي عليه السلام ليس فيه خصوصيّة المعجزة - يعني أنه ليس معجزة يستعملها المهدي في وجه خصومه ولم يدَّعِ أحد هذا المعنى وليس في الأحاديث أثر من ذلك.

وعلى هذا وبناء عليه وفي ظل الأوضاع التي تعيشها الدول وما تمتلكه من أسلحة فتّاكة من طائرات وصواريخ عابرة للقارات وقنابل ذريّة ومواد كيماوية قاتلة وإلى آخر ما توصلت إليه العقول مما كُشف عنه وما هو مستور بحيث قالوا إنّ ما تمتلكه المعسكرات من مواد مدمّرة يكفي لتدمير الكرة الأرضية ومثلها معها، بل أكثر من الكرة الأرضية بعدّة مرّات. وفي هذه الحالة وهذا الواقع لا يصحّ القول إنّ المهدي يخرج بالسيف ويقاتل به، خصوصاً بعد أن نفينا كونه يحمل معجزة في القضاء على الخصوم.

ومن هنا ينبغي أن نحمل السيف هنا على القوّة - وأن المهدي عليه السلام يقهر أعداءه بما يمتلك من قوّة الأعداء بحيث إنّ قوّته لا يقف أمامها أي قوّة أخرى، وهذا يكون بما يمتلكه المهدي عليه السلام من قدرة فائقة على الاختراعات بحيث تفوق ما هو متعارف وموجود، وقد يخترع ما يعطّل الموجود ويوقف استعماله، وبهذا يمكن السيطرة على العالم وضمن الوسائل الطبيعية التي تتخذ طابع التكامل التصاعدي في عمليّة النموّ؛ لأنّ البشرية لا تتراجع إلى الوراء في تقدّمها العلمي وما وصلت إليه

من إبداعات وإختراعات وصناعات. نعم يمكن للمهدي عليه السلام إستعمال السيف إذا نشبت حرب عالمية ثالثة وتمّ في هذه الحرب توقيف المصانع المنتجة من جهة وتمّ أيضاً تدمير كل الأسلحة وعاد الإنسان إلى بدائيته من الحرب بالسلاح الأبيض من سيف ورمح وما أشبه ذلك، وهذا وإن كان ممكناً وخصوصاً مع ما ورد من وقوع حرب قبل قيام القائم يذهب فيها «**ثلثا الناس**»[1] ولا يبقى إلا الثلث. وفي بعض الروايات يذهب في هذه الحرب «**تسعة أعشار الناس**»[2] وهذا من الإمكان بمكان؛ لأنَّ الأيدي التي تمتلك هذه الأسلحة المتطوّرة لا تمتلك العقل ولا الإنسانية ولا الإيمان الذي يمنعها من إستعمال هذا السلاح، فربما في ساعة غضب أو حقد أو إستعلاء لفرض سيطرتها على العالم، تفجّر حرباً مدمّرة تقضي على البشرية إلا القليل منهم.

إنّ البشرية مهدّدة في وجودها؛ لأنّ أسلحة الدمار تحت الأيدي غير الأمينة، وإنّ مصير هذه البشريّة مرهون بساعةٍ يتولّى فيها إنسان مصاب بجنون العظمة أو حبّ السيطرة والإستعلاء، فيضغط على أزرار الموت التي تفجّر الأرض وتقضي على كل ذي روح فيها، أو على أكثر الأرواح فيها وتتحققّ مصاديق تلك الأحاديث التي تتحدّث عن حرب يذهب فيها ثلثا البشريّة أو تسعة أعشار البشريّة، وهذه الحرب تذهب بكل مكتسبات الإنسانية وجهودها خلال مسيرتها العلمية، ويعود مَنْ تبقّى من الناس إلى حياة بدائية يستعملون أدوات تلك الحقبة القديمة بكلّ أشكالها وأنواعها ووسائلها، بما فيها السيف والخنجر والرمح وغيرها مما كان في غابر الزمان وقديمه.

إن ما تقدّم من شنّ حرب عالمية ثالثة فرضية ممكنة في حدّ ذاتها ولها حيثيّاتها وآثارها وما يترتّب عليها، وإذا لم نقبل بها أو نرتضِها لأنّ الدمار يصيب الجميع ولا

---

(١) كمال الدين للصدوق والبحار للمجلسي.

(٢) غيبة النعماني، ص ٢٨٣.

يخطئ حتى من يعلنها ويشعل أوارها، فلابُدَّ لنا عندئذ من حمل - السيف - على القوة وأن المهدي يستعمل القوة - وأعدوّا لهم ما استطعتم من قوّة - فالسيف في هذه الأحاديث عنوان للقوة، وهو إستعمال مجازي والمجاز في لغة العرب أحد أهم أوجه البلاغة والفصاحة، وبه تتميّز درجات هذه البضاعة التي لا يحسن أداءها إلا أهلها ومن عاش في ربوع العرب ووقف على إستعمالاتهم لها في نثرهم وشعرهم، وقد جاء القرآن والسُنّة بأجمل المجازات وأروعها حتى سكر الأدباء وأرباب العقول ممّا ورد في هذين المصدرين الأساسيين فبحثوا عن هذه المعاني وبيّنوا أسرار استخدامها ووجوه العلاقة بين الحقيقة والمجاز وهكذا....

السيف عنوان يُرمز به إلى القوّة والقدرة وقد ورد ذلك في لسان العرب وتداولوه في كلامهم وإستعمالاتهم.

ولا يزال يُستعمل في هذا المعنى فنحن اليوم نقول ليس بيننا وبين القوم إلا السيف أي ليس الفاصل بيننا وبين الآخرين إلا القوّة، ويقال: سلّ فلان سيفه أي أظهر قوّته وقدرته...

وفي الحديث: الجنة تحت ظلال السيوف «**والسيوف مقاليد الجنة**».

فإنّ السيوف هنا يراد بها القوّة، ومن هنا يُفهم أنّ سيف المهدي الذي يشهره في وجوه الظالمين والمعتدين يُراد به إستعمال قوّته لتحقيق أغراضه الشريفة عندما لا يعود للكلام نفع أو فائدة، إذ مهمّة المهدي عليه السلام بالإضافة إلى بيان الأحكام وشرحها وتوضيحها وبأرقى الأساليب وأفضلها، بالإضافة إلى ذلك فإن عليه أن ينفّذ هذه الأحكام ويقيمها وإذا إحتاج الأمر إلى القوّة كان له الحقّ في إستعمالها إذا كان الطغاة والظالمون ومَنْ نصبوا أنفسهم أرباباً على الناس لا يفهمون لغة الحوار ولا يستمعون إلى نداء العقل فلذا كان لابُدَّ من إستعمال القوة لإزاحتهم من الطريق حتى تصل أنوار الهداية إلى القلوب العطشى إلى العدل والحق...

إنّ المهدي عليه السلام يمتلك أقوى الحجج وأقوى البيّنات وعنده مفاتيح العقول والقلوب

فإذا لم يستجب الجبابرة والطغاة إلى خطابه كان عليه أن يغيِّر أسلوب الدعوة ويستبدل به لغة القوّة التي لا يفهم هؤلاء الطغاة غيرها.

ووضع الندى في موضع السيف في العلى مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

راية المهدي عليه السلام

تعارف لدى الدول - كما نرى اليوم - أن تتخذ أعلاماً ترمز إلى تاريخها وجهادها أو إلى عقيدتها وإيمانها أو لخصوصيات خاصة في تلك البلاد، وهذا الأمر ليس بالمستحدث بل هو عريق قديم لأنّ الراية - أو العَلَم - يختصر العناوين الكبرى للبلد ولذا يكون المسّ به مسّاً بالدولة التي يرمز إليها، وإهانته إهانة لها، ومن هنا يقدّس العلم ويحترم ويرفع عالياً أمام أهمّ المؤسّسات لتلك الدولة إبتداءً من مركز القيادة - الرئيس - إلى كل دائرة وإن كانت صغيرة ولو في أقصى تلك البلاد....

الراية - العَلَم - قد يختصرعقيدة أهل البلاد فشعار الإسلام يكشف أنّ هذه البلاد إسلامية في عقيدتها وفي هويّتها وعندما يكون على الراية - العَلَم - شعار المسيحية فمعنى ذلك أنّ البلاد التي ترفعه مسيحية المعتقد والهويّة وهكذا....

فالعَلَم - أو الراية - شعار يحمل مضموناً مقدّساً تحترمه الدول والشعوب، ومن هذا المنطلق عندما يظهر المهدي عليه السلام ويعلن بداية حركته يتّخذ راية - عَلَماً - تتجسّد فيه المعاني التي يدعو إليها المهدي ويريد تحقيقها، وقد وصفت الأحاديث تلك الراية وبيّنتْ أصلها وفصلها ومعدنها وما كُتب عليها ومَنْ يحملها وهكذا...

١- راية المهدي عليه السلام هي راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

راية المهدي عليه السلام راية مقدّسة تمتدّ في جذورها وعراقتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي الراية نفسها التي كان يحملها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمامه في حروبه وغزاواته وتحركاته، وكانت الشعار الذي يعرف به جيش الإسلام زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هي راية مميّزة لها قدسّية ولها تقدير وإحترام رُفعتْ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّة

واحدة زمن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة الجمل - ولُفّت بعدها ولا تنشر إلا على يديّ المهدي عندما يظهر. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ المهدي عليه السلام هو الإمتداد الطبيعي لرسول الله يحمل مهامّه ودعوته وإسلامه وما جاء به من عند الله. إنّ مضمون راية المهدي هو ما كانت تحمله راية رسول الله، بل هي نفسها ينشرها المهدي عليه السلام بما تحمل من المعاني وما ترمز إليه من وحدة الأصل والفرع وإنتماء الفرع إلى الأصل، ففي الحديث عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بها جبرائيل يوم بدر...ثم قال: يا أبا محمد، ما هي والله قطن ولا كتّان ولا قزّ ولا حرير.

قلت: فمن أي شيء هي؟

قال: من ورقة الجنة، نشرها رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ثم لفّها ودفعها إلى علي عليه السلام فلم تزل عند علي عليه السلام حتى إذا كان يوم البصرة نشرها أمير المؤمنين عليه السلام ففتح الله عليه ثم لفّها وهي عندنا هناك لا ينشرها أحد حتى يقوم القائم عليه السلام فإذا هو قام نشرها فلم يبق أحد في المشرق والمغرب إلا لعنها، ويسير الرعب قدّامها شهراً ووراءها شهراً وعن يمينها شهراً وعن يسارها شهراً [1]... إلخ.

إنّ راية المهدي عليه السلام كما في هذا الحديث تحمل معها النصر للمهدي عليه السلام حيث توجّه، وتفتح له البلاد بمجرد أن تتحرّك رايته نحو أي بلد فإنها راية تحمل معها من المعنويّات الشيء الكثير، فإن الملائكة تحفّ بها، وكذلك المؤمنون يحفّون بها، إذا ساروا تحتها حقّقوا النصر والفتح المبين، وفي بعض الروايات أنّ جبرائيل يأتي بها وينشرها ويسلّمها للمهدي.

---

(١) الغيبة للنعماني، ص ٢٢٠.

شعار هذه الراية

هذه الراية المباركة مكتوب عليها بخط عريض «**اسمعوا وأطيعوا**» فالسماع سماع فهم ثم بعده يكون التطبيق إطاعة كاملة لا نقص فيها، استماع لإرشادات الإمام وأوامره وما يريد، وطاعة كاملة غير منقوصة، وهذا يفسره قول آخر «**في راية المهدي مكتوب «البيعة لله» أو «الرفعة لله»**».

وكلها عبارات تشدّد على العلاقة القويّة التي يجب أن تتمّ عبر التواصل بين الناس وبين الإمام الذي يمثّل إرادة الله وحكمه وما يريد....

حامل الراية

تتعرّض الروايات حتى لبعض الخصوصيّات الصغيرة ولا تغفل حتى عن الرجل الذي يحمل هذه الراية، فقد ذكرت أنه شعيب بن صالح قائد جيوش الإمام الذي ينفّذ أمره وهو المعبّر عنه «**بالفتى التميمي**».

كيفية السلام على المهدي عليه السلام

وردت الروايات بتسمية المهدي عليه السلام «**بقيّة الله**» وقد أفصح عنها المهدي عليه السلام عند أول ظهوره في مكّة، فإنّ أوّل ما ينطق به هو قوله تعالى «**بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين**»[1].

ثم يقول: أنا بقية الله وخليفته.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**فإذا خرج - المهديّ - أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وأول ما ينطق به هذه الآية ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾ ثم يقول: أنا بقيّة الله وحجّته وخليفته عليكم فلا يُسلّم عليه مُسلّم إلا قال: «السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه. وفي وسائل الحُرّ العاملي عن أبي عبد الله، سأله رجل عن القائم يُسلَّم عليه بإمرة المؤمنين؟**

قال: لا، ذاك إسم سُمّيّ به أمير المؤمنين، لم يُسمَّ به أحد قبله ولا يُسمّى به أحد بعده إلا كافر.

قلت: جعلت فداك كيف يُسلَّم عليه؟

قال: تقول: السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه، ثم قرأ: بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين. هكذا نسلّم على المهديّ، وأمّا معنى «**بقيّة الله**» المسمّى به المهدي عليه السلام فلأنّ المهديّ هو وارث الأنبياء والمرسلين ومحققّ آمالهم وقد ضحّوا بالغالي والنفيس ومهدوّا الطريق بدعواتهم من أجل أن يصل ذلك الوقت الذي يحقق فيه المهدي ما كانوا يصبون إليه من إقامة العدل والقضاء على الجور،

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٦.

فالمهدي هو وارث أولئك الأنبياء ومن تبقّى من القيادات الربّانية لتحقيق أهدافهم وقد أفصح عليه السلام في خطبته الأولى حينما قال: وإنّا أهل بيت نبيّكم محمد ونحن أولى الناس بالله وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فمن حاجَّني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجَّني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجَّني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجَّني في محمد فأنا أولى الناس بمحمد، ومن حاجَّني في النبيّين فأنا أولى الناس بالنبيِّين، أليس الله يقول في محكم كتابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

فأنا بقيّة من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد صلى الله عليهم أجمعين.

فمن الملاحظ أنّ المهدي هو وارث الأنبياء العظام جميعاً ووارث خطّهم التكاملي والخلاصة لما جاؤوا به فهو بقيّة منهم يحمل تراثهم ويأخذ ميراثهم.

وأمّا نسبته إلى الله مباشرة «بقية الله» فلأنهم كلهم يرجعون إلى الله يأخذون منه ويتلقّون عنه ولا يحيدون عمّا يريد.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن العلم بكتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ينبت في قلب مهديّنا كما ينبت الزرع عن أحسن نباته: فمن بقي منكم حتى يلقاه فليقلْ حين يراه: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة والنبوة، ومعدن العلم وموضع الرسالة. وروي أنّ التسليم على القائم عليه السلام أن يُقال: السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٦.

المدة التي يقضيها المهدي عليه السلام في الحكم

يتساءل المؤمنون: كم هي المدّة التي يقضيها المهدي عليه السلام في الحكم؟ وبشوق ولهفة يريدون أن يعرفوا هذه المدّة لأنهم يعيشون الإنتظار هذه المئات من السنين يترقّبون خروج المهدي عليه السلام ويحلمون بحكم يعمّ العالم ويسود فيه العدل وتنتشر فيه الفضيلة ويُقضى فيه على كل إنحراف أو فساد أو رذيلة؟

ويتساءل آخرون من الناس عن مدّة حكم المهدي عليه السلام رغبة منهم في الوقوف على رأي من يدينون بالمهدي ويؤمنون بظهوره، وهؤلاء يدفعهم لذلك حبّ الاستطلاع ومعرفة ما عند غيرهم من أمور خصوصاً إذا كانت مهمّة ولها علاقة ماسّة بمن يحكمهم في يوم ما؛ لأنّ حكمه يطالهم وينالهم ويقع عليهم كما يقع على الناس.

يخوض المهدي عليه السلام معركة شرسة صعبة وقاسية مع أمم وشعوبٍ وأنظمةٍ وحكومات كلها تعيش الظلم والقهر والبُعد عن الله وأحكامه وتعاليمه وما جاءت به رسله من عنده. وبعد الانتظار والانتصار يتولّى المهدي عليه السلام الحكم باعتباره وريث الأنبياء جميعاً ومحقّق أحلامهم وما كانوا يرغبون فيه ويصبون إليه. يتولّى المهدي عليه السلام الحكم لينفذ إرادة الله في الأرض فيملأها قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئتْ ظلماً وجوراً.

ويحكم المهدي عليه السلام بإرادة الله وأمره ولكن السؤال: كم هي مدّة حكمه التي انتظرتها البشريّة هذه المدّة المديدة من عمر الزمن؟ وكم هي مدة العدل والرخاء والرفاه التي سوف تنعم بها البشريّة في ظل حكمه المبارك؟

لا يمكن للعقول بمفردها أن تجيب عن هذا السؤال على نحو القطع واليقين، بل

لابُدَّ لها من أن تستعين بما ورد عن المعصومين عليهم السلام بل الصحيح أنه لابُدَّ من الإعتماد على النقل الوارد عن المعصومين؛ لأنّ الحديث عن مدّة حكم الإمام غيب محجوب ومستقبل مجهول لا يمكن للعقل أن يتوصل إلى تحديد المدة وبقاء ملكه وحكمه، ومن هنا كان لابُدَّ من مراجعة ما ورد عن المعصومين، وإذا كان هناك من إختلاف في النقل وأقوال متعددّة أو أكثر من قول، عندها يمكن أن نستعين بالعقل لترجيح بعضها على بعض.

إنّ ما ورد في مدّة حكم الإمام المهدي عجل الله فرجه مختلف جداً وتعدّدت لذلك سنوات حكم الإمام، فالمقلّ سبع سنوات والمكثر ثلاثمائة وتسع سنوات عدد ما لبث أهل الكهف في كهفهم، وما بين الرقمين أرقام، منها ثماني سنوات وبعض الروايات تحدّد ملك المهدي بتسع عشرة سنة وهناك رواية زادتها سنة فأصبحت عشرين، وبعضها «**يملك ما بين الخافقين أربعين سنة**» ورواية تحركّ دورة الزمن فتقول «**يملك القائم سبع سنين تطول له الأيام حتى تكون السنة من سنيه مقدار عشر سنين من سنيكم فيكون سنو ملكه سبعين سنة من سنيكم هذه.. وهكذا....**

وقبل الحديث عن مدّة ملك المهدي عجل الله فرجه ألفت النظر إلى أنّ الإختلاف فيما ينقل عن المعصومين لم يكن منهم إذ لا يتناقض كلام المعصوم مع كلام معصوم مثله؛ لأنّ العصمة تعطي عين الحقيقية التي لا إشكال فيها، فمن هنا إذا تراءى لنا الاختلاف في كلام المعصومين فلابُدَّ وأن يكون فيما ينقله عنهم الرواة – وما آفة الأخبار إلا رواتها – فالكذب أو الخطأ يكمن فيمن يروي عن المعصوم، وقد حذّر النبي صلى الله عليه وآله من الكذب عليه وقال كما هو مروي عنه: من كذب عليَّ فَلْيتبوَّأ مقعده من النار. وقد حذّر الأئمة أيضاً من الكذب عليهم. وينقل التاريخ ومجاميع كتب الجرح والتعديل أسماء كثيرة من الكذبة وأسقطوهم عن الاعتبار كما أسقطوا ما يروون من الروايات، وينبغي أيضاً أن نتنبّه إلى أنّ بعض ما يتراءى أنه إختلاف

في كلام المعصوم ربما كان لعدم التدبّر منّا في كلامهم، ولو أمعنّا النظر ودقّقنا في الكلام من جميع جوانبه لأمكننا الجمع فيما بين ذلك، خصوصاً إذا وقفنا على مناسبات الكلام ودواعيه وما يحيط به أثناء إلقائه وتناوله، وهناك وجوه للجمع بين كلام المعصومين مذكورة في محلّها وإذا ثبتت الروايات المختلفة، ولم يمكن الجمع بحال، وكان العقل لا يرفضها فعندها يُردّ علمها إلى أهلها ومن صدرت عنهم دون أن يكون لها رفض أو إسقاط، بل نتوقّف، نعم إذا وردت رواية مخالفة للعقل أو لأصول الدين تسقط عن الإعتبار ولا يُعتدّ بها. ونعود من جديد إلى الحديث عن مدة حكم الإمام المهدي عجل الله فرجه.

قلنا إنّ الروايات في مدّة حكم المهدي عجل الله فرجه إختلفت على أرقام ومدد من الزمن متعددّة، وهنا هل يمكن الجمع بينها ونقبلها جميعاً؟ يظهر من بعضهم أنه يذهب إلى ذلك ويرتضيه فيقول إنّ هذه الروايات تتحدّث عن فترات من حكم الإمام - بداية الانتصار - بداية الانتشار - بداية الاستقرار - الاستقرار - الرفاه وإنتشار الإسلام وتعميمه على الأرض كلها، وهكذا...

النتيجة تكون لصالح القول إنّ المهدي عجل الله فرجه يمتدّ حكمه لمدة ثلاثمائة وتسع سنين لأنها هي أطول الفترات المذكورة في الأحاديث، وقد جمع المجلسي في بحاره بنحو من هذا الجمع حيث قال: الأخبار المختلفة في أيام ملكه عليه السلام بعضها محمول على جميع مدة ملكه، وبعضها على زمان إستقرار دولته، وبعضها على سنيه وشهوره الطويلة.

وأمّا إذا لم نرتضِ هذا الجمع، أو كان في النفس منه شيء وكان لابُدَّ لنا من إختيار أحد الأرقام وتحديده فهنا نحن نختار أكبر الأرقام ونقول إنّ مدة حكم المهدي عجل الله فرجه هي ثلاثمائة وتسع سنوات، ويدلّ على ذلك:

١- في الحديث الصحيح، كما في غيبة الشيخ - وينقله صاحب البحار - عن أبي

الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام - الإمام الباقر -: إنّ القائم يملك ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئتْ ظلماً وجوراً ويفتح الله له شرق الأرض وغربها، ويقتل الناس حتى لا يبقى إلا دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسير بسيرة سليمان بن داوود[١].

ويؤيد هذه الرواية ما ورد أيضاً عن الباقر وهو يُقسم على ذلك حيث ينقل عنه جابر بن يزيد الجعفي فيقول: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله ليملكنّ رجل منّا أهل البيت - بعد موته - ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً..[٢]

بيان: والمراد بقوله - بعد موته - يعني بعد خمود ذكره وغيبته الطويلة، ولا عجب أن يعيش المهدي عجل الله فرجه في حكمه هذه المدة فقد غاب - كما نرى - هذه الغيبة الطويلة التي امتدّت مئات السنين، وأيضاً لا عجب بعد أن ذكر القرآن نوحاً وأنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وأيضاً يذكر القرآن أنّ أهل الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثماية سنين وإزدادوا تسعاً....

٢- أنّ هناك أموراً يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار تساعد على فرضيّة أن يحكم المهدي عجل الله فرجه هذه المدّة الطويلة، ولا يقتصر في حكمه على غيرها من المدد القصيرة وهذه الاعتبارات هي:

أ- أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي يشكّل وجوده ودولته تتويجاً لجهود الأنبياء جميعاً من أول الدنيا إلى أن يظهر، هذا الإمام الذي إدخره الله هذه المدّة الطويلة والعمر المديد، من المستبعد أن يختصر مدّة حكمه ببضع سنوات، بل لابُدَّ بنظر العقل أن يمتدّ حكمه ويطول....

ب- أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي على يديه يتمّ نشر العدل وإقامة القسط يتطلّب منه فتوح البلدان ابتداء من مكة وانتهاءً بأقصى نقطة في أطراف الأرض

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص٢٩١.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٦.

يسكنها أحد من البشر، وكم يا ترى يتطلّب هذا من وقت، وإن كان المهدي منصور بالرعب وبما أعطاه الله من قدرات؟ لابُدَّ وأنّ ذلك يحتاج إلى عقود من الزمن. وأيضاً كم تحتاج البشرية من وقت حتى يعمّم الإسلام عليها فتؤمن به وتعتقد بصحة عقائده وأحكامه، وتصبح في مرحلة من الرشد العقلي؟ ونحن نعلم أن تثقيف الناس يحتاج إلى وقت طويل تموت فيه أجيال وتنشأ أجيال جديدة لا عهد لها بالكفر والانحراف وكلّ ألوان الرذيلة والعصيان. فإن مجتمعاً صافياً إيمانياً وعقيدياً وسلوكياً يحتاج بلوغه تلك المرتبة إلى عقود من الزمن، فكيف يقضي المهديّ كل ذلك في سنوات معدودة؟ إن منطق الحقائق ومقتضيات المهامّ الجسام المنوطة بالمهدي عليه السلام تفرض أوقاتاً من العقود غير السنوات المعدودات التي لا ينجز فيها إلا القليل.

ج- نحن نعرف أنّ مراحل العمر الطبيعية تأخذ كل مرحلة منها عددا من السنين تتناسب ومدّة هذا العمر، فالطفولة لها مدّة زمنيّة، والشباب له فترة زمنية، وهكذا الكهولة والشيخوخة، فكم يا ترى من السنين يعيش ليبلغ الستين أو السبعين أو الثمانين؟ طبيعة الأمور - بمقتضى ما تقدّم - أن يعيش المهدي بعد ظهوره - وهو في سن الأربعين - مئات السنين.

د- أنّ الإمام المهدي عليه السلام يمتلك خبرة طبيّة واسعة نتيجة معرفته بخواصّ الأطعمة وما ينفع البدن ويضرّه ويحفظ سلامته أو سقمه، وله في تجربته الحياتية الطويلة - مئات السنين - ما جعله قويّاً في بدنه، بحيث لو مدّ يده إلى شجرة لاقتلعها، أو صاح بالجبال لتدكدكت كما في الأخبار الواردة في سيرته يوم ظهوره. فهذا الإنسان الذي يمتلك هذه الخبرة الواسعة يستطيع بخبرته أن يعيش طويلاً طويلاً، بإذن الله ومشيئته...

٣- من المؤيّدات للحياة الطويلة للإمام المهديّ - ليس سنوات قليلة - ما ورد من أدعية مستحبة، ومنها الدعاء له «**اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتّعه فيها طويلاً**» فإن تمتّع المهديّ طويلاً لا يكون ببضع سنوات بل بمئات السنين.

كيف يموت المهدي عليه السلام؟

كيف يموت الإمام المهدي عليه السلام وكيف ينتقل إلى ربه؟ هل يموت موتاً طبيعياً بعد أن يستكمل أغراض ملاحم حياته وأهدافها بمراحلها المختلفة، كما يموت الناس عندما تنتهي مدتهم في الدنيا؟ أم يموت بحادث غير طبيعي من قتل أو سم؟

ذهب بعضهم إلى أنّ المهدي عليه السلام يذهب إلى ربه شهيداً مقتولاً - يعني لا يموت موتاً طبيعياً، بل تُدبّر له مؤامرة وتُنفّذ بدقّة يذهب المهدي بها شهيداً وقد ذكروا لذلك رواية مفادها التالي:

تقتله إمرأة من بني تميم لها لحية كلحية الرجل، يقال لها سعيدة ترمي عليه «**جاون**» - جرن - من فوق سطح وهو متجاوز في الطريق - أي وهو يمر في الطريق - فتقتله...[1].

وهذا القول لا يستند إلى رواية عن المعصوم، بل قول لبعض العلماء المجهولين غير المعروفين؛ ولذا حتى من ينقل هذا الرأي يعلّق عليه بقوله: أما القتل فلم نجد في المصادر الموجودة عندنا شيئاً يدلّ على ذلك سوى ما ذكره اليزدي في كتابه «**إلزام الناصب ثم يقول أيضاً: ويا ليت المؤلف صرّح باسم ذلك العالم**»[2]. وحتى لو عرف لا يكون قوله حجة، إلا إذا إستند إلى قول معصوم.

وأمّا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام - أو المجتبى -: «**ما منا إلا مقتول أو شهيد**» فلم تثبت صحته، وإن أشتهر بين الشيعة وتداولته الألسن وأصبح قولاً

(١) إلزام الناصب للبزدي، ص ١٩٠.

(٢) الإمام المهدي /محمد كاظم القزويني.

شائعاً، ومن هنا يمكن القول: إنّ المهديّ عليه السلام بعد أن يحكم ما تقدّم من السنين- ثلاثمائة وتسع سنين - ويكون قد أسس لحكومة العدل الإلهي التي تستمرُّ بعده عمراً مديداً، بعد ذلك يستكمل أيامه ويأتيه الموت الذي يأتي على كل نفس فينتقل إلى ربه راضياً مرضيّاً - «**كل نفس ذائقة الموت**».

ما بعد المهدي عليه السلام

بعد أن يذهب المهدي عليه السلام إلى ربه يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: وماذا بعد المهدي عليه السلام؟ هل تفنى الدنيا وتقوم القيامة؟ أم يستمر النظام الذي وضع أسسه المهدي عليه السلام ولو لفترة ما؟

في المسألة قولان:

الأول: باعتبار أنّ المهدي من علامات الساعة - قيام القيامة - فإنه بوفاته وبعد أربعين يوماً تقوم القيامة، وتُختم الحياة الدنيا ويُصبح الناس في عالم آخر.

الثاني: أنّ موت المهدي عليه السلام لا يعني نهاية العالم في فترة قصيرة بل يستمرّ حكم المهدي عليه السلام إلى أمد غير محدود، ثم تفسد الحياة ويعيش الناس هرجاً ومرجاً وتقوم بعد ذلك القيامة...

وعلى هذا القول يتبادر إلى الذهن سؤال: من يحكم بعد المهدي؟

وهنا يذهب بعضهم إلى أنّ الأئمة يرجعون إلى الحياة ويحكمون ويقتصّون من الظالمين، وهذا القول بلغ من الشياع مبلغاً كبيراً بحيث أصبحت الرجعة - رجعة الأئمة والصالحين - من جملة المعتقدات وإن لم تبلغ مبلغ القطع أو الإجماع. وهناك قول آخر: إنّ من يحكم بعد المهدي هم أبناؤه وعددهم اثنا عشر، واحداً بعد آخر يموت الأب فيأتي الابن بعده بعد أن يتخرّج من مدرسة أبيه. وفي الخبر «**ثم يكون بعده - بعد المهديّ - إثنا عشر مهديّاً**. وفي خبر آخر «**فلْيسلّمها إلى ابنه أوّل المهديّين**» وفي الدعاء «**ولاة عهدك والأئمة من ولدك**.

ثم يتولّى بعد هؤلاء الاثني عشر من ذريّة المهدي «**الأولياء الصالحون**» ويستمر حكمهم إلى ما شاء الله حتى ينحرف المجتمع ويتحوّل الناس إلى أشرار، يومئذٍ تكون القيامة وتنتهي الحياة البشرية على الأرض...

كلمة أخيرة

هذه لوحة فنيّة في غاية الجمال والكمال رسمتها السماء بريشة من اختارهم الله ليكونوا الناطقين باسمه وتراجمة لوحيه فجاءت تحكي ما تتوق إليه البشريّة من حاجة فطريّة في داخلها وفي أعماق نفسها. اختلف التعبير عنها واتحد المعنى المراد منها، لم تيأس الأمم والشعوب ممّا حلّ بها من ظلم وقهر واضطهاد، بل بقيت ترنو إلى ذلك القائد حلم الأنبياء فيحقّقه في واقع الحياة والأحياء..

كانت جولة سريعة عابرة في سيرة ومسيرة هذا القائد الذي رصدته السماء ليحقق إرادتها في إقامة القسط والعدل فجاءت هذه الأوراق لتنقل الحقائق الواردة فيه بصدق وأمانة مع اجتهادات في بعض المُختَلَف فيه، وأظنُّ أنّ ما ذهبتُ إليه اقرب إلى الصواب؛ لأنه يستند إلى رصيد مما ورد عن السنة الناطقين بالحق ويتَّكئ على المنطق وحكم العقل...

سيدي الإمام المهدي، أرفع إلى جنابكم المقدّس هذا الجهد المتواضع، عسى أن يقع موقع القبول والرضا ويكون لبِنَة في بناء صرحكم المأمول الذي تتطلّع اليه البشريّة بفارغ الصبر متوقّعين أن نكون في عداد الأنصار والجنود...

وقع الفراغ من كتابة هذه الأسطر في بيروت؟!! من العام الثاني عشر بعد الألفين (٢٠١٢) للميلاد بيد الراجي لرضا ربه ورضا أهل البيت عليهم السلام عباس علي الموسوي (أبو علي) سائلاً ربي القبول إنه سميع مجيب.

عباس علي الموسوي

«أبو علي»

بيروت في ٢٠١٢/٧/٢

كتب مطبوعة للمؤلف

١- الموجز من حياة أئمة أهل البيت - طبعة ثانية.

٢- عليّ بين الكتاب والسُنّة - طبعة ثانية.

٣- شبهات حول الشيعة - طبعة ثالثة.

٤- الإمام علي منتهى الكمال البشري - طبعة ثالثة.

٥- ملامح المسلم الرسالي - طبعة ثالثة.

٦- دروس من ثورة الحسين.

٧- في رحاب الصحيفة السجادية.

٨- الصوم في مصداقه الرسالي.

٩- الأربعون حديثاً.

١٠- العلاقات الاجتماعية في الإسلام - طبعة ثانية.

١١- الوصية الخالدة.

١٢- مالك الأشتر.

١٣- آية وقصة - طبعة رابعة.

١٤ - نفحات رمضانية - طبعة ثانية.

١٥- الأصدق في قصص الأنبياء - طبعة ثانية .

١٦- شرح نهج البلاغة ٥ أجزاء - طبعة ثانية.

١٧- شرح نهج البلاغة جزء واحد- موسوعة لغوّية.

١٨- الحج بين الشعائر والمشاعر.

١٩- علماء ثغور الإسلام. جزءان.

٢٠- الوصية الخالدة - شرح وصية الإمام علي لولده الإمام الحسن.

٢١- مصرع سيد الشهداء. طبعة ثانية.

٢٢- شرح رسالة الحقوق - طبعة تاسعة.

٢٣- أوضح البيان في تفسير القرآن جزء واحد يتناول تفسيراً مختصراً للقرآن.

٢٤- الواضح في التفسير - تفسير للقرآن. سبعة عشر جزءاً.

٢٥- الصحيفة السجادية الكاملة - ورسالة الحقوق - المعنى اللغوي لهما.

٢٦- المهدي عدالة السماء (هذا الكتاب).

الفهرس

كلمة سريعة ٥
من هو الإمام المهدي عليه السلام ١١
أُم الإمام المهديّ عليه السلام ١٣
ولادة المهدي عليه السلام ١٤
حكمة الإمام العسكري عليه السلام عند الولادة ١٤
الإمام العسكري عليه السلام يُعرِّف بولده ١٥
حماية العسكري عليه السلام لولده ١٦
أسماء المهدي وألقابه ١٨
كنيته: ١٨
أوصاف الإمام المهدي ١٩
ما ورد من صفات للإمام المهدي عند الشيعة ٢١
قوة المهدي البدنية ٢٣
عيسى يصلّي خلف المهدي: ٢٤
حقائق يجب الوقوف عندها ٢٥
المهدي عليه السلام على كل لسان ٢٧
بعض ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله من طرقنا في المهدي عليه السلام ٢٩
ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ٣١
ما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام ٣٣
ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام ٣٥
ما ورد عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في الحجة عليه السلام ٣٦
ما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام ٣٨

ما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ٤٠
ما روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ٤٢
ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام ٤٤
بعض ما ورد عن الإمام الجواد عليه السلام ٤٦
ما رُوي عن الإمام عليّ الهادي عليه السلام ٤٨
بيان قصير ٤٨
ما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٥٠
خلفاء النبي صلى الله عليه وآله الإثنا عشر عليهم السلام ٥٣
علماء من العامة يوافقون الشيعة ٥٩
في أنّ المهدي هو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام ٥٩
عقيدة أهل السنة في المهدي المنتظر عجل الله فرجه ٦١

التمهيد لغيبة المهدي عجل الله فرجه ٦٥

الغيبة الصغرى تمهد للغيبة الكبرى ٧٠
غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه - الغيبة الكبرى ٧٢
ثبوت الغيبة ٧٢
أسباب غياب الإمام عجل الله فرجه ٧٤
الأول: اختفاء الإمام المهدي من الأسرار الإلهية التي لم يُكشف عنها... ... ٧٤
الثاني: خوف القتل..... ٧٥
الثالث: لئلّا يكون لطاغية بيعة في عنق المهدي ٧٨
بركات المهدي في غيبته ٨١
لمحة من تاريخ الإمام الهادي عليه السلام ٨٥
المدينة مختار الأئمة ٨٥
المتوكل على خطى المأمون ٨٧
الإمام علي الهادي يُجلب قهراً..... ٨٨
في سامراء ٨٨

الإمام الهادي يحمي الإمام المهدي ٨٩
شهادة الإمام الهادي عليه السلام ٩٢
الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٩٣
مولده ونشأته ووفاته عليه السلام ٩٣
مهمَّة مزدوجة للإمام العسكري عليه السلام ٩٤
عملية تشويش ٩٦
جعفر يَشي بالمهدي عجل الله فرجه الشريف ٩٦
انتحال السفارة زوراً ٩٨
السفراء في عصر الغيبة الصغرى ١٠١
أول السفراء عثمان بن سعيد العَمْري..... ١٠٢
النائب الثاني للمهدي- محمد بن عثمان العمري..... ١٠٤
النائب الثالث الحسين بن روح ١٠٥
النائب الرابع علي بن محمّد السمريّ ١٠٦
إعلان انتهاء السفارة ١٠٧
فوائد ١٠٨
السفارة وأهدافها ١١٢
وكلاء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الغيبة الكبرى..... ١١٣
ادعاءات كاذبة ١١٦
العمر المديد - معجزة أخرى ١١٨

ظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف ١٣١
كيف يعلم المهدي عجل الله فرجه الشريف وقت ظهوره؟ ١٣٣
والنكت في القلب فسرته الأخبار بالإلهام... ..... ١٣٣
نبأ الخروج ١٣٤
السفياني والمدينة المنورة ١٣٥
خروج المهدي عجل الله فرجه الشريف إلى مكة ١٣٧

خروج المهدي في مكة ١٣٨
النداء والبيعة ١٣٨
النداء في مكة - النداء الثاني ١٣٩
خروج القائم والبيعة له ١٤٠
جبرائيل أول المبايعين ١٤٢
رواية البيعة: ١٤٤
البيعة للمهدي ١٤٥
البيعة للمهدي ١٤٥
هل تجوز البيعة لغير النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام؟ ١٤٧
الخسف بجيش السفياني ١٤٩
المهدي في مكة..... ١٥٠
الأول: في الانتظار ١٥٢
الانتظار..... ١٥٢
من مات منتظراً ١٥٦
كذب الوقاتون..... ١٥٩
لماذا لم يوقّت؟..... ١٦٠
نعم هناك علامات للظهور ١٦٢

علامات الظهور..... ١٦٣

مقدّمة لعلامات الظهور ١٦٥
السفياني ١٨٣
صفات السفياني ١٨٣
السفياني عدوّ الشيعة: ١٨٤
السفياني علامة حتمية: ١٨٤
متى يخرج السفياني ١٨٥
ثلاثي الشرّ ١٨٦

معركة قرقيسيا ١٨٧
الخسف بجيش السفياني ١٨٨
بداية سقوط السفياني: ١٩٠
نهاية السفياني ١٩١
الصيحة – المعجزة ١٩٢
الصيحة من العلامات الحتمية لظهور المهدي عليه السلام ١٩٢
جبرائيل يبث نبأ الظهور ١٩٣
النداء يسمعه كل قوم بلسانهم ١٩٤
نداء مضاد ١٩٤
راية المهدي لا تشكيك فيها ولا تردد ١٩٦
النفس الزكية ١٩٨
من هي النفس الزكية ١٩٨
النفس الزكية سفير المهديّ لأهل مكة ١٩٨
ذبح الحسني أقرب العلامات ١٩٩
اليماني ٢٠١
اليماني علامة حتمية على الظهور ٢٠١
الدجّال ٢٠٣
الدجال بين الشخص والرمز ٢٠٦
المشرقيُّون الممهّدون ٢٠٩
قُمّ ٢١٢
سلمان وقومه الفرس ٢١٤
الثناء على قُمّ ٢١٧
رجل من قُمّ ٢١٩
باب من الجنة خاص لأهل قُمّ ٢٢١
الطالقان ٢٢٢

أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ٢٢٥
توافد القادة ٢٢٧
عدد الأصحاب وخصوصياتهم ٢٢٧
كيف يأتون إلى المهدي عليه السلام ٢٢٨
وسائل منظورة..... ٢٢٩
أصحاب المهدي من النساء ٢٣٣
أسماء أصحاب المهدي عليه السلام..... ٢٣٤
خصوصيات أصحاب الإمام ٢٣٧
علم أصحاب الإمام ٢٣٧
ويمشون على الماء ٢٣٨
شجاعة وقوة أصحاب الإمام ٢٣٩
بأصحاب المهدى تفتخر الأرض..... ٢٤١
شيعة المهدي ٢٤٢
امتحان وغربلة ٢٤٤
لا مكي مع المهدي ٢٤٧
أهل مكة ينقضون عهدهم ٢٥٠
كيف يدخل المهدي عليه السلام الكوفة ٢٥١
المهدي والجيوب البشرية الفاسدة في الكوفة ٢٥٣
الكوفة عاصمة حكم المهدي عليه السلام..... ٢٥٤
المهدي يبني أكبر مساجد العالم ٢٥٤
أكبر المساجد ٢٥٥
مسجد السهلة – سكنى المهدي عليه السلام ٢٥٦
المهدي يهدم مساجد ضرار ٢٥٧
مفردات من العدل والإصلاح عند دخول المهدي الكوفة ٢٥٩
كيف ينتصر الإمام المهدي عليه السلام ٢٦٠

الأول: العقيدة الصادقة ٢٦٠
الثانية «القيادة الربانية»: ٢٦١
هـ – فناء ثلثي الناس أو أكثر ٢٦٥
و– آيات كونيّة ٢٦٦
حروب المهدي عجل الله فرجه ٢٧٠
الفتوحات الكبرى ٢٧٢
رؤية الإمام ٢٧٥
الإمام معنا ٢٧٧
يصلح الله أمر المهدي في ليلة واحدة: ٢٨٠
يظهر في سنّ الشباب ٢٨٢
المهدي يكلم الناس ويسمعونه عن بُعْد ٢٨٤
الدنيا في كفّ المهديّ عليه السلام ٢٨٦
الخيرات ببركات المهدي عجل الله فرجه ٢٨٨
بعد ظهوره ٢٨٩
أموال الدنيا ٢٨٩
مضاعفة الخيرات ٢٩٠
الرواتب والعطاء ٢٩١
المهدي ينادي الناس ٢٩١
أجشع أمة محمد صلى الله عليه وآله ٢٩٢
ولا يجد الرجل مكاناً لزكاته ٢٩٣
فرح الأموات بظهور المهدي عجل الله فرجه ٢٩٣
وتفرح الطيور والحيتان ٢٩٤
أتعاب الإمام المهدي عجل الله فرجه ٢٩٥
علم الواقع عند المهدي عجل الله فرجه ٢٩٧
والمهدي يعرف الصالح من الطالح ٢٩٩

الأمن زمن المهدي عليه السلام ٣٠٠
العدل المهدوي ٣٠٣
أول عدل المهدي عليه السلام ٣٠٤
عدل المهدي عليه السلام يدخل البيوت ٣٠٥
المهدي عليه السلام يوصي الأمراء بالعدل ٣٠٦
المهدي عليه السلام يأتي بأمر جديد ٣٠٧
المهدي الزاهد ٣١٢
المنع من ذكر إسم المهدي عليه السلام ٣١٦
العلم والمعرفة زمن المهدي عليه السلام ٣٢٢
عصر المهدي عليه السلام - عصر القرآن ٣٢٥
الإسلام يحكم العالم ٣٢٧
زواج المهدي عليه السلام ٣٣٢
سيف المهدي عليه السلام ٣٣٤
راية المهدي عليه السلام ٣٣٩
شعار هذه الراية ٣٤١
حامل الراية ٣٤١
كيفية السلام على المهدي عليه السلام ٣٤٢
المدة التي يقضيها المهدي عليه السلام في الحكم ٣٤٤
كيف يموت المهدي عليه السلام؟ ٣٥٠
ما بعد المهدي عليه السلام ٣٥٢
كلمة أخيرة ٣٥٤
كتب مطبوعة للمؤلف ٣٥٥